

فِي أَصُولِ النِّجَاحِ

سَيِّدُ الْأَفْئَانِ

الْكَتَبُ الْإِسْلَامِي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بإذن من المؤلف

بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

المكتب الاسلامي

بيروت: ص.ب ٣٧٧١/١١ - هاتف ٤٥.٦٣٨ - برقياً: اسلامياً

دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله منزل الكتاب بلسان عربي مبين ؛ والصلاة والسلام على
المبعوث حياة للعرب ورحمة للعالمين.

كانت كليات الجامعة السورية قبل العام الدراسي (١٩٤٨ — ١٩٤٩) تتبع في تدرّج طلابها نظام السنين المرعي في جامعات بريطانيا وأمريكا ومصر، ثم رأى الأكثرون من الأساتذة في كلية الآداب وكلية العلوم اتخاذ نظام الشهادات المرعي في جامعات فرنسا ؛ فسوّى قسم اللغة العربية في كلية الآداب لطلابه شهادات ثلاثاً يؤدونها على النسق الآتي:

١ — شهادة تاريخ العرب والاسلام في السنة الثانية

٢ — شهادة علوم اللغة العربية في السنة الثالثة

٣ — شهادة الآداب العربية في السنة الرابعة

أمّا السنة الأولى فسمّيت شهادتها بـ (الثقافة العامة) ويتلقّى فيها الطلاب محاضرات في اللغة العربية وآدابها وفي التاريخ والجغرافية، وفي علم الاجتماع، مع دروس في اللغة الأجنبية التي يتابع الطالب دراستها طول السنين الأربع دون انقطاع.

ثم أصاب التعديل الشهادتين الأوليين فأصبحتا:

١ — شهادة الدراسة الاعدادية ٢ — شهادة الدراسات الاسلامية.

وكان علي وضع منهاج للنحو والصرف في شهادة (علوم اللغة العربية) على وجه ينسجم فيه في الجملة هو ومناهج التفسير والحديث وعلوم البلاغة وفقه اللغة في الشهادة نفسها، فأثرت أن يدرس الطلاب النحو فيها عن طريق الأدوات، وأن تكون ثقافتهم فيه ثقافة شواهد كما هي ثقافة قواعد، فاخترت لهم بحوثهم جاعلاً مرجعهم الأساسي فيها كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام، أمّا الصرف فيدرسون بحوثاً فيه من وجهتي النظر الكوفية

والبصرية في كتاب (الانصاف في مسائل الخلاف) لابن الانباري. وقد ارتحت الى ثمرات هذا المنهج مدى سنين، وقدّمت بين يدي دراستهم تلك، محاضرات أربعاً في (الاحتجاج، والقياس، والاشتقاق، والخلاف) هي مادة هذا الكتاب.

حرصت في هذه المباحث على أن يتزوّد الطلاب بمادة صالحة فيها مع مساهمة النظرة التاريخية على قدر الامكان، وراعت فيها مستواهم وحاجتهم، ولو ذلك لوجب طي بعض ما نُشر ونشر بعض ما طُوي، فكثير من القضايا مررت به خطأً لأنه بُحث بأسهاب في دراستهم السابقة.

وكنت أود التريث في الطبع حتى أنهي موضوعات أخرى في (الأدوات في اللغة العربية) وأعيد النظر فيما كتبت، لكن عناء الطلاب في الاستملاء والتفقه الغالية يكلفهم اياها النسخ بالآلة الكاتبة، ثم كثرة الخطأ والتصحيح من بعد العناء والانفاق... كل ذلك حمل مجلس كلية الآداب على اقتراح الطبع في مطبعة الجامعة السورية. وأعيد الطبع الآن مع تعديل واضافات. وأنا موقن بأن بين هذه المحاضرات والكمال الذي أتصوّره لها مراحل فساحاً، وأن عمل الانسان أبداً في حاجة الى الاصلاح، وأن الخطوات العلمية لا تسدّد إلّا بالنقد يسهم فيه كل من له رأي صالح، وأنه ما من أحد يصغر عن أن ينقد كما أنه ما من أحد يكبر عن أن يُنقد. ولست أضمن من عملي هذا أكثر من أني بذلت فيه جهداً باخلاص؛ فان خرج منه قارئه المثقف ممتلئاً إيماناً بالعربية وخصائصها ومنطقيتها ثم بتقصيرنا حيالها التقصير الأكبر، رجوت أن يكون من ذلك حافز للقادرين على الاتمام، وكان ذلك حسبي من جهدي.

أسأل الله أن يجعلنا في عداد النافعين المتفعين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يزيدنا علماً وعملاً صالحاً، ويأخذ بأيدينا جميعاً الى ما فيه خير البلاد والعباد.

دمشق: كلية الآداب

سعيد الأفغاني

١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م

الإيجاز

في اللغة العربية

الاحتجاج

- ١ - مقدمة تاريخية ، ٢ - العلوم التي يحتاج لها ٣ - من يحتاج به ،
٤ - ما يحتاج به ، ٥ - بعض قواعد في الاحتجاج ، ٦ - خاتمة .

(١)

مقدمة تاريخية

يراد بالاحتجاج هنا إثبات صحة قاعدة ، أو استعمال كلمة أو تركيب ، بدليل نقلي صح سنده الى عربي فصيح سليم السليقة على ما سيأتي تفصيله في موضعه .

وإنما احتاج القوم الى الاحتجاج لما خافوا على سلامة اللغة العربية بعد أن اختلط اهلها بالاعاجم إثر الفتوح وسكنوا بلادهم وعاشوهم ، نشأ عن ذلك بسنة الطبيعة أخذ وعطاء في اللغة والافكار والاخلاق والأعراف . وتنبه أولو البصر الى أن الامر آيل إلى إفساد اللغة وضياع العصبية من جهة ، والى التفريط في صيانة الدين من جهة ثانية ، اذ كانت سلامة أحكامه موقوفة على حسن فهم المستنبط لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكان في ضعف العربية تضييع لهذا الفهم .

يعتبر اللحن الباعث الاول على تدوين اللغة وجمعها ، وعلى استنباط

قواعد النحو وتصنيفها ؛ فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي
 هب على صوته وأولو الغيرة على العربية والاسلام ، ولا بأس من عرض
 تاريخي سريع لبعض أحداثه المتتابعة :

بدأ اللحن قليلاً خفيفاً منذ إيام الرسول على ما يظهر ، فقد لحن رجل بحضرة
 فقال : « أوشدوا أخاكم فانه قد ضل » ^(١) والظاهر ايضاً انه كان معروفاً بهذا
 الاسم نفسه « اللحن » بدليل ان السيوطي روى عن رسول الله ﷺ قوله :
 « أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأني لي اللحن » ^(٢) وقد كان ابو بكر الصديق
 يقول : « لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن » .

فاذا بلغنا عهد عمر رأينا المصادر تثبت عدداً من حوادث اللحن ، فنذكر
 أن ^(٣) عمر مر على قوم يسبثون الرمي فقرعهم فقالوا : « إنا قوم متعلمين »
 فأعرض مغضباً وقال : « والله لخطوكم في لسانكم أشد علي من خطكم في رميكم »
 سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رحم الله امرأً أصلح من لسانه » . وورد الى
 عمر كتاب أوله : « من أبو موسى الاشعري » فكتب عمر لأبي موسى بضرب
 الكاتب ^(٤) سوطاً . والأنكى من ذلك تسرب اللحن الى قراءة الناس للقرآن
 فقد قدم أعرجي في خلافة عمر فقال : « من يقرئني شيئاً بما أنزل على محمد ؟ »
 فأقرأه رجل سورة براءة بهذا اللحن :

(١) الخصائص لابن جني ٨/٢ (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥) . وروي في ارشاد

الاربيب عن عبد الله بن مسعود ٨٢/١

(٢) الزهر للسيوطي ٣٩٧/٢ طبعة (دار احياء الكتب العربية - القاهرة) بناية

محمد احمد جاد المول ورفيقه ، ورواه السيوطي في الجامع الصغير عن الطبراني وقد
 ضمه المحدثون .

(٣) ارشاد الاربيب ٦٧/١ مطبوعات دار المأمون ، والأنداد لابن الأنباري ص

٢٤٤ طبع حكومة الكويت .

(٤) هو ابو الحسين بن ابي الحر الغنبري كما في وفيات الاعيان (٩٩/٥) ، وكان

ابو موسى قد احسنته بعد زياد .

« وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ... »^(١) فقال الأعراي : « إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه » فبلغ عمر مقالة الأعراي فدعاه فقال : « يا أمير المؤمنين ، إني قدمت المدينة ... وقص القصة فقال عمر : « ليس هكذا يا أعراي » فقال : « كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ » فقال : « ... أن الله بريء من المشركين ورسوله .. » فقال الأعراي : « وأنا أبرأ من بريء الله ورسوله منهم » . فأمر عمر ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة .^(٢) ولعمر قنسب تلك القولة المأثورة : « تعلموا العربية فانها تثبت العقل وتزيد في المروءة »^(٣) .

ومر عمر برجلين يرميان فقال احدهما للآخر : « أسبت » فقال عمر : « سوء اللحن أشد من سوء الرمي »^(٤) فجعل لبدال الصاد سيناً من اللحن .
وتكاد قصة بنت أبي الاسود تكون المعلم المشهور في تاريخ النحو : فقد دخل عليها أبوها في وقدة الحر بالبصرة فقالت له : « يا أبت ما أشد الحر ! » رفعت (أشد) فظنها تسأله وتستفهم منه : أي زمان الحر أشد ؟ فقال لها

(١) سورة التوبة ٣/٩

(٢) نزهة الالباء ص ٧ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١١٠/٧ مطبعة الترقى بدمشق ١٣٥١ هـ وانظر الخصائص لابن جني ٨/٢ وعبون الاخبار. وانظر مراتب النحويين ص ١٨ هذا وروايات اللحن في هذه الآية لا تتفق على وثيرة ، فنها ما يجمل هذه القصة في زمن زياد وأن زياداً هو الذي طلب من أبي الاسود وضع شيء يقيم عوج اللسان اللاحنة فأبى ابو الاسود « فبث زياد رجلاً يقعد له بطريقه ، وأمره أن يقرأ شيئاً من القرآن وينعمد اللحن ، فقرأ : « .. أن الله بريء من المشركين ورسوله .. » بالجر ، فاستعظم ذلك ابو الاسود وقال : « عز وجه الله ، إن الله لا يبرأ من رسوله » ثم رجع من فوره الى زياد فقال : « يا هذا قد أجبتك الى ما سألت » انظر كتاب (الف باء) للبلوي ٤٦/١ . ولا يبعد الجمع بين الروايات .

(٣) ارشاد الارب ٧٧/١ وفي ص (٧٨) ان الزهري كان يقول : « ما احدث الناس مروءة احب الي من تلم النحو » . هذا وقد زعموا ان عمر بن الخطاب كان يضرب اولاده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ (ص ٧٩) وان ابنه عبد الله كذلك (ص ٨٩)

(٤) البخاري في « الأدب المفرد » ص ٢٢٧

« شهرا فاجر . » فقالت : « يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك . »^(١)
وتتقدم خطوة في الزمن فيقص علينا ابن قتيبة أن رجلا دخل على زياد فقال له : « ان ايئنا هلك وان اخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا » فقال زياد : « ماضيت من نفسك اكثر مما ضاع من مالك » وأن أعرابياً سمع مؤذناً يقول : « أشهد أن محمداً رسول الله » فقال : « ويحك ، يفعل ماذا ؟ »^(٢)

وأن أعرابياً دخل السوق « فسمعهم يلحنون فقال : سبحان الله ! يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح ! »^(٣)

وروى الجاحظ أن « أول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتي (بدل عصاي) وأول لحن سمع بالعراق : حي على الفلاح (بكسر الياء بدل فتحها) »^(٤)
ثم شاع في العصر الأموي حتى تطرق إلى البلعاء من الخلفاء والأمراء كعبد الملك والحجاج . والناس يومئذ تتعابر به ، وكان مما يسقط الرجل في المجتمع أن يلحن ، حتى قال عبد الملك وقد قيل له (أسرع اليك الشيب) : « شيبني ارتقاء المنابر مخافة اللحن »^(٥) . وكان يقول : « ان الرجل يسألني الحاجة فستجيب نفسي

(١) وتمة الخبر في الاغانى للاصفهاني (١٠١/١١) : انه دخل على امير المؤمنين علي بن ابي طالب فقال : يا امير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم ، واوشك ان تطاول هليا زمان ان تضلح « واخبره خبر ابنته .. فأملى عليه : أن الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمثنى) وهذا القول اول كتاب سيويو . ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون ولرعوها . اهـ قلت : هذه احدى روايات مشهورة في اولية النحو ، وبعد صفحة نجد أبا الفرج يروي عن ابن ابي الاسود قوله : « أول باب وضعه ابي من النحو : التجب . » وفي الحادث الذي حفز أبا الاسود على وضع ما وضع روايات عدة قد يأتي بعضها في باب الخلاف ، وانظر واحدة يروها الزبيدي في كتابه طبقات النحويين والنحويين ص ١٥ وفي النفس شيء من نسبة الأولوية في وضع النحو وسائر العلوم لعلي بن أبي طالب .

(٢) عيون الاخبار ١٥٩/٢ . ومر أبو عمرو بن العلاء بالبصرة فاذا أعدال مطروحة مكتوب عليها : (لأبوفلان) فقال : « يارب يلحنون ويرزقون » إنباء الرواة ٣١٩/٢
(٣) البيان والتبيين ٢/٢١٩

(٤) مخطوطة الظاهرية من تاريخ دمشق لابن عساكر رقم ٢٢ تاريخ ج ٥ الورقة ١/٤٩٠

له بها فاذا لحن انصرفت نفسي عنها^(١) وكان يرى اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس^(٢) .

والحجاج على انه من الخطباء الأتينااء البلقاء ، كان في طبعه تقزز من اللحن أن يقع منه أو من غيره ، فاذا وقع منه حرص على ستره وإبعاد من اطلع عليه منه ، ذكروا انه سأل يحيى بن يعمر الليثي : « أنسمعي ألحن على المنبر ؟ » فقال يحيى : « الامير افصح الناس الا انه لم يكن يروي الشعر » قال : « أنسمعي ألحن حرفاً ؟ » قال « نعم » في آي القرآن ، قال : « فذاك أشنع ؛ وما هو ؟ » قال تقول :

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال^٣ اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها أحب اليكم من الله ورسوله .. »^(٣) تقرأها (أحب) بالرفع فأنف الحجاج ان يطلع له رجل على لحن فبعث به الى خراسان^(٤) . وكان الحجاج يعجب بفصاحة يحيى هذا فسأله يوماً : أخبرني عن غنبيه بن سعيد : أبلعن ؟ قال : كثيراً ، قال : « أفأنا ألحن ؟ » قال : « لئناً خفيفاً » قال : « كيف ذلك ؟ » قال فجعل (أن : إن) و (إن : أن) ونحو ذلك . قال : « لاتساكني ببلد » اخرج^(٤) وكان الرجل اذا أراد أن يفلت من عمل للحجاج

(١) من رسالة الجاحظ في صناعة القواد ، ص ٢٦٠ (رسائل الجاحظ) جمع السندوني

(٢) عيون الاخبار ١٥٨/٢ ومن قول ابنه مسلمة « اللحن في الكلام أقبح من الجدر في الوجه »

(٣) سورة التوبة ٢٤/٩ .

(٤) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ / ٦٥ (روضة الشام ١٣٣٢ هـ) وطبقات

النحويين واللغويين ص ٥ .

ذكر ابن قتيبة : ان الحجاج أم قوماً فقرأ « والماديات ضبيعا » وقرأ في آخرها : « أن ربهم بهم يومئذ خير » بفتح هزة (أن) ثم تنبه على اللام في (الخير) وأن (أن) قبلها لا تكون الا مكسورة فعذف اللام من (الخير) فقرأ : « أن ربهم بهم يومئذ خير » . - عيون الاخبار ١٦٠/٢ . ومع هذا فقد روي عن الاصمعي قوله : « أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشمي وعبد الملك والحجاج بن يوسف وابن القرية ، والحجاج أفضلهم - آمالي الزجاجي ص ١٥

وقال عمر بن عبد العزيز : « إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها ، وكأني أقضم حب الرمان الحامض لبغضي استماع اللحن ، ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجبها فيعرب فأجيبه إليها التذاداً لما أسمع من كلامه ، وكان يقول : « أكاد أضرس إذا سمعت اللحن » - [الاضداد لابن الأنباري ص ٢٤٥] . وهذا معاوية بن بجير والي البصرة تشغله لجنة الناعي عن مصيبته بأبيه فيقدم انكارها .

= وانظر في لجنة البيان والتبيين للباحظ (٢٠٤/٢) فاجد (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٨)

أما أمر الوليد الذي مر آنفاً فقد أم عبد الملك حتى أفضى بذات نفسه يوماً الى روح ابن زبناح قائلاً :

« يا أبا زرعة ، قد غلبني الوليد باللحن ، وساظهر المشية كآبة فسلمني عنها ودعني والوليد ، فلما أذن الشاء أظهر كآبة وعنده الوليد وسليان وروح فقال له روح : « ماهذه الكآبة يا أمير المؤمنين ؟ لا يسوؤك (الله) ولا يريك مكروهاً ! » قال : ذكرت ما في عنقي من هذه الأمة وإلى من أصير أمرها بمدي ؟ » قال له روح : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين . فإني أنت عن الوليد سيد شباب العرب ؟ » قال « يا أبا زرعة ! لا ينبغي أن يلي أمر العرب إلا من يتكلم بكلامها » فقام الوليد فدخل منزله فجمع إليه اصحاب النحو ، فاقام ستة أشهر معهم ، وخرج يوم خرج وهو أجبل بالنحو منه يوم دخل ، فقال عبد الملك : « قد أجهد وأعذر » المصدر السابق الورقة ١/٤٢١ واحتج على عبد الملك بلحن الوليد هذا ، فقد ذكر ابن عساكر أن عبد الملك قال لرجل من قريش : « أنك لرجل لولا أنك تلحن » فقال : « وهذا ابنك الوليد يلحن » قال عبد الملك : « لكن ابني سليمان لا يلحن » قال الرجل : « واخي فلان لا يلحن ! » الورقة ١/٤٢٤ .

بل كان لا يستطيع تجنب اللحن حتى على المنبر ، ذكره ابو الزناد يوماً فقال : « كان لحناً كأنني اسمع على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يا أهل المدينة ! » بل كان لا يستطيع تجنبه حتى في آيات القرآن : قرأ يوماً على المنبر « يا ليتنا كانت القاضية » وضم التاء ، فقال عمر بن عبد العزيز (وكان تحت المنبر) : يا ليتنا كانت [القاضية] عليك وأراحتنا منك ! » الورقة ١/٤٢٤ .

وكان عمر بن عبد العزيز هذا أشد الناس في اللحن على ولده وخاصته ورعيته وربما أذب عليه . - ارشاد الاربيب ٨٩/١

فأنت تجد بما تقدم أن الخوف على العربية له ما يفرضه من النذر ، وأنه تمكن في النفوس حتى تضافت جهود العلماء وذوي السلطان على صيانة العربية ، وأن الحرمان من المال أو العمل بما كان يصيب اللعانة ، وأن فصاحة المرء قد ترفعه الى الولايات والغنى وتزيد شأنه عند أولي الامر ؛ وهذا من طرف السلطان كاف في الترغيب والترهيب . وسؤال الحجاج عن لحن بعض الناس ذوي الشأن مشعر باهتمام الحكومة والمجتمع بأمر اللحن . وذلك طبيعي من دولة قامت على العصية العربية بعد أن رأَت اللحن يفسد في الطبقات الرفيعة من الامراء والحكام وأشراف الناس ، وفي قصة بشكست النحوي تعبير واضح عن أمرين : فشو اللحن ونظرة المثقفين اليه ، ولا بأس في إيرادها ففيها طرفة وفيها ظرف :

« وفد بشكست النحوي على هشام بن عبد الملك ، فلما حضر الغداء دعاه هشام ، وقال لفتيان بني أمية : « تلاحنوا عليه » فجعل بعضهم يقول : « يا أمير المؤمنين رأيت أبي فلان .. » ويقول آخر : « مر بي أبي فلان .. » ونحو هذا ؛ فلما ضجوا أدخل يده في صحيفة فغمسها ثم طلى لحيته وقال لنفسه : « ذوقي ، هذا جزاؤك في مجالسة الأندال ! » (١)

الى هذا المدى بلغ أمر اللحن في المثة الأولى للهجرة والدولة عربية محضة ، والعصية ذات سلطان ، والقوم حديثو عهد بجزيرتهم ولا تزال

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطة الظاهرية) الجزء السابق الورقة ١/٤٥٤ ثم قال ابن عساكر فيه : « وكان نحويأ أخذ عنه أهل المدينة ، وكان يذهب مذهب الشراة ويكتم ذلك . فلما ظهر ابو حمزة الشاري بالمدينة (سنة ١٣٠ هـ) خرج معه فقتل فمين قتل بخلافة مروان بن محمد . » واسمه عبد العزيز القاري وقيل في مقتله :

لقد كان بشكست عبد العزيز من اهل القراءة والمسجد
فبعداً لبشكست عبد العزيز وأما القران فلا يبعد

انظرو النسخة الثانية من تاريخ دمشق لابن عساكر (رقم ٣٣٧٤/٩ تاريخ) ١٠ الورقة ٢٠٢ ، والاغاني ١/١١١ و ١٠٨/٢٠ و ١١٠ وإنباه الرواة ١٨٣/٢

مجتمعاتهم تتناقل القول المشهور « ليس للاحن حرمة » وتعامل به ، هذا عبد الملك بن مروان استأذن عليه رجل من عليّة أهل الشام وبين يديه قوم يلعبون بالشطرنج فقال : « يا غلام ، غطّها » فلما دخل الرجل فتكلم ، لحن ، فقال عبد الملك : « يا غلام ، اكشف عنها ، ليس للاحن حرمة » - [الاضداد لابن الانباري ص ٢٤٥] ويدت الخلافة أعرق بيوت قريش شرفاً ومجداً وبلاغة وأقواها عصبية وعروبة .^(١) والعرب

(١) هذا ومع ضعف السليقة العربية على الزمن لم يصف استهجان الخاصة للحن ، وحسبك هذه الحوادث الاربع رمزاً الى ذلك وكلها في صدر الدولة العباسية :

تكلم ابو جعفر المنصور في مجلس فيه اعرابي فلحن ، فصرّ الاعرابي اذنيه [حددهما مصفياً باهتمام] فلحن مرة أخرى أعظم من الاولى ، فقال الاعرابي : « أف لهذا : ما هذا ؟ » ثم تكلم فلحن الثالثة فقال الاعرابي : « أشهد لقد وليت هذا الامر بقضاء وقدر » .

وقال سعيد بن مسلم : « دخلت على الرشيد فبهرتني هيبته وجماله ، فلما لحن خفّ في عيني » . ودخل رسول والي الكوفة العباس بن محمد بن موسى على طاهر بن الحسين فقال له : « أخيك أبي موسى يقرأ عليك السلام » قال : « وما أنت منه ؟ » قال : « كاتبه الذي يطعمه الخبز » فأمر نواً بصرف العباس عن الكوفة إذ لم يتخذ كاتباً يحسن الاداء عنه .

إرشاد الاريب ١/ ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٦ بتصرف يسير ،

بل إن الأمايون كان يأخذ عماله باللوم إذا كان في كتبهم إليه لحن ويعد ذلك تفريصاً في جاب مقام الخلافة وإليك حديث ابن قادم النحوي الكوفي :

« وجه إلي إسحاق بن إبراهيم المصني يوماً فأحضرني فلم أدر ما السبب ، فلما قربت من مجلسه تلقاني ميمون بن إبراهيم كاتبه على الرسائل وهو على غاية من الملهع والجزع ، فقال لي بصوت خفي : « إنه إسحاق » وممر غير متلبث ولا متوقف حتى رجع إلي مجلس إسحاق ، فراعني ذلك . فلما مثلت بين يديه قال لي : كيف يقال : « وهذا المال مالاً » أو « وهذا المال مال » ؟ فقلت ما أراد ميمون ، فقلت له : « الوجه (وهذا المال مال) ويجوز (وهذا المال -

- كما قرر ابن جني - أشد استنكاراً لزيغ الإعراب منهم لخلاف اللغة ،
 فقد ينطق بعضهم بالدخيل والموأد ولكنه لا ينطق باللحن .
 ولذلك اشتد بلال بن أبي بردة على خالد بن صفوان لما وآه يلحن
 في حديثه العفوي معه فقال له : « أتحدثني أحاديث الخلفاء وتلحن لحن
 السقاءات ؟ » . فلنحاول تبيان ما اختط أهل العربية من خطط يعالجون بها
 استفحال الداء ، وهل كانوا الى الشدة حين شرطوا للاحتجاج تلك الشروط
 التي أسقطت الاحتجاج بكلام كثير من العرب حتى في زمن الجاهلية ؟

- مالا) . فأقبل إسحاق على ميمون بفضلة وفضاظة ثم قال : « الزم الوجه في كتبك . ودعنا
 من يجوز ويجوز » ورمى بكتاب في يده ، فسألت عن الخبر فإذا ميمون قد كتب إلى المأمون
 وهو ببلاد الروم عن إسحاق وذكر مالا حله ، فكتب : « وهذا المال مالا » فخط المأمون
 على الموضوع من الكتاب ووقع بخطه في حاشيته : « غطاطني بلحن ؟ » . فقامت القيامة على إسحاق .
 فكان ميمون بعد ذلك يقول : « ما أدري كيف أشكر ابن قادم ، أبهى عليّ روعي
 وسمي ! » قال ثعلب راوي الحديث : « فكان هذا مقدار العلم وعلى حسب ذلك كانت الرغبة
 في طلبه والحذر من الزلل . قال « وهذا المال مالا » ليس بشيء ، ولكن احسن ابن قادم
 في الثاني لخلاس ميمون . » - إنباء الرواة ١٥٧ / ٣ وطبقات النحويين واللفويين
 للزبيدي ص ١٠٣ .

حتى إذا امتد الزمن خف الاستنكار شيئاً ما فصرنا نرى ثعلباً النحوي « لا ينكف إقامة
 الاعراب في كلامه إذا لم يخش لبساً في العبارة » ونرى إبراهيم الحربي وقد ذكر له ذلك يقول :
 « أيش يكون إذا لحن في كلامه ؟ كان هشام النحوي يلحن في كلامه ، وكان أبو هريرة
 يكلم صبيانه بالنبطية . » - إنباء الرواة ١٢٠ / ١
 بل كان بعض الأمراء بالبصرة يقرأ (إن الله وملائكته) بالرفع فضي إليه الانخفش
 فاصحاً له فانتشروه وتوعده وقال « تلحنون أمراءكم ؟ » - إنباء الرواة ٤٣ / ٢
 غلى أن من يعتد بهم في المجتمع مضوا على استهجان اللحن زمناً طويلاً فقد حدث حفص بن
 هبث قال :

« وجه إلينا عيسى بن موسى ليلاً فصرنا إليه والجند سيطان وقد امتلأنا رعباً منه فقال :
 « مادعوتكم إلا لخيراً » فزال هيبته من قلوبنا لبيع لحنه » - المصون للمسكري ص ١٤٦
 طبعة حكومة الكويت سنة ١٩٦٠ م

(٢)

العلوم التي يحتاج لها

يحتاج بالكلام العربي لغرضين : غرض لفظي يدور حول صحة الاستعمال من حيث اللغة والنحو والصرف ، وغرض معنوي لاعلاقته باللفظ . والظاهر أن فريقاً من العلماء حجروا واسعاً فأسقط الاحتجاج بكلام الاسلاميين والمولدين في اللفظ والمعنى جميعاً ، ولم يلتفت الجمهور الى هذا التحجير لعقمه وبعده عن طبيعة الحياة ، بل قصروا الاحتجاج بكلام المولدين على المعاني فقط ، واحتجوا بكلام القدماء في اللفظ والمعنى . وخير من يمثل هؤلاء ابن جني ، فقد احتج في باب المعاني بشعر المتنبي وهو مواد ، ولعله توقع إنكاراً من المتزمين فأتبع احتجاجة بعبارة مقبولة معترضاً بمذهب التزم هذا ، قال في صدد كلامه على مجيء القول والكلام بما لا يعقل :

« قال عنتره :

لو كان يدري : ما المحاورة ؟ اشتكى ولكان - لو علم الكلام - مكلمي
وامثله شاعرنا « يعني المتنبي » ، آخرأ فقال :

فلو قدر السنان على لسان لقال لك السنان كما أقول
وقال :

لو تعقل الشجر التي قابلتها مدت محبة إليك الأغصنا

ولا تستنكر ذكر هذا الرجل - وإن كان مولداً - في أثناء
ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه ، ولطف متسربه ، فإن المعاني
يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون ، وقد كان أبو العباس (يعني المبرد)
- وهو الكثير التعقب لجة الناس - احتج بشيء من شعر حبيب بن
أوس الطائي في كتابه « الاشتقاق » لما كان غرضه فيه معناه دون
لفظه فأشدد فيه له :

لو رأينا التوكيد خطة عجز ما شفطنا الأذان بالثويب

واياك والحنبلية بحتاً ، فإنها خلق ذميم ، ومطعم على علاته وخيم ،^(١)
ثم استقر الرأي على ما فصل ابن جني من أئمة المئة الرابعة للهجرة ،
ففصلوا بين العلوم التي يحتاج لها بكلام القدماء والعلوم التي يحتاج لها
بكلام الفصحاء عامة قدماء ومولدين ، وتبلور هذا الرأي وأصبح من
المسلمات ، فهذا عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب ومن
أعيان العلماء في المئة الحادية عشرة يعبر عنه بعد سبعة قرون بنقله كلام
الرعيي الاندلسي من علماء المئة الثامنة في شرح بديعية رفيقه ابن جابر
قال الرعيي :

« علوم الأدب ستة : اللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان
والبديع ؛ والثلاثة الأولى لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب (يريد

(١) الخصائص ٢٤/١ والثويب إشارة المناادي بثوبه وصوته

القدماء) دون الثلاثة الاخيرة فإنه يستشهد عليها بكلام المولدين لأنها
راجعة الى المعاني ، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم إذ هو أمر
راجع الى العقل ، ولذلك قبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام
البحثري وأبي تمام وأبي الطيب وهلم جرا. ^(١)

(١) خزانة الادب للبغدادى ٣٠/١ (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ) .

(٣)

من يحنج به

بحث علماء العربية فيمن نقل الرواة عنهم من أهل المدرو والوبرقدهاء
ومحدثين. وتقصوا أحوالهم ونقدوها، فاجتمعوا على الاحتجاج بقول
من يوثق بفصاحته وسلامة عريته، ونحن عارضون لأصناف هؤلاء
زماناً ومكاناً وأحوالاً.

فأما الزمان فقد قبلوا الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية وفصحاء
الاسلام حتى منتصف القرن الثاني سواء أسكنوا الحضر أم البادية .
أما الشعراء فقد صنفوا أصنافاً أربعة : جاهليين لم يدركوا الاسلام،
ومخضرمين أدركوا الجاهلية والاسلام، وإسلاميين لم يدركوا من الجاهلية
شيئاً ، ومحدثين أولهم بشار بن برد^(١) . وشبه الاجماع انعقد على صحة
الاستشهاد بالطبقتين الاوليين واختلفوا في الطبقة الثالثة ، وذهب عبد
القادر البغدادي صاحب خزنة الادب الى جواز الاستشهاد بها^(٢) اما
الطبقة الرابعة فلا يستشهد بكلامها في علوم اللغة والنحو والصرف خاصة،
وكان آخر من يحتج بشعره على هذا الاساس بالاجماع ابراهيم بن هرمة

(١) الاقتراح ص ٣٢ .

(٢) خزنة الادب ٢٠/١

(٧٠ - ١٥٠ هـ) الذي ختم الاصمعي به الشعر^(١). أما أهل البادية فقد استمر العلماء يدونون لغاتهم حتى فسدت سلاتهم في القرن الرابع الهجري^(٢). وعلى هذا « أجمعوا على أنه لا يحتاج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية »^(٣).

وأما المكان وبعبارة أخرى القبائل، فقد اختلفت درجاتها في الاحتجاج

(١) الاقتراح للسيوطي ص ٢٢ (مطبعة المعارف بمحدر آباد ١٣١٠ هـ). هذا وبعضهم يرى الاحتجاج بالطبقة الرابعة مستدلاً باستشهاد سيبويه بشعر بشار بن برد في (الكتاب) ، ويرد المعارضون بأنه إنما فعل ذلك خوفاً من لسانه .

(٢) قرر ياقوت في معجم البلدان مادة (عكد) أن جبلي « عكاد » فوق مدينة الزرائب « وأهلها ياقون على اللغة العربية من الجاهلية الى اليوم لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الحاضرة في مناكحة وهم أهل قرار لا يظعنون عنه ولا يخرجون منه » . [توفي ياقوت سنة ٦٢٦ هـ] ثم جاء صاحب القاموس المحيط المتوفى سنة (٨١٧) فقرر أن « عكاد » جبل باليمن قرب مدينة زبيد وأهله باقية على اللغة الفصيحة » .

ثم زاد المرتضى الزبيدي المتوفى سنة (١٢٠٥) في شرحه للقاموس عند هذه المادة كلمة « إلى الآن » ، وقال : « ولا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفاً على لسانهم !! » - ارجع الى هذه المادة (عكد) في المراجع الثلاثة المذكورة . والزبيدي أقام في (زبيد) زمناً طويلاً فهو باعاف .

(٣) الاقتراح ص ٣١ وقد مال الزمخشري الى استثناء أئمة العربية من

ذلك داعياً الى « جعل الوثوق بكلامهم كالوثوق برواياتهم » وليس بشيء .

على اختلاف قريها او بعدها من الاختلاط بالأمم المجاورة، فاعتمدوا كلام القبائل في قلب جزيرة العرب ، وردوا كلام القبائل التي على السواحل او في جوار الأعاجم ، واليك تصنيف أبي نصر الفارابي لهم في الاحتجاج :

أ - وكانت قريش أجود العرب انتقاء^(١) للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وأبينها عمياً في النفس . والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم :

قبس وقيس وأسد فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الأعراب والتصريف . ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم^(٢) .

ب - وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري ولا عن سكان البراري ممن

(١) قال ابن فارس : (وكانت قريش مع فصاحتها . . اذا اتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلانقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب .) - الصاحبى ص ٢٣ (المطبعة السلفية بالقاهرة) .

(٢) ومع هذا فلم تكن لغات هؤلاء بالمرضية دائماً : قال الحسن البصري يوماً (توضيت) فليل له : (أتلعن يا أبا سعيد !) فقال (إنها لغة هذيل وفيها فساد) . انظر كتاب (الف باء) للبلوي ٤٦/١ .

كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم :
لم يؤخذ من قهر ولا من جزم فإنهم كانوا مجاورين لأهل
مصر والقيط .

ولا من قضاة ولا من غسان ولا من إماء فإنهم كانوا مجاورين لأهل
الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بصلاتهم بغير العربية .
ولا من تغلب ولا النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية .
ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس .
ولا من عباد القيس لأنهم كانوا من سكان البحرين مخالطين
للهند والفرس .

ولا من أزد عجمان لمخالطتهم للهند والفرس .
ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبيشة ولولادة الحبشة فيهم .
ولا من بني منبجة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف
لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم .

ولا من ماضرة المعاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدؤوا
ينقلون لغة العرب، قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم^(١).

(١) الاقتراح للسيوطي ص ٢٢ نقلاً عن كتاب الفارابي (الالفاظ والحروف).
هذا وقد أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مقابلة طريفة بين لغات أهل
مكة والبصرة والكوفة، يفيد إيرادها في شرح الظاهرة المذكورة أعلاه، قال الجاحظ :
(أهل الامصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك نجد الاختلاف
في الفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر . . وقال أهل مكة لمحمد بن =

وكان هذا التصنيف حاز القبول وجرى عليه العمل وكان الخروج

= مناذر الشاعر (ليست لكم معاصر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة .) فقال محمد بن مناذر : (أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن واكثرها موافقة له ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم : أنتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول (قدر) ونجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل (وجفان كالجواب وقدور راسيات) وأنتم تسمون البيت (عليّة) وتجمعون هذا الاسم على علالي ونحى نسيبه (غرفة) ونجمعه على غرف وغرفات ، وقال الله « غرف من فوقها غرف مبنية » وقال : « هم في الغرفات آمنون » ، وأنتم تسمون الطلع (الكافور والاغريض) ونحن نسيبه الطلع وقال الله « ونخل طلعها هضيم » .. فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا منها غير هذا .

ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ (الحريز) ويسمون .. الخ .

وكذا أهل الكوفة يسمون المسحاة : (بال) وبال بالفارسية : ولو علق ذلك لغة أهل البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه إذ كان أهل الكوفة نزلوا بأدنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب . ويسمي أهل الكوفة الحوك (البقلة الحقاء) بازورج والبازورج بالفارسية والحوك كلمة عربية . وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها (مربعة) وتسميها أهل الكوفة (جهارسو) والجهار بالفارسية . ويسمون السوق أو السويقة وازار والوازار بالفارسية . ويسمون القناء خياراً والحيار فارسية . ويسمون المجدوم ويذي بالفارسية . - ١٨/١٨١ .

وبهذه الأمثلة التي طمى فيها الأثر الاجتماعي على الأثر الجغرافي تدرك الحافظ لعلماء العربية على اسقاط من أسقطوا في الاحتجاج من العرب في الجاهلية والاسلام .

عليه مدعاة الى النقد ، ولما اعتمد ابن مالك على انغات لحم وجذام
وغسان ، تعقبه باللوم ابو حيان فقال في شرح التسهيل : « ليس ذلك
من عادة أئمة هذا الشأن ^(١) .

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : « لا أقول : (قالت العرب . .)
إلا ما سمعت من عالية السافلة وسافلة العالية ، يريد ما بين نجد وجبال
الحجاز حيث قبائل أسد وتميم وبعض قبائل قيس ^(٢) بل كان عثمان
يقول : « لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف » ^(٣) .

وأما أحوال هؤلاء العرب المحتج بهم فخيرها ما كان أعمق في التبدي
والصق بعيشة البادية ، ولذا كان مما يفخر به البصريون على الكوفيين
أخذهم عن الاعراب أهل الشيوخ والقيصوم وحرشة الضباب وأكلة
اليرابيع ويقولون للكوفيين « أخذتم عن أكلة الشواريز وباعة
الكواميخ ^(٣) » . وقد نص الفارابي بعد قوله المتقدم آنفاً على صناعة
هؤلاء الاعراب وصفاتهم فقال : « كانت صنائع هؤلاء التي بها
يعيشون الرعاية والصيد واللصوصية ، وكانوا أقواهم نفوساً وأقساهم
قلوباً وأشدهم توحشاً وأمنعهم جانباً وأشدهم حمية وأحبهم لأن يغلبوا
ولا يُغلبوا ، وأعسرهم انقياداً للملوك . وأجفاهم أخلاقاً وأقلمهم احتمالاً

(١) الاقتراح ص ٢٤

(٢) انظر مجلة جمع اللغة العربية (بالقاهرة) ١٤١/٨ .

(٣) الشيراز اللبني المصفي ، والكامنخ : ادام - انظر القاموس المحيط .

للضميم والذلة .^(١)

وتستطيع ان تجعل مرد الامر كله — بعدما تقدم لك — الى الوثوق من سلامة لغة المحتج به وعدم تطرق الفساد اليها ، وهذا هو الضابط في التصنيف الزماني والمكاني اللذين مرا بك ، فانت تعلم إسقاط العلماء الاحتجاج بشعر أمية بن أبي الصلت وعدي بن زيد العبادي^(٢) وحتى الاعشى عند بعضهم ، لمخالطتهم الاجانب وتأثر لغتهم بهذه المخالطة ، حتى حمل شعرهم عدداً غير قليل من ألفاظ ومصطلحات لاتعرفها العرب ، وكل هؤلاء شعراء جاهليون^(٣) ؛ بينا يذهب فريق

(١) الاقتراح ص ٢٤ .

(٢) إسقاط الاحتجاج في اللغة لا يؤثر في الشعرية ؛ وعلى هذا ينبغي أن يفهم انكار القاضي الجرجاني زعم الاصمعي :
« زعم الاصمعي ان العرب لا تروي شعر أبي دؤاد وعدي بن زيد ، لان الفاظها ليست بنجدية » ، وكيف يكون ذلك وهذا معارضة بفضل عدياً على جماعة الشعراء ، وهذا الخطيئة يسأل : من أشعر الناس ؟ فيقول : الذي يقول وأنشد لأبي دؤاد :

لا أعد الإقنار عدماً ولكن فقد من قد زنته الإقنار .. الخ الايات ،
الوساطة ص ٤٩ .

هذا ومن العلماء من لا يحتج بغير الجاهلين وقد قال الاصمعي : « جلست الى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي » .

(١) مع هذا لا بد من بعض التسامح فان التدقيق والنقهي لا يسلم عليها كثير من كلام المحتج بهم : هذا الكميث والطرماس روي أنها كانا « يسألان المعاج عن الغريب ثم يراه في شعرهما موضوعاً في غير مواضعه ، فقل له : ولم =

الى الاحتجاج بكلام الشافعي المتوفى في القرن الثالث للهجرة، حتى نص
 الامام أحمد بن حنبل على أن (كلام الشافعي في اللغة حجة) ^(١) لسلامة
 نشأته وتقلبه في البيئات العربية السليمة . قيل لبشار : « ليس لأحد
 من شعراء العرب شعر الا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من
 ألفاظهم وشك فيه ، وإنه ليس في شعرك ما يشك فيه . » قال : « ومن
 أين يأتيني الخطأ ؟ ولدت هاهنا ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من
 فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وإن دخلت إلى
 نسايم فتنساؤهم أفصح منهم ، وأيفعت فأبديت الى أن ادركت ، فمن أين
 يأتيني الخطأ ^(٢) . »

وكلمة بشار هذه دليل قاطع على وجود يثات في المدف سليمة
 من اللحن لزمه في المئة الثانية للهجرة .

ويعجبي كثيراً قول ابن جني في هذا الموضوع في باب (ترك

= ذاك ؟ » قال : « لأنها قرويان بصفان مالم يربا فيضمانه في غير موضعه وأنبأ دوي
 أصف ما رأيت فأضعه في موضعه . » - الاغاني ١٧/٢ بل ان الاصمعي كان
 يقول في الكميت : « جرمقاني من جراميق (عجم) الشام لا يجتج بشعره »
 وينكر مواضع من شعر الطرماح وبلعن ذا الرمة . - انظر الوساطة للقاضي
 الجرجاني ص ٩ . بل ذهب الجرجاني في باب (اغاليط الشعراء ص ٤ من الوساطة)
 إلى أنه لا توجد قصيدة واحدة من كل تلك الدواوين الجاهلية والاسلامية
 « تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدر فيه » هـ . وما أشبه هذا بالحق .

(١) الاقتراح ص ٢٤ .

(٢) الاغاني ٢٦/٣ طبعة الساسي .

الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر) :

«علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل ، ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر . وكذلك أيضاً لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها ، لوجب رفض لغتها وترك تلقى ما يرد عنها ، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا لأننا لا نكاد نرى بدوياً فصيحاً ، وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدر فيه ..»^(١).

(١) الحصاص ٥/٢ ثم ذكر ابن جني أدلة على فساد سليقة الأعراب في زمنه فقال : « وقد كان طراً علينا أحد من يدعي الفصاحة البدوية ويتباعد عن الضعفة الحضرية ، فتلقينا أكثر كلامه بالقبول له ، وميزناه تمييزاً حسن في النفوس موقعه إلى أن أنشدني يوماً شعراً لنفسه يقول في بعض قوافيه (أشأوها . وأداؤها) [بوزن أشعها وأدعها] فجمع بين الهمزتين كما ترى . واستأنف من ذلك ما لا أصل له ، ولا قياس بسوءه ، نعم وأبدل إلى الهمز حرفاً لاحظ له في الهمز ، بضد ما يجب ، لأنه لو التقت همزتان عن وجوب صنعة للزم تغيير أحدهما . فكيف أن يقلب إلى الهمز قلباً ساذجاً عن غير صنعة ما لاحظ له في الهمز ، ثم يحقق الهمزتين جميعاً ؟ هذا ما لا يبيحه قياس ولا ورد بمثله سماع ... الخ .

ما يحتاج به

نقسم الكلام المحتج به إلى أقسام ثلاثة نتكلم على كل منها بالترتيب
تيسيراً للبحث :

١ - القرآن الكريم ؛ ٢ - الحديث الشريف ؛ ٣ - كلام العرب
١ - لم يتوفر لنص ما توفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته ،
وعناية العلماء بضبطها وتحريرها متناً وسنداً ، وتدوينها وضبطها بالمشافهة
عن أفواه العلماء الأثبات الفصحاء الأئمة من التابعين ، عن الصحابة ،
عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فهو النص العربي الصحيح المتواتر
المجمع على تلاوته بالطرق التي وصل إلينا بها في الأداء والحركات
والسكنات ، ولم تعتن أمة بنص ما اعتنى المسلمون بنص قرآنهم .

وعلى هذا يكون هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في
اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة ، وقراءاته جميعاً الواصلة إلينا
بالسند الصحيح حجة لاتضاهيها حجة . أما طرقه المختلفة في الأداء فهي
كذلك ، إذ أنها مروية عن الصحابة وقراء التابعين ، وهم جميعاً ممن
يحتج بكلامهم العادي بله قراءاتهم التي تحروا ضبطها جهد طاقتهم كما
سمعوها من رسول الله ، ولا ننسى بعد ذلك : أن أئمة القراء كأبي
عمر بن العلاء والكسائي ويعقوب الحصري هم أئمة في اللغة والنحو

أيضاً . وقد جرى عرف العلماء على الاحتجاج برواياته سواء أكانت متواترة أم روايات آحاد أم شاذة . والقراءة الشاذة التي منع القراء قراءتها في التلاوة يحتاج بها في اللغة والنحو^(١) . إذ هي — على كل حال — أقوى سنداً وأصح نقلاً من كل ما احتج به العلماء من الكلام العربي غير القرآن . ولئن كان القراء أسقطوا القراءة بها لعدم وثوقهم أنها قراءة النبي نفسه ، إن على علماء اللغة والنحو أن يعضوا عليها بالتواجد إذ كان روايتها الأعلون عرباً فصحاء سليمة سلائقهم ، تبني على أقوالهم قواعد العربية . وانت تعرف أن النحاة يحتاجون بكلام من لم تفسد سلائقهم من تابعي التابعين فلأن يحتاجوا بقراءة أعيان التابعين والصحابة أولى ، ورجحان قراءات القرآن في حجيتها اللغوية والنحوية على شواهد النحاة عرف قديم تعاوره العلماء .

وهنا أمر ينبغي التنبيه إليه بشيء من التفصيل ، فالحق أن موقف النحاة من النصوص العربية حين وضعهم القواعد ، فيه خلل واضطراب من الناحية المنهجية ، وأن موقف القراء علمياً ومنطقياً ومنهجياً سديد متسق واليك البيان :

أقل ما يشترط القراء لصحة القراءة شروط ثلاثة :

١ — صحة السند بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) .

(١) انظر الاقتراح للسيوطي ص ١٧ .

(٢) مذهب الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء أن التواتر شرط في صحة القراءة ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت =

٢ -- موافقتها رسم المصحف المجمع عليه .

٣ - موافقتها وجهاً من الوجوه العربية .

وكثيراً ما صرحوا في مناسبات عدة أن القراءة سنة متبعة وأنها لا تخضع لغير السماع الصحيح . أما القراءة الشاذة عندهم فما توفر فيها صحة السند وموافقة العربية وتخالف الشرط الثاني ، أو التواتر من الشرط الاول ؛ وهذه هي التي منعوا القراءة بها في الصلاة ، وقد ظهر لك إذاً أن القراءة الشاذة لا يقدر في الاحتجاج بها عريّة قاح ، فمخالفة الرسم بزيادة كلمة أو نقص حرف لا تؤثر في صحة بناء القواعد عليها . هذا وخير تعبير عن منهج القراء قول أحد أئمتهم أبي عمرو الداني : « وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألفى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والاصح في النقل ، والرواية إذا ثبتت عندهم لم يردوها قياس عريّة ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها »^(١) .

= رسم المصاحف العثمانية ووافقت العربية . - ص ٦ من غيث النفع للصفاسي (بذيّل شرح الشاطبية لابن القاصح المسمى سراج القاري المبتدى وتذكر المقرئ المنتهى - مطبعة مصطفى محمد - الطبعة الاولى (١٣٥٢ هـ) قلت : ومع شبه الاجماع هذا نقل السيوطي في (الاتقان) ما يفيد أن كثيرين لم يشترطوا التواتر مكثفين بالمشهور من الطرق (انظر ص ٧٥ المطبعة الازهرية سنة ١٣٤٣ هـ) .

(١) النشر في القراءات العشر ١ / ١٠ .

هذا دستور القراء أثبتوه في كتبهم وكانوا في تطبيقه على غاية من الدقة والامانة ، فكانوا منهجين منطقيين قولاً وعملاً ؛ فهل كان النحاة كذلك ؟ الحق أن النقد يجد في صف النحاة وفي قواعد نحوهم ثغراً عدة ينفذ منها الى الصميم ، فهم يريدون بناء قواعدهم على كلام العرب فيجمعون تنقلاً نثرية وشعرية من هذه القبيلة ومن تلك ، من أعرايي في الشمال الى امرأة في الجنوب ، ومن شعر لا يعرف قائله الى جملة غير منسوبة ، يجمعون هذا الى أقوال معروفة مشهورة ، ويضعون قواعد تصدق على أكثر ما وصل اليهم بهذا الاستقراء الناقص الذي لا يستند الى خطة محكمة في الجمع ، ثم يسددون هذه القواعد بمقاييس منطقية يريدون اطرادها في الكلام ، حتى اذا أتت بعضهم قراءة صحيحة السند تخالف قاعدته القياسية ، طعن فيها وان كان قارئها أبلغ وأعرب من كثير ممن يحتج النحوي بكلامهم !! فلا استقراؤه كامل أو كاف ، ولا لشواهد التي استند اليها بعض ما للقراءة الصحيحة من القوة ، ولا اللغة تخضع للمقاييس المنطقية التي ابتدعها . وخير ما يصف اضطراب موقفهم هذا قول الرازي :

« اذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى ، وكثيراً ما ترى النحويين متحيرين في تقرير الالفاظ الواردة في القرآن ، فاذا استشهدوا في تقريرها بيت مجهول فرحوا

به ، وأنا شديد التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجبول
على وفقها دليلاً على صحتها ، فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحتها
كان أولى ، ^(١) .

وصحيح قول ابن حزم في الفصل : « من النحاة من ينتزع من
المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً ويتخذ مذهباً ،
ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية
عن وجهها » . وقال في موضع آخر :

« ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس أو لزهير أو
الجرير أو الخطيئة أو الطرماح أو لاعراي أسدي أو سلمى أو تميمي
أو من سائر أبناء العرب لفظاً في شعر أو نثر جعله في اللغة ، وقطع به ،
ولم يعترض فيه ، ثم اذا وجد الله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم
يلتفت اليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن موضعه
ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه ! » .

والمنهج السليم في ذلك ان يعين النحاة في القراءات الصحيحة
السند ، فما خالف منها قواعدهم صححوا به تلك القواعد ورجعوا
النظر فيها ، فذلك أعود على النحو بالخير . أما تحكيم قواعدهم الموضوعة
في القراءات الصحيحة التي نقلها الفصحاء العلماء فقلب للاوضاع

(١) تفسير فخر الدين الرازي ١٩٣/٣ .

وعكس للنطق إذ كانت الروايات الصحيحة مصدر القواعد
لا العكس .

وسيتضح لك مجافاة بعضهم للعلم والحق ، وتعصبهم الذي نستطيع رد
بعضه إلى جهلهم بفن القراءة وتاريخها ، بهذه الامثلة التي تثبت وجوب
اعادة النظر فيما قعدوا من قواعد ووضعوا من مقاييس :

١ - زعم النحاة أن العرب استغنت عن ماضي (يدع) ومصدرها
بماضي (ترك) ومصدرها ، فلم يردا في فصيح كلامها^(١) .

وأقربها ابن جني شاهداً لضرب خاص من الكلام فقال : « فإن
كان الشيء شاذاً في السماع مطرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من
ذلك وجريث في نظيره على الواجب في أمثاله ، من ذلك امتناعك من
(وذر) و(ودع) لأنهم لم يقولوها ، ولا غرو أن (لا) تستعمل نظيرهما
نحو وزن ووعد لو لم تسمعها ، فأما قول أبي الاسود :

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه^(٢)

فشاذ ، وكذلك قراءة بعضهم : « ما ودعك ربك وما قلى »^(٣)

(١) انظر مادة (ودع) في لسان العرب وتاج العروس .

(٢) ونسب الى أنس بن زعيم .

(٣) الخصائص ٩٩/١ وكذلك ذهب سيبويه الى أن ماضي (يدع) لم يستعمل

(الكتاب ٢/٢٥٦) . وسترى أنه استعمل .

وهم في أقوالهم هذه متهاقون خارجون على أصولهم التي أصّلوها
هم أنفسهم ، واليك البيان :

أولاً - من المتفق عليه عند اللغويين والنحاة أنه لم يصل إلينا من
كلام العرب الا القليل ولو جاءنا وافرأ لجاء علم كثير ، ومن المتفق عليه
عندهم وأن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن .
ثانياً - بعد هذا نرى أن ما ذهب اليه النحاة واللغويون غير
صحيح ، فقد استعمل الكلمة أبو الأسود في بيته السابق ، ووردت في
قول الشاعر :

و ثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس أطراف المثقفة السمر^(١)

والعلماء يثبتون استعمال الكلمة بشاهد واحد إذا لم يخالف القياس ،
وكلمة (ودع) على ما مر بك من كلام ابن جني مطردة في القياس ، أما
قوله (شاذة في الاستعمال) فيحبطها اعتراف النحاة بضآلة ما انتهى إلينا
من كلام العرب وأن أحكامهم عامة مبنية على الاستقراء الناقص ،
وورودها مع ذلك في شعر أبي الأسود وشعر شاعر آخر .

ثالثاً - نأتي الآن الى قراءة التخفيف في قوله تعالى (ما ودّعك
ربك وما قلى) فقد قرأها كذلك عروة بن الزبير وابنه هشام وهما من

(١) انظر تفسير الكشاف للزمخشري ٧٦٦/٤ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة

هما ، بل ان الغريب في ذلك أن ابن جني نفسه نص في كتابه (المحتسب)
على أنها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم^(١) !

وفي العباب للصاغاني : وقد اختار النبي ﷺ أصل هذه اللغة فيما
روى ابن عباس أنه قرأ (ما ودعك) مخففة ، وكذلك قرأ عروة
ومقاتل وأبو حيوة وابن أبي عبلة ويزيد النحوي^(٢) .

هذا وفي النهاية لابن الأثير (وهو معجم لألفاظ الحديث) تحت
مادة (ودع) حديث عن النبي ﷺ فيه استعمال المصدر الذي زعموا
أنه أميت وهو قوله : « لينتهن قوم عن ودعهم الجمعات أو ليختمن
على قلوبهم » .

والطريف أن بعض المحققين ممن تأخر زمانه عن أولئك صحح
خطأهم فأثبت صاحب المصباح هذه اللغة الفصيحة في معجمه واستنكر
ادعاءهم الإمامة فقال : « ودعته أدعه ودعاً تركته ... وزعمت النحاة
أن العرب أمات ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل ، وقد قرأ مجاهد
وعروة ومقاتل وابن أبي عبلة ويزيد النحوي « ما ودعك ربك » ،
بالتخفيف ، وفي الحديث : « لينتهن قوم عن ودعهم الجمعات .. » فقد
رويت هذه الكلمة عن أفصح العرب ، ونقلت من طريق القراء فكيف

(١) انظر كتاب القراءات واللهجات ص ١٤٧ .

يكون إمامة ؟^(١) ومثل ذلك تجده في معجم (المغرب) للطرزي^(٢).
وبذلك ترى تسرب الوهي الى بعض احكامهم إذ كانت خطتهم
ينقصها الإحكام في المنهج والكفاية في الاستقراء معاً ، وكان عليهم
قبل إرسالها استيعاب قراءات القرآن على الأقل والاحتجاج بها.

٢ - من المعروف في العربية ان حرف العلة الزائد في الرباعي
(صحيفة. عجوز، سحابة) يقلب همزة في التكسير: (صحائف عجائز
سحائب) ، فلما تواترت القراءة عن نافع المدني وابن عامر الدمشقي
وهما إمامان عظيمان من أئمة القراء في قوله تعالى : (وجعلنا لكم فيها
معاش) بالهمز - وهي غير قراءة الجمهور - قرروا أنها خطأ ، وغالى

(١) مادة (ودع) في : (المصباح المنير) ، و (المغرب) .
وقد رأيت بعد صدور الطبعة الاولى لهذا الكتاب حديثاً آخر فيه (ودع)
وذلك بصدد الكلام عن عيينة بن حصن وأنه هو الذي قال فيه النبي صلى الله
عليه وسلم : « إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره . » - انظر الروض
الانف للسهيلي ١٨٧/٢ و « الأدب المفرد » ص ٢٣٥ الحديث (١٣١١) .
وروى البخاري عن سعيد بن المسيب في تفسير قوله تعالى : « ما جعل الله من
بحيرة ولا سائمة ولا وصيلة ولا حام .. الآية » : « والحامي
فعل الإبل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه
من الحمل فلا يحمل عليه شيء وسموه : الحامي . » وأثبت البخاري في هذا الكتاب
في الحديث (١٢٤٣) في ص ٣٢٠ قول عبد الله بن عمر لنافع : « فمن شاء أكل
ومن شاء ودع . »

المازني منهم فقال: « إن نافعاً رحمه الله لم يدرك ما العربية^(١)، وخطأهمزها جميع نحة البصرة على ما قال الزجاج .

وكان على نحة البصرة تصحيح قاعدتهم أو تذييلها بأن العرب ربما حملت الحرف الاصلي على الزائد فعاملته معاملته اذ كان شبيهاً به في اللفظ^(٢) ثم عليهم ان يستشهدوا على ذلك بقراءة نافع هذه . وبذلك يزيد مذهبهم إحكاماً وانسجاماً مع أصوله التي اهمها البناء على السماع الصحيح . وأي سماع اصح من قراءة نافع وابن عامر والاعرج والاعمش وزيد بن علي رواية عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ ، هؤلاء الرواة فصحاء بمنابهم ، علماء بتحصيلهم سليقيون عاشوا ولم يتطرق الفساد الى ملكاتهم . وتعجبنى كلمة ابي حيان في تفسيره تعقياً على نقل الزجاج المتقدم : « ولسنا متعبدين بأقوال نحة البصرة » لان اللغة تثبت بالنقل لا بالمقاييس المبنية على الاستقراء الناقص .

٣ -- « كان اهل الشام يقرؤون (ابراهام) بالف في مواضع دون مواضع (وهي لغة اهل الشام قديماً) ثم تركوا القراءة بالالف

(١) صبح الاعشى ١/ ١٧٩ وانظر كلام الخفاجي على هذه الآية في حاشية البيضاوي .

(٢) احتج على النحاة بتواتر قول العرب (مصائب ومنائر) وهما مثل (معاش) في كون همزهما مقلوبة عن حرف أصلي لازائد ، فلم يسع النحاة الا المكابرة والحمل على الشذوذ .

وقرؤوا جميع القرآن بالياء ... فرووا انه قيل لمالك بن انس :
« ان اهل دمشق يقرؤون (ابراهيم) فقال : « اهل دمشق يأكل البطيخ
أبصر منهم بالقراءة » فقيل : « انهم يدعون قراءة عثمان » فقال مالك :
« ها مصحف عثمان عندي » ثم دعا به فإذا فيه كما قرأ اهل دمشق ...
وفي سائر المصاحف (ابراهيم) مكتوب بالياء في جميع القرآن الا في
البقرة فإنه بغير ياء ،^(١)

٤ - تدخل لام الأمر على المضارع الغائب في الأعم الأغلب ،
وانكر قوم دخولها على غيره ، ولم يكن لهذا الإنكار قيمة ما اذ
احتج على جواز ادخالها على المضارع المبدوء بتاء الخطاب بالقراءة
الشاذة « فذلك فلتفروحا » كما احتج على ادخالها على المبدوء
بالنون بالقراءة المتواترة : « ... ولنحمل خطاياكم ... »^(٢)

٥ - وقال فريق : لا يجوز تسكين لام الامر بعد (ثم) الا في
ضرورة الشعر . وقد أسقط المحققون هذا الحكم محتجين بالقراءة
المتواترة : « ثم ليقطع » ثم ليقضوا تفهم ، فقد قرأ جمهور القراء
السبعة بتسكين اللام ،^(٣)

(١) القراءات واللهجات ١٠٩ - فثبت ان بصر اهل دمشق بالقراءة لا يقل
عن بصرهم بأكل البطيخ .

(٢) الاقتراح للسيوطي ١٧ .

(٣) نظرة في النحو للمرحوم طه الراوي : مجلة المجمع العلمي العربي ١٤ /

٣٢٣ وانظر الاقتراح ص ١٨ . هذا وقام الآية الأولى :

نكتفي بهذه الامثلة الصرفية ذا كوين مثالين نحويين :

٦- قال السيوطي : « كان قوم من النحاة المتقدمين يعيرون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية (قلت : يعني العربية الصناعية التي وضعوها) وينسبونهم الى اللحن ، وهم في ذلك مخطئون فإن قراءاتهم ثابتة بالاسانيد المتواترة الصحيحة التي لامطعن فيها ، وثبت ذلك دليل على جوازه في العربية ، وقد رد المتأخرون ، منهم ابن مالك ، على من عاب عليهم ذلك بأبلغ رد ٠٠٠ من ذلك احتجاجه على جواز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار بقراءة حمزة :

« .. واتقوا الله الذين تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا »^(١) .

وقبل ابن مالك علق الفخر الرازي على هذه القراءة وعلى منع المانعين لجوازاها وعلى تجويز سيبويه لها بيئتين مجهولي القائل بقوله :
« .. لأن حمزة احدى القراء السبعة ، والظاهر انه لم يأت بهذه القراءة

« من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذم من كبه ما يغيظ » سورة الحج ٢٢/١٥ والآية الثانية : « ثم ليقتضوا ثقتهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » سورة الحج ٢٢/٢٩ .

(١) الاقتراح ض ١٧ والآية هي الاولى من سورة النساء .

من عند نفسه بل رواها عن رسول الله ﷺ ، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة ، والقياس يتضاءل عند السماع ، لاسيما بمثل هذه الاقيسة التي هي او هي من بيت العنكبوت ، ثم تعرض لاستشهاد سيبويه السابق فقال : « والعجب من هؤلاء النحاة انهم يستحسنون اثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين ولا يستحسنون اثباتها بقراءة حمزة ومجاهد ، مع انهما من اكابر علماء السلف في علم القرآن ! »^(١).

٧ - في كتاب الإنصاف لابن الانباري^(٢) تفصيل الخلاف بين البصريين والكوفيين حول الفصل بين المتضايفين بغير الظرف والجار والمجرور ، فقد منعه البصريون وأجازوه الكوفيون محتجين بقراءة ابن عامر المتواترة :

« وكذلك زَيْن لكثير من المشركين قتلُ أولادهم شركائهم ،
ليردوهم وليألبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم
وما يفترون »^(٣).

ولكن البصريين من النحاة تسرعوا فوهاها هذه القراءة تعصباً لمقاييسهم النظرية . ومع ان القراءة ليست فنيهم فقد حملهم التعصب على القطع في مسألة من غير فهم ، لتسلم لهم قواعد وضعوها دون استقرار

(١) تفسير الرازي ١٩٣/٣

(٢) ٢٤٩/١

(٣) سورة الانعام

واف . فقد قالوا : إن المضاف والمضاف اليه في مكلم الشيء ، الوامد
والكلمة الوامدة فلا يفصل بينهما أجني ، وإنما جاز الفصل بالظرف
والجار والمجرور لأننا نتسامح فيهما ما لا نتسامح في غيرهما ^(١) وهذا قول
قد يتسق لو أن اللغة اخترعوها هم واخترعوا لها مقاييسها . أما واللغة
سماع فقولهم لا نهض حجة في شيء ، ومن الذي أوحى اليهم أن المضاف
والمضاف اليه بمنزلة الكلمة الواحدة ؟ وهلا فصلوا جزءي الكلمة الواحدة
بالظرف والجار والمجرور كما فعلوا بالمتضايقين إذا كان الامر فيهما
— كما يقولون — واحداً ؟ ^(٢)

ليس غريباً أن يكون هذا من النحاة في القرن الثاني وما بعده في
زمن انقسام المدرستين وتحزب الأشياء لهما في عهد البدء بتدوين
النحو ، ولكن الغريب أن يتم تدوين النحو وتدوين غيره من العلوم
كالتفسير والحديث والقراءات واللغة ، وتحذر مسائلها ، وبمضي الزمن

(١) انظر الانصاف لابن الانباري ٢٥٠/١

(٢) تستطيع ادراك الومن في أمثال هذه الحجج المرتجلة إذا رجعت الى
ص ٢١٨ من المصدر السابق نفسه حيث ترى البصريين أنفسهم ينقضون ما
قرروا هنا فيقولون عن الكوفيين : « وأما قولهم : (إن المضاف والمضاف اليه
بمنزلة الشيء الواحد فجاز ترخييه كالفرد) قلنا : هذا فاسد لأنه لو كان
معتبراً لوجب أن يؤثر النداء في المضاف اليه البناء كما يؤثر في المفرد . فلما لم
يؤثر النداء فيه البناء دل على فساد ما ذهبتم اليه » - اه . وهكذا يرد البصريون
على انفسهم .

على ذلك حتى تنضج وتحترق — كما يقولون — ثم يأتي الزمخشري في
المئة السادسة (توفي سنة ٥٣٨) وهو العالم المفسر النحوي البليغ، فيرى
لنفسه الحق أن يرسل الأحكام في فن لم يتقنه اتقان اهله، فيرد هذه
القراءة المتواترة بكلام خطابي هذا نصه :

واما قراءة ابن عامر (قتل اولادهم شركائهم) برفع القتل ونصب
الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء، والفصل بينهما بغير
الظرف؛ فشيء لو كان في الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً...
فكيف به في الكلام المنشور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه
وجزأته؟! والذي حمله على ذلك ان رأى في بعض المصاحف (شركائهم)
مكتوباً بالياء. ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء، لان الاولاد شركاؤهم
في اموالهم، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب^(١).

وفي هذا الكلام زلتان كبيرتان يتنزه عنهما الشادي في علم
القراءات؛ فأما الاولى: ففي جملته الاخيرة المشعرة بأن ابن عامر حر
في اختراع القراءة، حتى لقد عجب بعضهم من هذا الجهل الساذج
بما هو معروف ضرورة^(٢)، والمقرر البديهي ان القراءة سماع محض

(١) تفسير الكشاف ٧٠/٢ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٦٥ هـ)

(٢) انظر كلمة التفنازي في حاشية الأمير على مغنى الليب ١٨٨/٢ (الطبعة

الثانية - المطبعة الأزهرية بمصر ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨) .

لأجل الاجتهاد فيها ، واما الثانية : فظنه ان القارىء اسير الرسم ^(١) .
وان الذي حمل ابن عامر على جر (شركائهم) رسمها بالياء في المصحف
الشامي ، وهذه شبه تلك في الجهالة ، فالقراءة تتلقى مشافهة بالإسناد ،
وهي - عادة - توافق الرسم ، وليس لقارىء ان يقرأ قراءة لم يتلقها ،
وان وافقت الرسم ^(٢) .

وعبد الله بن عامر هذا ، امام من اعلام القراء وكبار التابعين
(١١ - ١١٨ هـ) ، احد القراء السبعة وامام الشاميين في قراءتهم تلقى
قراءته عن كبار الصحابة كعثمان بن عفان وغيره وعن كبار التابعين ،
وهو بعد ، من صميم العرب الذين يحتج بكلامهم ، وقد تلقى قراءته هذه
عن الأثبات وتلقاها عنه المئات ، وهو قاضي دمشق وشيخ مشايخ

(١) وكثيراً ما يسهو النحاة في مثل هذه المواقف اذ يرجعون بالظن في علم
لم يتلقوه ، وانظر مثلاً أمالي ابن الشجري (٩٢ / ١) حين ظن ان وقوف القراء
السته (غير ابي عمرو بن العلاء) على (كآين) بالنون كان اتباعاً لحط المصحف !
مع أنها اللغة الاشيع التي تلقوها عن العرب الثقات شفهاً .

(٢) لما زعم ابن مقسم العطار المقرئ النحوي (- ٣٥٤) ان كل من
صح عنده وجه في العربية لحرف من القرآن يوافق خط المصحف فقراءته جائزة
في الصلاة وغيرها . ، أنكروا عليه - انظر إنباء الرواة ج ٣ / ١٠١ الحاشية (١)
وهو من النحاة الكوفيين ، اتبع ابن شنبوذ في اتخاذ القراءات الشاذة ، وانفرد
منها بأشياء لا تدل على ملكة سليمة في العربية . وحفظ أقوال الكوفيين مع اتخاذ
فوضاهم في السماع يؤدي بصاحبه الى مثل هذا الشذوذ ، وقد استتيب عند
السلطان فرجع عن تحبظه - بغية الوعاة ص ٣٦ .

قراؤها ، وامام جامعها الاعظم على عهد عمر بن عبد العزيز ،^(١) ، وكان علي الزمخشري وهو اعجمي تخرج بقواعد النحاة المبينة على الاستقراء الناقص ، ان يتجرى لنقد رجل عربي قويم الملكة فصيح اللسان حجة في لغة العرب ، شيئاً غير هذه الخطايا^(٢) .

وعلى هذا تكون هذه القراءة حجة قوية على الفصل بين المتضايغين بغير الظرف والجار والمجرور مثل القراءة الثانية في قوله تعالى (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام)^(٣) ويكون هذا الفصل

(١) نظرة في النعم للرحوم طه الراوي . مجلة المجمع العلمي العربي ١٤ / ٣٢٢ .

(٢) كتبت هذا سنة ١٩٥٠ واستنكر ذلك بعض الاساتذة الادباء ورأوا أنني أنبت بأمر إداري في انتقاصي فعلة الزمخشري . وبعد سنتين كنت أراجع قراءة في كتاب « غيث النفع في القراءات السبع » للصفاسي فوقفت عند كلامه على قراءات هذه الآية فلماذا به يشتد على الزمخشري بما يجعل قولي السابق فيه تقييداً في حق العربية إذا قيس بقول الصفاسي فأرجع اليه (ص ١٢٥ على هامش سراج القاري طبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٢ هـ) .

على أن ابن المنير الإسكندري صاحب كتاب « الانتصاف » الذي تتبع به تفسير الزمخشري لم يكن أرفق من الصفاسي - انظر [تفسير الكشاف مع ذبوله طبعة الاستقامة سنة ١٣٦٥ هـ ٦٩ / ٢] .

ففي هذين التعليقين شواهد كثيرة وعلم غزير .

(٣) سورة ابراهيم ١٤ الآية ٤٧ . قال الزمخشري في كشافه (٥٦٦ / ٢) وقرئ : (مخلف وعده رسله) بجر الرسل ونصب الوعد . وهذه في الضعف كمن قرأ : (قتل أولادهم شركائهم) اهـ وقد علمت آتياً ما في حكمه هذا من الخطأ .

على - ندرته - عربياً قوياً . وكان المنهج السليم يقضي أن يصحح النحاة
البصريون قاعدتهم محتجين بهذه القراءة كما فعل الكوفيون ، لا أن
يضعفوا قراءة متواترة يرونها المئات من فصحاء العرب المحتج بكلامهم
عن رسول الله ﷺ .

وبعد ، فقراءات القرآن جميعها حجة في العربية متواترها وآحادها
وشاذها^(١) ، وأكبر عيب يوجه الى النحاة عدم استيعابهم إياها ، وإضاعتهم
على أنفسهم ونحوهم مئات من الشواهد المحتج بها ، ولو فعلوا لكانت
قواعدهم أشد إحكاماً .

(١) مذهب ابن جني الاحتجاج في العربية بالقراءة الشاذة ، وقد ألف في
ذلك كتابه (المختص) جمع فيه شواذ القراءات ووجهها واحتج لها . وصنيعه
ذلك هو الصواب .

الحديث الشريف

يراد بالحديث الشريف أقوال النبي ﷺ وأقوال الصحابة التي تروي أفعاله أو أحواله أو ما وقع في زمنه، وقد تشتمل كتب الحديث على أقوال التابعين أيضاً كالزهري وهشام بن عروة وعمر بن عبد العزيز . والذي جعل بعض اللغويين النحويين يثبتون أقوال التابعين هؤلاء مع الرسول والصحابة ثقتهم بصحة صدور ما عنهم، فيحتجون بها في إثبات مادة لغوية أو دعم قاعدة نحوية أو صرفية .

وقد كان من المنهج الحق بالبداهة أن يتقدم الحديث سائر كلام العرب من نثر وشعر في باب الاحتجاج في اللغة وقواعد الإعراب ، إذ لا تعهد العربية في تاريخها بعد القرآن الكريم بياناً أبلغ من الكلام النبوي ولا أروع تأثيراً ولا أفعل في النفس ولا أصح لفظاً ولا أقوم معنى ؛ ولكن ذلك لم يقع كما ينبغي لانصراف اللغويين والنحويين المتقدمين إلى ثقافة ما يزودهم به رواة الأشعار خاصة ، انصرفوا استغرق جهودهم ، فلم يبق فيهم لرواية الحديث ودرايته بقية ، فتعللوا لعدم احتجاجهم بالحديث بعلة ، كلها وارد بصورة أقوى على ما احتجوا به هم أنفسهم من شعر ونثر .

ومع إجماع اللغويين والنحاة عامة على أن النبي ﷺ أفصح العرب قاطبة ، وأن الحديث لا يتقدمه شيء في باب الاحتجاج اذا ثبت لهم أنه لفظ النبي نفسه ، انقسموا فيما يروى من الأحاديث فريقين : فريقاً غلب على ظنه أنها لفظه عليه السلام فأجاز الاحتجاج بها ، وفريقاً غلب على ظنه أنها مروية بالمعنى لا باللفظ ، واذاً لا يجوز الاحتجاج بها . ونحن عارضون بشيء من التفصيل للمذهبيين ثم خاتموا بما نرى أنه الأقرب الى الحق مستنديين الى الحقائق التاريخية ووقائع الحال :

مذهب المانعين :

عبر عنه أبو حيان الأندلسي (- ٧٤٥ هـ) خير تعبير اذ كان أشدهم مبالغة فيه ، وانكاراً على مخالفيه ، ونحن ثبت من كلامه حجة المانعين في عدم الوثوق بأن المروي لفظ النبي ولهذا لم يحتجوا به ، قال :

« انما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم ان ذلك لفظ الرسول ﷺ ، اذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في اثبات القواعد الكلية ، وانما كان ذلك لأمرين :

١ - أحدهما ان الرواة جوزوا النقل بالمعنى فتجد قصة واحدة قد جرت في زمانه^(١) ﷺ فنقل بالفاظ مختلفة كحديث :

(١) الحديث : عن سهل بن سعد أن امرأة عرضت نفسها على النبي ، فقال له رجل : « يا رسول الله : زوجنيها » فقال : « ما عندك ؟ » قال « ما عندي شيء » قال : « اذهب والتمس ولو خائفاً من حديثي » فذهب ثم رجع فقال : «

«زوجتكها بما معك من القرآن» .

وفي رواية اخرى «ما كتكتها بما معك من القرآن» .

وفي الثالثة «خذها بما معك من القرآن» .

وفي الرابعة : «أمكنا كها بما معك من القرآن» ..

فنعلم يقيناً انه ﷺ لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لا نجزم بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظاً آخر مرادفاً لهذه الألفاظ فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه إذ المعنى هو المطلوب ؛ ولا سيما مع تقادم السماع وعدم ضبطه بالكتابة والاتكال على الحفظ ، والضابط منهم من ضبط المعنى وأما ضبط اللفظ فبعيد جداً ولا سيما في الأحاديث الطوال ... ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين أنهم إنما يروون بالمعنى .

٢ - الأمر الثاني : أنه وقع اللحن كثيراً فيما روي من الحديث ، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو ، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون ذلك .

= «لا والله ما وجدت شيئاً ولا خاتماً من حديث ... فقال له : «ما ذا معك من القرآن ؟» قال : «معى سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا» لسور يعددها ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أمكنا كها بما معك من القرآن» - وفي رواية : «اذهب فقد ما كتكتها بما معك من القرآن» التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ١٢٠/٢ (كتاب النكاح) . وانظر صحيح البخاري : الكتاب (٦٧) الباب ١٤ و ٣٢ و ٣٥ .

فنظرة الى معاجم (التهذيب للأزهري) و (الصحاح للجوهري) و
(المخصص لابن سيده) و (المجمل ، ومقاييس اللغة لابن فارس)
و (الفائق للزمخشري) كافية لدحض ما ادعى ابو حيان ، بل قد عد
ابن الطيب ^(١) من اصحاب هذا المذهب من النحاة : ابن فارس وابن
خروف وابن جني وابن بري والسهيلي ، بل انه قال : لا نعلم احداً من
علماء العربية خالف في هذه المسألة الا ما ابداه الشيخ ابو حيان في
شرح التسهيل و ابو الحسن الضائع (— ٦٨٠) في شرح المجمل وتابعهما
على ذلك الجلال السيوطي (— ٩١١) ^(٢) .

ولا عجب في ان يتدارك المتأخرون ما فات المتقدمين ، بل ان
ذلك هو المنتظر المعقول ، اذ كان العالم من الأوائل يعلم روايات محدودة
وخيرهم من صنف مفردات اللغة في موضوع واحد كالاصمعي مثلاً .
ثم جاءت طبقة بعدهم وصل إليها كل ما صنف السابقون فكانت أوسع
إحاطة ، ثم جاءت طبقة بعد طبقة ، وألفت المعاجم المحيطة بكل ما اطلع
عليه أصحابها من تصانيف ونصوص غاب أكثرها عن الأولين فكانوا
أوسع علماً ، ولذلك نجد ما لدى المتأخرين من ثروة نحوية او لغوية او
حديثية شيئاً وافراً مكنهم من ان تكون نظرتهم أشمل واحكامهم أسد .
ولو كانت هذه الثروة في ايدي الأقدمين كأبي عمرو بن العلاء
والاصمعي وسيبويه . . . لعضوا عليها بالنواجذ ولغيروا — فرحين

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ٣/ ١٩٩ بحث (الاستشهاد بالحديث) للسيد محمد الخضر حسين

مغبتين - كثيراً من قواعدهم التي صاحبها - حين وضعها - شح
المورد . ولكانوا اشد المنكرين على ابي حيان جموده وضيق نظراته
وانتجاعه الجذب ، والخصب محيط به من كل جانب .

ثم اتى الإمام ابن مالك (- ٦٧٢) فأكثر من الاستدلال بما وقع
في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب ولا سيما في
كتابه (التسهيل) إكثاراً ضاق به ابو حيان شارح (التسهيل) غير مرة ،
حتى غلا في بعض هذه المرات فقال : والمصنف قد أكثر من الاستدلال
بما ورد في الأثر متعقباً بزعمه على النحويين وما أمعن النظر في ذلك (١١)
ولا صاحب من له التمييز (١٢) ، كذا قال .

ثم جاء ابن هشام (- ٧٦١ هـ) تلميذ ابي حيان و تقيضه في مذهبه ازاء
الاستشهاد في الحديث ، يكثر من الاحتجاج به في كتبه ما وجد الى ذلك
سبيلاً كغيره من النحاة ، حتى لفت نظر مترجميه فنصوا على انه : كان
كثير المخالفة لشيخه ابي حيان ، شديد الانحراف عنه (١٣) .

وهؤلاء يردون اعتراضات المانعين في سهولة ويسر :
فأما المانع الأول وهو تجويز الرواية بالمعنى فيجيبون عليه بأن الأصل
الرواية باللفظ ، ومعنى تجويز الرواية بالمعنى ان ذلك احتمال عقلي فحسب
لا يقين بالوقوع ، وعلى فرض وقوعه فالمغير لفظاً بلفظ في معناه عربي

(١) انظر الاقتراح للسيوطي ص ١٩ - ٢١

(١) بغية الوعاة ص ٢٩٣

مطبوع يحتاج بكلامه في اللغة ، ونحن نعرف مقدار تحري علماء الحديث وضبطهم لألفاظه ، حتى اذا شك راوٍ عربي بين (على وجوههم) و (على مناخرهم) ^(١) أثبتوا شكه ودونوه مبالغة في التحري والدقة . هذا الى جانب كثير من الرواة صحابة وتابعين دونوا الأحاديث من عهد النبي ﷺ ، فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب الحديث حياة رسول الله ، وكذلك روي عن عبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد الساعدي من الصحابة الكرام . وهذا عمر بن عبد العزيز (١٠١ -) يكتب إلى الآفاق أن : « انظروا ما كان من حديث رسول الله أو سنته فاكتبوه » ثم كان الزهري (١٢٤ -) وابن أبي عروبة (١٥٦ -) والريعي بن صبيح (١٦٠ -) ممن دونوا الحديث كتابة . ثم شاع التدوين في الطبقات التي بعد هؤلاء ، وهذا كاف في غلبة الظن بأن الذي في مدونات الطبقة الأولى لفظ النبي نفسه ، فإن كان هناك إبدال لفظ بمرادفه فإنما أبدله عربي فصيح يحتاج به وإن وقع بعد ذلك شك في بعض الروايات من غلط أو تصحيف فنزير يسير لا يقاس أبداً إلى أمثاله في الشعر وكلام العرب ، فكثير من الأشعار نفسها رويت بروايات مختلفة ، وبعضها موضوع وربما كان ما فطنوا إلى وضعه منه

(١) في الحديث « وهل يكب الناس في النار على وجوههم (او قال على مناخرهم) الا حصائد السنتهم . » انظر الحديث (٢٩) في الاربعين النووية . وانظر أمثلة أخرى في كتاب (علوم الحديث ومصطلحه) ص ٧٧ - ٧٩

أقل من القليل، وجاز عليهم أكثر الموضوع اذ كان واضعه قد أحسن المحاكاة، قال الخليل بن أحمد: «ان النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ارادة اللبس والتعנית»^(١)،

وانتم تحتجون بهذا الشعر والنثر على عجره وبجره، هذا من حيث المتن، وأما من حيث السند فقد عرف المجيزون والممانعون أن ما في روايات الحديث من ضبط ودقة وتحري لا يتحلى ببعضه كل ما يحتاج به النحاة واللغويون من كلام العرب، حتى قال الأعمش: «كان هذا العلم عند أقوام كان أحدهم: لأن يخر من السماء أحب اليه من أن يزيد فيه واوا أو ألفا أو دالا»^(٢).

وأما المانع الثاني وهو وقوع لحن في بعض الأحاديث المروية، فهو شيء - ان وقع - قليل جداً لا يبنى عليه حكم، وقد تنبه اليه الناس وتحاموه ولم يحتاج به أحد، ولا يصح أن يمنع من اجله الاحتجاج بهذا الفيض الزاخر من الحديث الصحيح الا ان جاز اسقاط الاحتجاج بالقرآن الكريم لأن بعض الناس يلحن فيه. وانت تعرف الى هذا انهم قد تشددوا في اخذ الناس بضبط ألفاظ الحديث، حتى اذا لحن فيه شاد او عامي اقاموا عليه النكير، بل ان بعضهم ليدخله النار بسببه، وكان هذا التشديد تقليداً متوارثاً في حملة الحديث حتى يومنا هذا. وانظر

(١) الصاحبي ص ٣٠ المطبعة السلفية بالقاهرة

(٢) الكفاية ص ١٧٨

ان شئت ما أثبتته في هذا الموضوع أحد أعلام الشام السيد جمال الدين القاسمي (- ١٣٣٢ هـ) :

« من قرأ حديث رسول الله وهو يعلم انه يلحن فيه سواء أ كان في أدائه ام في اعرابه ، يدخل في هذا الوعيد الشديد (يعني قوله صلى الله عليه وسلم : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) لأنه يلحنه كاذب عليه . »^(١) هـ .

قلت : حتى الذين يروونه بالمعنى يعظمون امر اللحن في الحديث : فهذا امام اهل الشام الأوزاعي يقول : « أعربوا الحديث فإن القوم كانوا عرباً » ، ويقول : « لا بأس بإصلاح اللحن في الحديث » ، وهذا حماد بن سلمة يقول : « من لحن في حديثي فليس يحدث عني . » ، واليك هذه السلسلة :

عن الحسن بن علي الحلواني قال : « ما وجدتم في كتابي عن عفان لحناً فأعربوه فإن عفان كان لا يلحن » ، وقال لنا عفان : « ما وجدتم في كتابي عن حماد بن سلمة لحناً فأعربوه فإن حماداً كان لا يلحن » ، وقال حماد : « ما وجدتم في كتابي عن قتادة لحناً فأعربوه فإن قتادة كان لا يلحن . » — انظر كتاب (الف باء) للبلوي ٤٤/١ .

واغلب الظن ان من يستشهد بالحديث من المتقدمين لو تأخر به

(١) قواعد التحديث من فن مصطلح الحديث ص ١٥٦ دمشق مطبعة

ابن زيدون (١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥)

الزمّن الى العهد الذي راجت فيه بين الناس ثمرات علماء الحديث من رواية ودراية لقصروا احتجاجهم عليه بعد القرآن الكريم ، ولما التفتوا قط الى الأشعار والأخبار التي لا تلبث ان يطوقها الشك اذا وزنت بموازن فن الحديث العلمية الدقيقة ،

« واما ما ادعاه ابو حيان من ان المتأخرين من نخاة الأقاليم تابعوا المتقدمين في عدم الاحتجاج بالحديث ، فردود بأن كتب النخاة من اندلسيين وغيرهم مملوءة بالاستشهاد بالحديث ، وقد استدل بالحديث الشريف الصقلي والشريف الغرناطي في شرحيهما لكتاب سيبويه ، وابن الحاج في شرح المقرب ، وابن الخباز في شرح ألفية ابن معطي ، علي الشلوبين في كثير من مسائله ، وكذلك استشهد بالحديث السيرافي والصفار في شرحيهما لكتاب سيبويه وقال ابن العليبي : « بل رايت الاستشهاد بالحديث في كلام ابن حيان نفسه »^(١).

وجرى على ذلك العلماء حتى عصرنا الحاضر ، منهم المرحوم الاستاذ طه الراوي ، فقد كان يذهب الى الاحتجاج بما صح منها دون قيد ولا شرط ، ويعرض للذين اعترضوا بوجود اعاجم في رواية بعض الاحاديث فيقول « والقول بأن في رواية الحديث اعاجم ليس بشيء » ، لان ذلك يقال في رواية الشعر والنثر اللذين يحتاج بهما فان فيهم الكثير من الاعاجم ،

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٠٧/٣ بحث السيد محمد الحضر حسين - هذا ويقال لأبي حيان : ابن حيان ايضاً لان أحد أجداده (حيان) .

وهل في وسعهم ان يذكروا لنا محدثاً ممن يعتد به يمكن أن يوضع في صف (حامد الراوية) الذي كان (يكذب ، ويلحن ، ويكسر) ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهم عن الاحتجاج بمروياته ، ولكنهم تحرروا في الاحتجاج بالحديث... ثم لا ادري لم ترفع النحويون عما ارتضاه اللغويون من الانتفاع بهذا الشأن ، والاستقاء من ينبوعه الفياض بالعذب الزلال ، فأصبح ربع اللغة به خصيباً بقدر ما صار ربع النحو منه جديداً :

وكان حالهما في الحكم واحدة لو احتكنا من الدنيا إلى حكم" وقبله بقليل عالج هذا الموضوع السيد محمد الخضر حسين في مجلة مجمع اللغة العربية على خير ما يعالجه عالم ثبت مترو وقاض منصف ، و انتهى من بحثه إلى النتيجة المرضية الآتية :

" من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف بالاحتجاج به في اللغة (والقواعد) وهو ستة أنواع :

أولها — ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته عليه الصلاة والسلام كقوله (حمي الوطيس) وقوله (مات حتف أنفه) وقوله (الظلم ظلمات يوم القيامة) إلى نحو هذا من الأحاديث القصار المشتملة على شيء من محاسن البيان كقوله (ارجعن مأزورات غير مأجورات) وقوله (إن الله لا يمل حتى تملوا) .

(١) نظرة في النحو (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٤/٣٢٥ - ٣٢٧)

ثانيها — ما يروى من الأقوال التي كان يتعبد بها ، أو أمر بالتعبد بها
كألفاظ القنوت والتحيات وكثير من الأذكار والادعية التي كان
يدعو بها في أوقات خاصة .

ثالثها — ما يروى على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم .
وبما هو ظاهر أن الرواة يقصدون في هذه الأنواع الثلاثة إلى رواية
الحديث بلفظه .

رابعها — الاحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها ،
فإن اتحاد الالفاظ مع تعدد الطرق دليل على أن الرواة لم يتصرفوا في
الألفاظ ، والمراد أن تتعدد طرقها إلى النبي صلى عليه وسلم أو إلى الصحابة
أو إلى التابعين الذين ينطقون الكلام العربي فصيحاً .

خامسها — الاحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر
فيها فساد اللغة ، كمالك بن أنس وعبد الملك بن جريج والامام الشافعي .
سادسها — ما عرف من حال رواة أنهم لا يجيزون رواية الحديث
بالمعنى مثل ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وعلي بن المديني^(١)

(١) قلت : لعل ذلك هو الغالب على رجال الحديث وغيرهم ممن يروي
الحديث ، ولذا كان أول المرغبات عندهم في تعلم العربية صيانة ألفاظ القرآن
والحديث من التحريف أولاً وحسن فهمها ثانياً ، قال الاصمعي : « ان أخوف
ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو ان يدخل في جملة قول النبي ﷺ :
(من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار) لانه لم يكن يلحن ؛ فهمها رويت
عنه ولحنت فيه كذبت عليه . » ١ هـ مخطوطة الظاهرية لتاريخ دمشق لابن =

ومن الاحاديث ما لا ينبغي الاختلاف في عدم الاحتجاج به، وهي الاحاديث التي لم تدون في الصدر الاول وانما تروى في بعض كتب المتأخرين ...

والحديث الذي يصح أن تختلف الا نظار في الاستشهاد بالفاظه ، هو الحديث الذي دون في الصدر الاول ولم يكن من الانواع الستة الميينة آنفاً وهو على نوعين: حديث يردلفظه على وجه واحد ، وحديث اختلفت الرواية في بعض ألفاظه :

١ — أما الحديث الوارد على وجه واحد فالظاهر صحة الاحتجاج به؛ نظراً الى أن الاصل الرواية باللفظ، والى تشديدهم في الرواية بالمعنى، ويضاف الى هذا كله عدد من يوجد في السند من الرواة الذين لا يحتج بأقوالهم ، فقد يكون بين البخاري ومن يحتج بأقواله من الرواة واحد أو اثنان وأقصاهم ثلاثة .

ومثال هذا النوع أن الحريري أنكر على الناس قولهم قبل الزوال (سهرنا البارحة) قال : وانما يقال (سهرنا الليلة) . ويقال بعد الزوال (سهرنا البارحة) اهـ . والشاهد على صحة ما يقوله الناس حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أصبح قال : (هل رأى أحد منكم البارحة

=عساكر ٥ / الورقة ١٨١/١ والاصمعي هذا هو الذي كان — على جلالة قدره في اللغة العربية — يتقي ان يفسر حديث رسول الله كما يتقي ان يفسر القرآن! مبالغة منه في التحري والورع . — انظر الورقة ١٨٢/١ من الجزء نفسه .

(رؤيا ؟) وحديث : (وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح — وقد ستره الله — فيقول عملت البارحة كذا .) ففي قوله (اذا أصبح قال : هل رأى احد منكم البارحة) وقوله (ثم يصبح فيقول عملت البارحة) شاهد على صحة ان يقول الرجل متحدثاً عن الليلة الماضية وهو في الصباح : سهرنا البارحة ، او وقع البارحة كذا .

٢ — واما الاحاديث التي اختلفت فيها الرواية ٥٠٠ فنجيز الاستشهاد بما جاء في رواية مشهورة لم يغمزها احد المحدثين بأنها وهم من الراوي ^(١) . واما ما يجيء في رواية شاذة ، او في رواية يقول فيها بعض المحدثين : انها غلط من الراوي ^(٢) ، فنقف دون الاستشهاد بها .

و خلاصة البحث انا نرى الاستشهاد بالفاظ ما يروى في كتب الحديث المدونة في الصدر الاول وان اختلفت فيها الرواية ، ولا نستثني الا الالفاظ التي تجيء في رواية شاذة او يغمزها بعض المحدثين بالغلط او التصحيف غمراً لا مرد له ، ويشد ازرنا في ترجيح هذا الرأي ان جمهور اللغويين وطائفة عظيمة من النحويين يستشهدون بالالفاظ الواردة في الحديث ولو على بعض رواياته ^(٣) . هـ

(١) مثلها الاستاذ بكلمة (قام النبي ﷺ مثلاً) اي منتصباً ، والمعروف في كلام العرب انما هو (مائل) . وانظرها في لسان العرب .

(٢) مثلها الاستاذ بكلمة (ان كلماته بلغت ناعوس البحر) . وفي بقية الروايات « قاموس البحر » و « ناعوس غير معروفة في كلام العرب

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٠٨/٣ - ٢١٠

٣ - كلام العرب

اما العرب المحتج بهم فقد عرفت من هم في القسم الثالث من هذا البحث باسهاب فلا نعيد منه هنا شيئاً ، فقد اقتصر العلماء على تدوين كلام القبائل الضارين في وسط الجزيرة : كأسد وقيس وتميم وهذيل ، والذي دون منه كلام لبعض افراد منهم . فاذا نسبت هؤلاء الافراد الى قبائلهم ، ثم نسبت هذه القبائل القليلة الى قبائل العرب عامة ، عرفت صدق ابي عمرو بن العلاء وصحة مذهبه حين قال :

ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعر كثير ^(١) .

ومن ينعم النظر في معاجم اللغة وكتب قواعدها يجد كتب اللغويين أوفر حظاً في الاستشهاد بالشعر والنثر على السواء في إثبات معنى أو استعمال كلمة ، ويجد النحاة يكادون يقتصرون على الشعر . وزادت عنايتهم بالشواهد الشعرية مع الزمن ؛ حتى « كان أبو مسحل

(١) في طبقات فحول الشعراء لابن سلام : قال عمر بن الخطاب « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه » ، فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوها بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته فلما كثرت الاسلام ، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمن ، واجمعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل . فحفظوا ذلك وذهب عليهم منه كثير . اهـ

ص ٢٢ طبعة دار المعارف بشرح محمود محمد شاكر

يروى عن علي بن المبارك الأحمر أربعين ألف بيت شاهد في النحو^(١)، بل كان أبو بكر الأنباري (٣٢٨ -) يحفظ فيما ذكر ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن الكريم^(٢). ونحن إن قابلنا الشواهد النثرية عند هؤلاء وأولئك بالشواهد الشعرية وجدناها ضئيلة جداً، فإذا أضفت إلى ذلك كله، حملهم على الصرورة الشعرية كل شعر لم ينطبق على قواعدهم ومقاييسهم^(٣) التي بنوها على استقراء ناقص جداً، عرفت أن أساس تلك القواعد والقوانين غير متين من الناحية النظرية على الأقل.

(١) بغية الوعاة ص ٢٨٢، ٣١٨، ٣٣٤.

(٢) طبقات الخبابة ص ٣٢٨

(٣) بل كان بعض قدماء النحاة لا يستشهد بشعر جرير والفرزدق والاختل ولا يتورع عن تلحينهم فيما لا ينطبق على قواعدهم. هذا عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو مولى يلحن الفرزدق في قوله :

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب من ندبف القطن منشور
على عمامنا تلقى ، وأرحلنا على زواحف تزجي ، مخارير

ويقول له : « الا قلت : على زواحف تزجيها محاسير ، فيغضب الفرزدق قائلاً « والله لأهجونك بيت يكون شاهداً على ألسنة النحويين أبداً » = ويهجو به قوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا
الشعر والشعراء ٣٥ « بتحقيق احمد محمد شاكر وانظر حزانة الادب
للبيدادي ٢١٧/١ - ٢١٩ ، طبع السلفية ومراتب النحويين ص ١٢ .
فيستمر عبد الله في تلحينه ذاهباً الى انه ينبغي ان يقول : مولى موال . ثم يخضع
الفرزدق لسلطان النحو فيتشوف الى أن يصلح ابن أبي إسحاق مافي شعره من
خلل - الموشع ص ١٠٠ =

ولما سمع قول عثمان النبي الفصيح الرائع الملقب بالعربي لفصاحته الذي قال فيه يونس : « ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن النبي » لما سمع قوله :

كورهاء مشني إليها حليها

قال : أخطأ عربكم : إنما هو : مشنوء . - إنباء الرواة ٣٤٤/٢ توفي
البتي سنة ١٤٣ هـ

ومن قبله كان يونس بن حبيب يؤخذ رؤبة وإياه العجاج باشتقاقا يشقانها على غير القياس عنده حتى ضاق به رؤبة وقال له : « علينا أن نقول وعليكم أن تعربوا . » هذا وقد ارتقى ببعضهم الأمر إلى تلحين بعض فحول الجاهلية كما وقع لعيسى ابن عمر . فانه كان يقول : أساء النابغة بقوله : « . . . في أنبياء السم نافع » وكان عليه أن يقول « نافعاً » . وعيسى هذا معروف مثل ابن أبي إسحق بأنه كان يطعن على العرب ويخطئ المشاهير منهم ، (إنباء الرواة ٣٧٥/٢ وطبقات النجوين واللغوين ص ٢٦) وكان أبو عمرو بن عبد العلاء وابن أبي اسحاق هذا والحسن البصري وابن شهرة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم - تاريخ آداب العرب للرافعي ٣٦٨/١

ويقول ابن فارس : « ما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الغلط والخطأ فما صح في شعرهم فمقبول ، وأما أبته العربية وأصولها فهو مردود كقوله :

ألم يأتيك والأنباء تنمي

لما جفا أخوانه مصعباً

وقوله :

قفأ عند ما تعرفان ربوع

وقوله :

فشكله غلط وخطأ هـ ١ - مجلة المجمع العلمي العربي ٣٢٧/١٤

وكان الاصمعي ينكر أن يقال (أبرق وأرعد) ولما الصواب (برقت السماء ورعدت) فلما أنشد قول ذي الرمة :

إذا خشيت منه الهرمة أبرقت له برقة من خلدب غير ماطر

أنكره ، ولم يكن يرى ذا الرمة حجة ، فلما أنشده بيت الكميت :

أبرق وأرعد يا يزيد فما وعيدك لي بضائر

قال : « الكميت جرمقاني » !! - لسان العرب : مادة (برق)

(٥)

بعض فواعدهم في الاستعجاب^(١)

١ - المسموع إما مطرد وإما شاذ . والاطراد والشذوذ أربعة أضرب :

١ - مطرد في القياس والاستعمال معاً ، كرفع الفاعل ونصب المفعول . وهذا أقوى مراتب الكلام .

٢ - مطرد في القياس شاذ في الاستعمال نحو الماضي من يذر ويدع^(٢) . وقولهم (مكان مبقل) هذا هو القياس ، والأكثر في السماع (باقل) ، وكذا مجيء منصوب عسى اسماً صريحاً مثل (عسى زيد قائماً) غير أن الأكثر مجيئه فعلاً :

٣ - مطرد في الاستعمال شاذ في القياس ، نحو قولهم : (استحوذ استنوق ، استنصب) والقياس الإعلال (استحاذ ٠٠) .

٤ - شاذ في القياس وفي الاستعمال معاً كقولهم : ثوب مصوون ، وفرس مقوود^(٣) .

(١) مقتبسة بتصرف من كتاب « الاقتراح للسيوطي » ، ص ٢٤ - ٤١

(٢) علمت ما في هذا الحكم من خطأ ص ٣٠

(٣) تنمة - قال ابن هشام :

اعلم انهم يستعملون غالباً ، وكثيراً ، ونادراً وقليلاً ، ومطرداً ، فالطرود لا يتخلف ، والغالب اكثر الاشياء ولكنه يتخلف ، والكثير دونه ، والقليل دونه ، والنادر أقل من القليل . فالعشرون بالنسبة الى « ٢٣ » غالب ، والخمسة عشر بالنسبة اليها كثير لا غالب ، والثلاثة قليل ، والواحد نادر .

٢ - لا تشترط العدالة في العربي المروي عنه وإنما تشترط في الراوي .

٣ - يقبل ما ينفرد به الفصحح لاحتمال أن يكون سماع لغة قديمة باد المتكلمون بها .

٤ - اللغات على اختلافها حجة كلها . ألا ترى أن لغة الحجازيين في إعمال (ما) ، ولغة التميميين في تركه كل منهما يقبله القياس ؟ ، فليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبها ^(١) .

٥ - في تداخل اللغات :

إذا اجتمع في كلام الفصحح لغتان فصاعداً كقوله :
وأشرب الماء ما بي نحوه عطش إلا لأن عيونه ^(٢) سال واديهما
فقال (نحوه) بالإشباع و (عيونه) بالإسكان ... اعتبرتا معاً ، لأن
العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها وسعة تصرف أقوالها
ويجوز أن تكون لغته إحداهما ، ثم انه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى ..
قال الأصمعي : اختلف رجلان في (الصقر) فقال أحدهما بالصاد وقال
الآخر بالسين ، فتراضيا بأول واردا عليهما ، فحكيا ما هما فيه ، فقال : « لا
أقول كما قلتما ، انما هو الزقر ، وعلى هذا يتخرج جميع ما ورد من التداخل

(١) قلت : أورد ابن فارس في كتابه « الصاحي » طائفة من هذه اللغات ثم قال : « .. وكل هذه اللغات مسماة منسوبة الى اصحابها .. وهي وان كانت لقوم دون قوم ، فانها لما انتشرت تعارها كل » . - الصاحي ص ٢٢
(٢) كذا ، والذي في لسان العرب مادة «ها» : « سيل واديهما » واعلمها الصواب

نحو لغة (قلى يقلى) أخذ ماضيها من لغة (قلى يقلى) ومضارعها من لغة (قلى يقلى) ومثلها (سلى يسلى) .

٦ — إذا دخل دليل الاحتمال سقط به الاستدلال .

رد أبو حيان بهذه القاعدة على ابن مالك كثيراً في مسائل استدلالها ، منها استدلاله على قصر (الأخ) بقوله :

أخاك الذي إن تدعه لمامة يحبك بما تبغي ويكفيك من يبغي
فإنه يحتمل أن يكون منصوباً بإخمار فعل (الزم) . وبذا لا يصح الاستدلال بالبيت على قصر (الأخ) .

٧ — كثيراً ما تروى الايات على أوجه مختلفة ، ويكون الشاهد في بعض دون بعض :

روي قول الشاعر : ولا أرض أبقل إبقا لها

على وجه ثالث : ولا أرض أبقلت إبقا لها

بالتذكير مرة ، وبالتأنيث مع نقل حركة الهمزة إلى التاء مرة أخرى ، فان صح أن القائل بالتأنيث هو القائل بالتذكير ، صح الاستشهاد به على الجواز من غير الضرورة ؛ وإلا فقد كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض ، وكل يتكلم على سجيته التي فطر عليها . ومن هنا تكثر الروايات في بعض الأيات .

٨ — لا يحتاج في اللغة العربية بكلام المولدين والمحدثين ، فابن

هرمة (— ١٥٠) آخر الإسلاميين المحتج بأقوالهم ، وبشار (— ١٦٧)

رأس المحدثين غير المحتج بكلامهم^(١).

٩- لا يجوز الاحتجاج بشعر ولاثر لا يعرف قائله إلا إذا رواه عربي ممن يحتج بكلامه^(٢)، مخافة أن يكون لمولد أولم لا يوتق بفصاحته ، فمثلاً أجاز الكوفيون :

١- إظهار (أن) بعد (كي) مستشهدين بقول الشاعر :

أردت لكياً أن تطير بقربي فتركها شناً بيداء بلقع

٢- وأجازوا دخول اللام في خبر لكن واحتجوا بقول الشاعر :
ولكنني من حبها لعميد

وكلا الرأيين لا يثبت لأن البيت الأول مجهول القائل فلا يحتج به ،
والشطر الثاني لا يعرف قائله ولا شطره الأول ، وما بني عليهما غير
صحيح^(٣).

هذا خلاصة ما أتى به السيوطي من قواعد في الاحتجاج ، بعضه موضع
نظر اليوم وبعضه سليم لا خلاف فيه :

(١) سبق هذا ص ١٩

(٢) انظر القياس في اللغة العربية للسيد محمد الحضر حسين ص ٣٨

(٣) وابن هشام لا يسلم دائماً باسقاط الاحتجاج بالمجهول وهذه حجته :

« ولو صح ذلك لسقط الاحتجاج بخمسين بيتاً من كتاب سيبويه فان فيه ألف
بيت عرف قائلوها وخمسين مجهولة القائلين ، اهـ . قلت : وليكن ذلك ، وماذا
فيه ؟ والمنهج الحق يقتضي هذا الاسقاط .

فأما الذي هو موضع نظر اليوم فكالقاعدة الثالثة والسابعة، لقد كان الاقدمون يسجلون كل ما يسمعون حينئذ ولو لغية ودبئة او لهجة ضعيفة، فكثرت الوجوه في المسألة الواحدة دون تمييز بين ما عليه اكثر العرب وما انفرد به بعضهم . والهدف اليوم التنظيم والتشذيب والاخذ بالوجه الواحد الاصح فلا يستعمل غيره إلا في الضرورات ، وخير ان يحفظ في المطولات للفائدة العلمية النظرية دون استعمال . فلئن كان هدفهم قديماً الاستكثار من المعلومات والتباهي، إن هدفنا اليوم تعميم اللغة الفصحى وتيسيرها في نظام منسق يخفف ما قد يكون عالماً بقواعدها من تطويل وتفريع وشذوذ على قلته .

وأما الذي يجب ان يبقى منها محكماً في امتحان كل قاعدة فإسقاط الإحتجاج بما ينطرق اليه الاحتمال، وما تأخر زمان صاحبه عن زمن الإحتجاج، ومجهول القائل . ونرى اضافة القواعد الآتية :

١ - لا يحتج للقاعدة بكلام له روايتان متساويتان في القوة ، احدهما تؤيدها والاخرى لاعلاقة لها بها ، لاحتمال ان تكون الثانية هي التي قالها المتكلم كالشاهد المتقدم في القاعدة (٧) ، وكالجرى (لعل) اعتماداً على احدى روايتين في بيت كعب بن سعد الغنوي :

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبا المغوار منك قريب ^(١)
والرواية الثانية : (لعل أبي المغوار) بالجر ، فتروض لاستدعائها إنشاء حكم جديد للأداة (لعل) هو الجر ، ولأن الأصل هو أولى بالاتباع وهو النصب بها .

وكذلك ترفض رواية التل المشهور (مكره اخاك لا بطل) ونقطع ان الأصل « مكره اخوك لا بطل » حسب القاعدة المطردة ؛ وهي الرواية التي أثبتنا وحدها الميداني صاحب مجمع الامثال .

(١) انظر معني اللب . مادة (لعل) وشرح شواهد المعني للسيوطي ص ٢٣٦

٢ - لا يننى على شاهد قبل تحريره والتوثق من ضبطه ، إذ كثيراً ما ترد الشواهد في كتب النحاة محرفة ويكون موضع التحريف هو موضع الاستشهاد على القاعدة ، ولو حرر الشاهد ما كان للقاعدة مؤيد ، واليك بعض الامثلة :

أ - زعم بعض النحاة جواز الجمع بين « كي » و « أن » ، واستشهد بالشاهد المجهول القائل الذي مر آخر القاعدة التاسعة ، وبقول جميل الذي روه بهذا النص :

فقلت : أكل الناس أصبحت مانحاً لسانك كما ان تفر وتخدعا^(١)
وبالرجوع الى الديوان نجد النص : لسانك هذا كي تفر وتخدعا
وبهذا تنهار القاعدة من أساسها إذ لا شاهد معروفاً يؤيدها .
ب - قالوا : ان نون التوكيد الحفيفة قد تحذف ويبقى آخر الفعل مفتوحاً دليلاً عليها واستشهدوا بقول الأضبط بن قريع الذي روه :
لأنهن الفقير علك أن تر كع يوماً والدر قد رفعه
وهذه الرواية محرفة فالييت من قصيدته التي مطلعها :
لكل هم من الموم سعة والمسي والصبح لافلاح معه
من البحر المنسرح ، وروايتهم له جعلته من البحر الحفيف ، وصحة البيت :
لا تحقرن الفقير علك أن تر كع يوماً والدر قد رفعه
وبهذا تبقى قاعدتهم مفتقرة الى شاهد قوي .

ج - سلم صاحب مغنى اللبيب للذين زعموا جواز حذف الفعل المنصوب بـ (كي) مع بقاء بقوله : « نعم وقع في صحيح البخاري في تفسيره وجود يومئذ قاضية » : [فيذهب كما فيعود ظهره طبقاً واحداً] أي (كما يسجد) ، وهو غريب جداً لا يحتمل القياس عليه .

وكل ما في الامر هو ما قرره ابن حجر بقوله : « الثابت في نسخ البخاري

التصريح بـ (يسجد) ، فلعل ابن هشام وقعت له نسخة بجذف [يسجد] ، ١١٩
قلت : لو نحرى ابن هشام لفظ الحديث في غير نسخة لم يتوهم ماتوهم ، وإذا
لاصحة لهذا الحكم : اجتماع (كي) و (أن) على فعل واحد (٢) .

٣ - لا يكتفى بالكلام الا بتر اذ كثيراً ما يكون داعية الخطأ
في المبني والمعنى ، فيجب الرجوع الى الشاهد في ديوان صاحبه ان كان
شعراً ، وفي مصادره المحققة الاولى ان كان نثراً لمعرفة ما قبله وما بعده ؛
واليك المثال :

هناك شواهد شعرية قليلة فيها لغة « أكلوني البراغيث » اضطر فيها الشاعر
الى مطابقة الفعل المتقدم للفاعل المتأخر في التثنية والجمع ، وقد أراد نخاة أن
يخرجوا هذه اللغة التي نسبت الى بعض طيء وبعض أزد شئوء ، فأتعبوا أنفسهم
في غير طائل ، لأن هذه الروايات ان صحت فهي شاذة ولغتها رديئة لا يحجج
بها ولم يخطئ من نبزها بلغة « أكلوني البراغيث »
لكن بعضاً من فضلاء النخاة الأقدمين توهموا فظفوا آية « وأمسروا النجوى »
وحديث « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » من هذه اللغة ، وكان
الذي أوقعهم في الضلالة اكتفاؤهم بجملة من آية وجملة من حديث ، أما الآية

(١) جعل ابن هشام هذا من الضرورة - اضطر مغني البيب مادة (كي) .
(٢) هذا وهناك رواية النخاة الكوفيين لبيت جرير شاهداً على النصب بنزع الخافض
كالشمس شبرة :

تمرون الديار ولم تمرجوا كلامكم علي اذا حرام
وهي رواية خاطئة كان يجب ان ينههم الى خطئها اختلاف الزمن الذي افسد المعنى
(تمرون) و (لم تمرجوا) والذي قال جرير : « مررت بالديار ولم تمرجوا » . أما القاعدة
فصحيحة ولها شواهد غير هذا ، واما الاحتجاج ففاسد لتحريف الرواية - اضطر ديوان جرير
وشرح شواهد المغني لسيوطي ص ١٠٧

فلها أول : « اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون . لاهية قلوبهم وأمروا
النجمي ، الذين ظلموا : هل هذا إلا بشر مثلكم ،
ف (الذين) ليست فاعلا ل (امرؤا) والواو في (امرؤا) لا تعود إلى
(الذين) كما توهموا ، بل إلى (الناس) الواردة في أول الكلام ؛ أما (الذين)
فهي فاعل ل (قال) المحروفة ، كما يرد كثيراً في القرآن الكريم بإثبات المقول
وحذف فعل القول ، وليس هنا مكان لإيراد الشواهد الكثيرة على هذا الأسلوب
القرآني المعروف .

وأما الحديث فزعموا أن واو (يتعاقبون) تعود إلى (ملائكة) التي
بعدها ، وليس ذلك بصحيح . فلحديث أول ذكر في موطأ مالك وغيره
وفيه مرجع الواو وهذا نصه : « إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار » .

وإذاً لا شاهد على هذه اللغة غير الضرورات الشعرية .

٤ - ينبغي التفريق بين ما يرتكب للضرورة الشعرية وما يؤتى
به على السعة والاختيار ، فإن اطمأنت النفس إلى بناء القواعد على
الصنف الثاني فقي جعل الضرورات الشعرية قانوناً عاماً للكلام نظمته
ونثره الخطأ كل الخطأ .

واليك بعض الشواهد التي تروى في كتب النحو وهي فطرة من بحر :

- ١ - ألم يأتيك والانباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد - قيس بن زهير العبسي
- ٢ - لن يجب الآن من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة - أعرابي؟
- ٣ - لكنني حينما بيني الموى بصري من حينما سلكوا أدنوا فأنظور
- ٤ - وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع - العباس بن مرداس
- ٥ - طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت بشيب غائلة الثغور غدور - الأخطل

فزموا اعتماداً على الشاهد الاول أن العرب قد ترفع الفعل بعد (لم) وأن (لن) قد تجزم المضارع اعتماداً على الشاهد الثاني ، وأنه يجوز أن نشبع (فأنظر) بتوليد واو من الضمة اعتماداً على الشاهد الثالث ، وأنه يجوز منع المنون من الصرف إذا كان علماً^(١) بناء على الشاهد الرابع والخامس الخ . . الى شواهد كثيرة ألجأت فيها الضرورة الشاعر الى خلل في نظم تراكيبه . فهذا كله خطأ ارتكب ضرورة حين كان الشعر يرتجل فلا يجوز بناء حكم عليه البتة ، بل ان مثل هذه الضرورات القبيحة غير سائغة اليوم بوجه من الوجوه لأن الشعر لا يرتجل في زماننا هكذا .

(٦)

خاتمة

الآن ، وبعد ما تقدم كله ، نستطيع ان نجمل الرأي في صنيع النحاة المتقدمين حول الاحتجاج في النظرات الآتية :

١ - لم يصدروا في تنسيق شواهدهم عن خطة محكمة شاملة ، فأنت تجد في البحث من بحوثهم قواعد عدة ، هذه تستند الى كلام رجل من قبيلة اسد ، وتلك الى كلام رجل من تميم ، والثالثة الى كلمة لقرشي . وتجد على القاعدة تفرعاً دعا اليه بيت لشاعر جاهلي ، واستثناء مبنياً على شاهد واحد اضطر فيه الشاعر الى ان يركب الوعر حتى يستقيم له وزن البيت . ولعل عذرهم في ذلك انه ليس

(١) مذهب المرحوم ابراهيم مصطفى في كتابه احياء النحوص ١٦٩ ، ١٧٩

لديهم نصوص مصنفة على القبائل ، فلم يعن الرواة ولا المؤلفون الاولون بأن يذكروا كلام كل قبيلة في نسق ، حتى يأتي النحوي فيستنبط قواعد كل لهجة على سحدة خطوة اولى ، ثم يبحث عن الأشيع في لهجات القبائل فيقعده عليه قواعد . ويصدق عليهم في ذلك تماماً ما يأخذه الأستاذ احمد امين على واضعي المعاجم الذين حشروا اللغات واللغات واللهجات والتصحيقات والضرورات معاً فتضخمت معاجمهم تضخماً زائداً . وكان الأولى ان تستبعد اللغات ويحقق التصحيف وتترك اللهجات^(١) ، واذا لاختصرنا حيزاً كبيراً من معاجمنا . ولرمينا بكثير من البلبلة والفوضى والاضطراب يعاينيه متصفح هذه المعاجم ، الذي كثيراً ما يحار بين الأقوال والروايات المتضاربة: أيها يأخذ وأيها يدع؟

وهذا نفسه فعله النحاة ، فلو سئلنا : على لغة اية قبيلة ينطبق نحوكم الذي تدرسونه اليوم؟ ما أستطعنا تسمية القبيلة باطمئنان ، بل نكون اقرب الى دقة اذا أجبنا أنه أسس على خليط لا نظام له مما روي على انه تكلمت به العرب .

(١) انظر ضحى الاسلام ٣١٩/١ . فكثيراً ما تتغير اللهجات فتضع حرفاً مكان حرف ف « عثا و عاث » و « اشائع والشاعي » وما اليها خلاف لهجات فحسب ، لكن المدوين جعلوها مواد مستقلة فزادوا في حجم موسوعاتهم زيادة غير قليلة ، والمادة في الاصل واحدة .

وعلى أن الخليل بن احمد رحمه الله وضع بما أوتي من ذهن رياضي علمي منظم خطة قريبة ، وأخذ نفسه — فيما نظن — بها ، ان الذين أتوا بعده انحرفوا كثيراً عن المنهج وحشروا في بحوثهم ما قرب وما بعد ، وما صح ولم يصح ، إرادة المكاثرة والمفاخرة في العلم : قال رجل للخليل : « أخبرني عما وضعت مما سميت عريية : أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ » فقال « لا » فقال : « كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ » فقال : « أحمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات » ، ^(١) .

فأنت ترى أن إمام البصريين خط للنحو خطة هي أشبه بالتشذيب منها بالتنظيم ، فقد أهدر كثيراً مما يتكلم به العرب لتسلم له قواعد غالبية بقدر الامكان .

وعلى قصور هذه الخطة فقد كان الخير في اتباعها وتعاهدها بالإحكام مع الزمن ، فنهج قريب يتبع بأمانة وإصلاح خير من لانهج ، وهذا ما لم يكن مع الاسف الشديد .

٢ — لم يدرسوا الرواة وأحوالهم ومن منهم الثقة الضابط ومن منهم الوضاع والمخلط ، فلم نعرف عن طبقات رواة اللغة ما عرفنا عن طبقات المحدثين ، ولا حظي فن الرواية اللغوية ببعض ما حظي به فن

رواية الحديث ، ومع أن بعضهم حاول تقليد المحدثين في الجرح والتعديل فكان ينص في ترجمة الخليل وابي عمرو بن العلاء مثلاً على أمانتهما وينص في ترجمة قطرب بما يشعر بكذبه ، ويشير إلى تزييد الاصمعي . . إن صنعهم أشبه بتقليد ابتدائي لا علمية فيه .

٣ - لم يحققوا النصوص التي بنوا عليها لا سنداً ولا متناً ، أما السند فكثيراً ما تجد الشاهد في كتبهم منسوباً إلى غير قائله ، وأما المتن فكثيراً ما تجده مروياً عندهم على غير الصحيح ويبنون قاعدتهم على موضع الخطأ منه^(١) . وكان عليهم أن يتقصوا الروايات المختلفة ويحققوها متحررين صحيحها من زائفها ، وإذا استطاعوا الاطمئنان إلى ما يبنون عليها من قواعد .

١٩ ، واليك أمثلة على ذلك :

١ - عرفت أنهم استشهدوا بهذين البيتين :

أردت لكيا أن تطير بقربني فتتركها شنا ببيداه بلفع ،
فقلت أكل الناس أصبحت مانحاً لسانك كيا أن نفر وتخدعا

على جواز ورود « أن » بعد « كي » في الشعر ، وقالوا في البيت الأول « كي » أما تعليلية مؤكدة للام ، وأما مصدرية مؤكدة بـ « أن » ، ويرى الاخفش أن « كي » حرف جر وأن الناصب للفعل كلمة « أن » ، أما ظاهرة كما في البيت الثاني وأما مضمرة .

أما البيت الأول فلا يعرف قائله كما تقدم ، ولذا لا يصح الاحتجاج به ، وأما البيت الثاني فروايته خطأ ، وقد رآه السيوطي نفسه في ديوان جميل ليس فيه جمع -

ويرحم الله ابن سلام إذ قال « وجدنا رواة العلم يغلطون في الشعر،

- «أن» و «كي» ورواية الديوان : لسانك هذا كي تفر وتخدع
واذا لا أصل لما ذكروا من جواز وضرورة وتخريج . فلا تجتمع . «أن»
و «كي» في نص صحيح .

انظر معاً : مغني اللبيب لابن هشام . مادة (كي) ، و (أوضح المسالك)
للمؤلف نفسه : باب نصب المضارع ، وشرح شواهد المغني للسيوطي : (شواهد كي)
ص ١٧٣ وشرح شذور الذهب لابن هشام ص ٣٤٧ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة)
٢ - قال سيبويه : « وما جاء من الشعر في الاجراء على الموضع (أي مراعاة
الحل لا اللفظ في الاغراب) قول عقيبة الاسدي :

« معاري اتنا بشر فأسجج فلسنا بالجبال ولا الحديد
أديروها بني حرب عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيداء » - الكتاب ١/ ٣٤
وأبيات عقيبة هذا مشهورة ، كلها مجرور الآخر ومنها :
أكلتم أرضنا فجردتموها فهل من قائم أو من حصيد
واذا لا شاهد فيها على ما أورده سيبويه . وقد حاول بعضهم الاعتذار عن
سيبويه بأن مقطوعة أخرى فيها هذا البيت ، منصوبة الآخر ومنها البيت الثاني لشاعر آخر
هو ابن الزبير الاسدي ، ولا عذر بعض تصريح سيبويه بأن شاعره عقيبة الاسدي .
انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٤٥ (بتحقيق احمد محمد شاكر) وخزانة
الادب ببغداد ٢/ ٢٢٥ (طبعة السلفية) .

٣ - استشهدوا على لغة (أكلوني البراغيث) بالحديث الصحيح :
« يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ... »
واكثر ابن مالك من الاستشهاد به حتى صار يسمي هذه اللغة (لغة يتعاقبون)
ولو تحروا الشاهد لعلوا أنه مختصر من حديث مطول رواه البزار أوله :
« ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .. » =

ولا يضبط الشعر إلا أهله^(١) .

٤ — تفريطهم بقسم كبير من اللغة حين أهملوا الاحتجاج ببعض القراءات التي قرئ بها القرآن الكريم، وأهملوا الاحتجاج بالحديث النبوي وفي ذلك إهدار لجزء غير يسير من أبلغ الكلام العربي واعلاه. بل لقد أخطؤوا حين تهاونوا بكتب الامام الشافعي ومن في طبقته من الفصحاء الذين نشؤوا في بيئة سليمة ولم يتطرق الفساد الى لغتهم، وهذه إضاعة أسف لها حتى علماء المشرقيات من الأجانب، والحق كل الحق معهم، فقد ذهبوا الى ان « بتدوين مثل الشافعي علوم الشريعة إغناء للغة العربية بوسائل التأدية، اكثر مما أغناها به كثير من الشعراء. وهذه الناحية - مع الأسف - أهملها علماء الشرق إهمالاً تاماً واشتغلوا بشواهد لشعراء مجهولين . فكان هذا الاشتغال عبثاً اذا قيس بذلك الإهمال^(٢) .

= واذا لا شاهد فيه وبقيت (لغة البراغيث) محتاجة الى شاهد صحيح .

— انظر الاقتراح للسيوطي ص ٢٢

(١) طبقات الشعراء ص ٥٠

(٢) (التطور النحوي) لبرجسترامر (أملاه في كلية الآداب بالجامعة المصرية) ص ١٣٨ . هذا وقد عرف الاقدمون للشافعي قوة سليقته وعلو كعبه في اللغة حتى وصفه عالم من أهل زمانه هو عبد الملك بن هشام صاحب السيرة (- ٢١٣) فقال « جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة الا (اذا) اعتبرها المعتبر لا يجد كلمة في العربية أحسن منها » و « كان قوم من أهل العربية

وبما تقدم تعلم ان الصورة التي تتمثل في ذهن من يعالج النحو واللغة في كتبها القديمة غير صحيحة التعبير ولا صادقة عما كانت عليه اللغة العربية شعراً ونثراً ، وستسلم الى حد بعيد بما ذهب اليه اسرائيل ولفنسون من ان حالة اللغة العربية عند ظهور الاسلام يجب ان تبحث في القرآن اولاً . ثم في الأحاديث ثانياً ، ثم في الأمثال ثالثاً . . . ثم في الشعر الجاهلي على تحفظ ،^(١) .

ان ما مر بك من هذا البحث حتى الآن عن نقص في النظام والتحري في مرويات اللغويين والنحاة ، يجعلك تسلم بما ذهب اليه هذا العالم دون تردد .

=تختلفون الى مجلس الشافعي معنا ويجلسون فاحية ، فقلت لرجل من رؤسائهم :
« انكم لاتعاطون العلم فلم تختلفون معنا ؟ قالوا : « نسمع لغة الشافعي » .
وتصحيح الاصمعي عليه شعر الهذليين مشهور عند الادباء ، وبحق قال ابن هشام
المذكور : « لغة الشافعي محتج بها » انظر ارشاد الارب ١٧ / ٢٩٩ .

(١) انظر تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون ص ٢١٣ - ٢١٧ (مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

القياس

القياس

- ١ - من تاريخ القياس والقياسيين . ب - أثر العلوم الدينية فيه .
ج - من احكام القياس . د - المصريون والقياس .
أبرز فرق بين علم اللغة وعلم الصرف والنحو ان الأول طريقه
السمع والثاني طريقه القياس ولذلك عرفوا النحو بأنه :
« علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب » .
وادق من ذلك في رأي قول الكسائي :
« انما النحو قياس يُتَّبَع » ^(١) .

اذلست اعقل النحو الا استقراء ثم قياساً .
اما القياس نفسه هنا فحمل غير المنقول على المنقول في حكم لعل
جامعة ^(٢) وهم يعمدون اليه اذا كان المنقول عن العرب مستفيضاً بحيث

(١) مطلع قصيدة له ذكرها القفطي في ترجمته - انباء الرواة ٢٦٧/٢
وانظرها في تاريخ بغداد .

وذكر الزجاجي أنه « علم قياسي ومسبار لأكثر العلوم لا يقبل الا يبراهين
وحجج » الايضاح ص ٤١ .

(٢) قال ابن الانباري : مثل ان تركيب قياساً في الدلالة على رفع ما لم يسم
فاعله فتقول :

اسم أُسند الفعل اليه مقدماً عليه فوجب أن يكون مرفوعاً قياساً على
الفاعل . فالفاعل : أصل مقيس عليه ، ونائبه : فرع مقيس ، والحكم الرفع ،
والعلة الجامعة الاسناد . (عين الاقتراح للسيوطي ٤٧) .

يطمان الى انه كثير في كلامهم كثرة أرادوا معها القياس عليه .
وسأتناول طرفاً من تاريخه وما أفادت العربية منه . ثم أتكلم على أركانه ،
ثم أختم بعمل المحدثين فيه وما يرجى للغتنا من فوائده لآيامنا هذه .

(أ)

من تاريخ القياس

استقرى مدونو النحو ما وصلهم من كلام العرب وراعوا الحكم
السائد في الأعم الأغلب منه . ، فدققوا علله و صنفوها ثم وضعوا
قوانينهم المطردة . ولا شك في ان بعض المنقول من مختلف اللهجات
يخرج على هذه القوانين ، فحاول النحاة تسجيله وتذليل بعض احكامهم
باستثناءات وتفريعات ، وبذلوا في ذلك جهداً صادقاً حتى لا يشذ على
قوانينهم شيء ذوبال ، وحتى تكون محيطة بكلام العرب على قدر
الإمكان . ومع ذلك شذت على استثناءاتهم وقودهم بعض نواذر لا قيمة
لها ؛ وانما العبرة بما اطرده في اكثر كلامهم .

كان هناك فريقان من علماء العربية : فريق حاول قصر الناس على
السماع والتزامه والجمود عليه ، فلم يكتب لمذهبه البقاء لمخالفته طبائع
الاشياء ولان من غير المعقول ان يكون كلامنا كله بمفرداته وتراكيبه
وارداً عن العرب ، فالعرب اذا قالت مثلاً (كتب زيد) فإنه يجوز
ان يسند هذا الفعل الى عمرو وبشر وأردشير .. الى ما لا يدخل تحت

الحصر وإثبات ما لا يدخل تحت الحصر بطريق النقل محال،^(١) .
القياسيون : والفريق الثاني هم أهل القياس أصحاب مذهب
 « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، ألا ترى أنك لم
 تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وإنما سمعت بعضها
 فقسست عليه غيره^(٢) » ، واليه يرجع الفضل في حياة اللغة الحياة النشيطة
 حتى أيامنا هذه ، فقد حافظوا على روحها وتعهدوها بالغذاء فتمت
 وبسقت وأظلت فروعها حضارات مختلفات . ومع اتساعهم جميعاً
 إلى مذهب القياس يتفاوتون فيما بينهم فيه توسيعاً وتضييقاً .

(١) الاقتراح ص ٤٧ .

(٢) كلمة المازني وأبي علي الفارسي - انظر الخصائص ١/٣٥٧ ، ٢/٢٥٠
 قال أبو علي « إذا قلت (طاب الحشكنان) فهذا من كلام العرب لأنك
 باعراكك إياه قد أدخلته كلام العرب ، ويؤكد هذا عندك أن ما أعرب من
 أجناس الإعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها ، ألا تراهم يصرفون
 في غير العلم نحو (آجر ، وإبريسم ، وفرند ، وفيروزج وجميع ما تدخله
 لام التعريف ، وذلك أنه لما دخلته اللام في نحو الديباج والفرند والسهريز
 والآجر أشبه أصول كلام العرب أعني النكرات فجري في الصرف ومنعه
 مجراها . » (١/٣٥٧) .

الحشكنان : خالص دقيق الحنطة اذا عجن بشيرج وبسط ومليء بالسكر
 واللوز والفسق وماء الورد وجمع وخبز ؛ وأهل الشام تسميه المكفن . -
 تذكرة داوود ١/١٢٩ .

والسهريز : ضرب من التمر ، يقال : تمر سهريز ، بالوصف والاضافة . -
 المعرب للجو البقي ١٩٩ .

لم يكن أرباب القياس على بدع من الأمر، فأصحاب اللغة أنفسهم اتسعوا في طردها وتصريفها واشتقاقها بما سبقوا به أرباب القياس أنفسهم « فان الأعرابي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه (إليه) أحد قبله »^(١) هذا رؤبة وأبوه العجاج الراجزان المشهوران « إنها قاسا اللغة وتصرفا فيها وأقدا على ما لم يأت به من قبلها »^(٢) ، « وحكي أنها كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا إليها »^(٣) ومن يتصفح شعر الراجزين يجد مصداق هذا القول. ونحن نجد النزعة إلى تعميم القياس قديمة من أيام الخليل ، كما نجد إلى جانبها نزعة محافظة معتدلة يمثلها أمثال ابن قتيبة ، فقد ذهب في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) إلى أنه ليس متأخر الشعراء « أن يقيس على اشتقاقهم فيطلق ما لم يطلقوا »^(٤) واستشهد لذلك برأي الخليل فقد ذكر أن الخليل بن أحمد أتاه رجل فأنشده :

ترافع العز بن فارق فنعما

فقال الخليل : « ليس هذا شيئاً »^(٥) فقال الرجل : كيف جاز للعجاج أن يقول :

تقاعس العز بن فارق فنعساً

(١) الخصائص ٢/٢٥٠ .

(٢) الاقتراح للسيوطي ص ٥٣ .

(٣) الشعر والشعراء ص ٢٣ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر (القاهرة ١٩٣٦هـ) .

(٤) وقد اعتذر ابن جني - وهو من رؤوس مدرسة القياس - لمنع =

ولا يجوز لي ١٤ .

ويروى عن بشار أنه كان يقيس ما لم يرد على ما ورد فرأى العرب
صاغت (فعلى) وصفا فقالت : جَمَزَى من (الجمز) وهو السرعة
فقاس هو ايضاً (فعلى) فقال :

الآن أقصر عن سميّة باطلا وأشار بالوَجَلَى علي مشير
وقال :

على الغزلى مني السلام فربما لهوت بها في ظل مخضلة زهر
فعاوبه وقالوا له لم يسمع من العرب وجلى ولا غزلى ^(١) " وقع هذا
وأمثاله في المثة الثانية للهجرة ، فأصبح من الطبيعي أن ينشأ حول القياس

الخليل بعذر في ، ذلك ان علة المنع كون لام الفعل حرف حلق وتكرير =
حرف الخلق مستنكر عندم مستنقل - (انظر الاقتراح للسيوطي ص ٥٣)
وقال ابن جني ايضاً : « العرب لم تبين هذا المثال بما لاه أحد حروف الخلق .
(انما هو بما لاه حرف فوي وذلك نحو اقعنسس واسحنكك واكنندد واعفنجج
فلما قال الرجل للخليل (فارفنعما) أنكر ذلك من حيث رأينا » - الخصائص
٣٦٢/١) - اكنندد : غلظ واشتد ، اعفنجج : أمرع .

(١) الموشح للمرزباني ص ٢٤٦ ، وانظر محاضرة الاستاذ احمد امين في مجمع
اللغة العربية في دورة ١٩٤٩ (مدرسة القياس في اللغة) مجلة مجمع اللغة العربية
ج ٧ نقل ابن السكت في كتابه (المقصور والمدد) مايلي :
قال الاصمعي : « لم اسمع (فعلى) الا في المؤنث ، الا في بيت لأمية بن
ابى عائد في المذكر :

كأنني ورحلي اذا رعتها على جمرى جازيء بالرمال ، - المزهر
٧١/٢ الحمار الجمزي : السريع والجازيء : المكتفي .

أخذ ورد بين المجيزين والممانعين أو بين المجددين والمحافظين ، وأن
ينتهي هذا الجدل بنشوء مدرسة للقياس لها رسومها ونظمها ، حاولت
فرض سيطرتها حتى على أصحاب اللغة فخطؤوا بعض الشعراء
الجاهليين والاسلاميين وحكموا على آيات بالشذوذ لعدم انطباقها
على قواعدهم ، وما بلاء الفرزدق بـ « ابن أبي اسحاق يبعد عنك فينسى »^(١)
ولا خبر عيسى بن عمر ، وعيسى هذا ذكروا انه كان ينزع إلى النصب
إذا اختلفت العرب ... وضع كتابه على الأكثر (الأشيع) وبوبه
ومذهبه ، وسمى ما شذ عن الأكثر لغات ،^(٢) وأن ابن أبي اسحاق
— على ما قال ابن سلام — « أول من بعج النحو ومد القياس وشرح
العلل ، وكان معه أبو عمرو بن العلاء ، وكان ابن أبي اسحاق أشد قياساً
وأبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغتها وغريبها »^(٣) وخير ما يمثل
اتجاهه جوابه حين سأله يونس : « هل يقول أحد : الصويق — يعني
الصويق ؟ » قال : « نعم ، عمرو بن تميم تقولها . وما تريد إلى هذا ؟
عليك يباب من النحو يطرد وينقاس . » وهذه عناية بالقياس تلفت
النظر إلى الذهنية القياسية التي وجدت منذ القديم ، وابن أبي اسحاق
هذا هو الذي قال فيه يونس « لو كان في الناس اليوم أحد لا يعلم إلا
علم ابن أبي اسحاق يومئذ اضحك منه . ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه

(١) انظر ص ٦٠ من هذا الكتاب . (٢) طبقات النحويين واللغويين ص ١٥ .

(٣) بغية الوعاة ص ٢٨٢

ونظر نظره لكان اعلم الناس،^(١) .

كان أهم الأعلام في هذه المدرسة حينئذ الخليل وتلميذه سيبويه وكان من لطيف المصادفات ان تعاصر هذه المدرسة مدرسة أخرى في الفقه تشابهها هي مدرسة الرأي التي رفع بنائها ابو حنيفة النعمان وتلاميذه . ولا غرابة في ذلك فالقوم حينئذ كانوا مدفوعين بحكم الضرورة إلى تأسيس بنياهم الفكري تلبية لحاجات الحضارة إذ ذاك، فقد وضعت في هذا الزمن أسس العلوم ومناهجها، وانفرد في كل فن الاختصاصيون فيه يدفعون به إلى الأمام ليساير حضارة لا يحظى بخبرها متخلف .

• • •

من قباس الخليل وسيبويه :

لم يكن الخليل أول القياسيين في النحو كما لم يكن ابو حنيفة أول القياسيين في الفقه، بل سبق كلا من شيوخته من ضرب في القياس بسهم، لكن كان الخليل فيهم كما قال ابن جني : « سيد قومه وكاشف قناع القياس في علمه »^(٢) وإذا ذكرت أنه واضع اساس المعاجم وله أول معجم ألف في العربية ، وأنه بخصب ذهنه ابتكر العروض لقياس الشعر ، لم تستكثر ان يكون لهذا الذهن تلك المراتبة المولدة في النحو ،

(١) إنباء الرواة ٢/٢٧٥ ، ١٠٥ ، ١٠٨ وطبقات فحول الشعراء لابن سلام

ص ١٥ وطبقات النحويين واللغويين ص ٢٦ .

(٢) الخصائص ١/٣٦١ .

بحيث يرجع اليه الفصل في اظهار معالم القياس ووضع رسومه ومناهجه،
وتجد في كتاب سيبويه انماطاً كثيرة من قياسه مبعثرة في ابواب شتى.
واليك نمطاً من صنيعه: نسبت العرب الى (تهامة) فقالت تهامي على
القياس و (تهام) على غير القياس كما قالت (شامي وشام) وجعلوا
الف (تهام) بدلاً من احدى ياء النسب، قال ابن جني: «فان قلت: إن
في تهامة ألفاً فلم ذهب الى ان الألف في تهام عوض من احدى الياءين؟»
فقال: «قال الخليل في هذا: انهم كأنهم نسبوه الى (فعل أو فعل)
و كأنهم فكوا صيغة تهامة فأصاروها الى (تهم أو تهم) ثم اضافوا (اي
نسبوا) فقالوا: تهام. «وانما ميل الخليل بين (فعل وفعل) ولم يقطع
بأحدهما لأنه قد جاء هذا العمل في هذين المثالين جميعاً وهو (الشام
واليمن). وهذا الترجيم الذي أشرف عليه الخليل ظناً قد جاء به
السمع نصاً: انشدنا ابو علي: قال انشدنا احمد بن يحيى (ثعلب):
أرقني الليلة برق بالتهم يالك برقاً من يشمه لا ينم
فانظر الى قوة تصور الخليل الى ان هجم به الظن على اليقين، فهو
المعني بقوله:

(الأنمي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً) (١)
وسيمر بك نمط من قياس سيبويه عندما نصل الى الفقرة (ح).
استمر القياس على الطريق التي لحبها الخليل وسيبويه حتى كانت

المئة الرابعة للهجرة فبلغ ذروة مجده بأبي علي الفارسي وتلميذه (ابن جني) ونهض به هذان الامامان نهضة لم يحظ بمثلها قبلهما ولا بعدهما حتى اليوم .

من قياس الفارسي :

فأما الفارسي (— بغداد ٣٧٧) فقد عرف فارس والعراق والشام واقام طويلاً ببلاد الشام وكان أكثر مقامه بجلب في بلاط سيف الدولة وطار صيته في النحو واخذ في القياس يفكر فيه ليله ونهاره، حتى استقام له منه مذهب وسع الشقة بين الجامدين على السماع وانصار القياس . والظاهر أن عشق القياس بهره وأخذ على فكره السبل ، فصار يمتحن به كل مسألة تعرض له ، وعلى رسومه يصدر فتاواه ويعتقد آراءه، وقد كان « الخطأ في خمسين مسألة في اللغة أحب إليه من الخطأ في مسألة واحدة من القياس » كما قال لتلميذه ابن جني ^(١) . وكذلك كان رحمه الله ، فقد حظيت مدرسة القياس من ثمرات تفكيره بفيض غزير حتى قال ابن جني « أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا » ^(٢) وليس هذا بالقليل . ولعل خير ما يترجم العالم في مثل مقامنا هذا معرفة نمط من منهجه وإنتاجه : ذكر ابن جني أنه شاهد أبا علي غير مرة إذا أشكل عليه الحرف الفاء أو العين أو اللام ، استعان على علمه ومعرفته بتقليب أصول المثال الذي ذلك الحرف فيه،

(١) سنة ٣٤٦ مجلب — انظر الخصائص ٨٨/٢ . (٢) ٢٠٨/١

فهذا أغرب مأخذاً مما تقتضيه صناعة الاشتقاق^(١) ونعت هذه الطرائق بأنها « حزنة المذهب والتوردها وعزم المسلك » ... وقد كان أبو علي رحمه الله يراها ويأخذ بها، ألا تراه غلب كون لام (أَنْفِيَّة) - فيمن جعلها أفعولة - واو أعلى كونها ياء (وإن كانوا قد قالوا « جاء يشفوه » (يتبعه) ويشفيه ») بقولهم (جاء يشفه) قال : فيشفه لا يكون إلا من الواو .. فلما وجد فاء (وثق) واو أقوى عنده في (أَنْفِيَّة) كون لامها واواً فتأنس اللام بموضع الفاء على بعد بينهما^(٢) « ومن لطيف ما ألقاه - رضي الله عنه - علي أنه سألتني يوماً عن قولهم (هاتِ لَهَاتِي) فقال : « ما هاتيت ؟ » فقلت : « فاعلت ؛ هات من هاتيت كعاطٍ من عاطيت » فقال : « شيء آخر ؟ » فلم يحضر إذ ذاك ، فقال : « أنا أرى فيه غير هذا .. يكون فعليت » قلت : « بمه ؟ » قال : « من الهوتة وهي المنخفض من الأرض . وكذلك (هِيت) لهذا البلد ، لأنه في منخفض من الأرض ، فأصله (هَوْتِيَت) ثم أبدلت الواو التي هي عين (فعليت) وإن كانت ساكنة .. فصار هاتيت وهذا لطيف حسن^(٣) .

كان ابن جني يقرأ على الفارسي كتاباً للمازني ، فلما جاء ذكر قول أبي عثمان في الالحاق المطرد : « إن موضعه من جهة اللام نحو قَعْدَد ،

(٢) ١١/١

(١) الخصائص ١٢/١

(٣) الخصائص ٢٧٧/١

ورمدد وشملل وصعور . وجعل الإلحاق بغير اللام شاذاً لا يقاس
عليه مثل : جوهر ويطر وجدول ... الخ ، قال أبو علي :
« لو شاء شاعر أو ساجع أو متسع أن يبنى بإلحاق اللام اسماً وفعلًا
وصفة لجاز له ولكان ذلك من كلام العرب ، وذلك نحو قولك :
« خرج أكرم من دخل ، وضرب زيد عمراً ، ومررت برجل
(ضرب وكرم ونحو ذلك) فاعترضه ابن جني قائلاً : (أفترجل
اللغة ارتجالاً ؟) قال : « ليس بارتجال ، لكنه مقيس على كلامهم ، فهو
إذاً من كلامهم : ألا ترى أنك تقول : (طاب الخشكان) فتجعله
من كلام العرب وإن لم تكن العرب تكلمت به هكذا ، فرفعك إياه
كرفعها ، ماصار لذلك محمولاً على كلامها ومنسوباً إلى لغتها » ^(١) .

وسأله ابن جني يوماً (هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز
للعرب أولاً ؟) فقال : « كما جاز أن نقيس منشورنا على منشورهم ، فكذلك
يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم ، فما أجزته الضرورة لهم أجازته
لنا ، وما حظرته عليهم حظرته علينا ، وإذا كان كذلك فما كان من
أحسن ضروراتهم فليكن من أحسن ضروراتنا ، وما كان من أقبحها
عندهم فليكن من أقبحها عندنا ، وما بين ذلك بين ذلك » ^(٢) .

وسأله أيضاً عن إثبات النون في قول الشاعر :
أن تقرأن على أسماء ويحكما مني السلام وألا تشعرا أحداً

فقال : « أن محققة من الثقلية ، وأولاها الفعل بلا فصل للضرورة أيضاً ، فهذا شاذ عن القياس والاستعمال جميعاً ٠٠٠ لأن الغرض فيما ندونه من هذه الدواوين ونقننه من هذه القوانين إنما هو ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها ، ويستوي من ليس بفصيح ومن هو فصيح ، فإذا ورد السماع بشيء لم يبق غرض مطلوب وعدل عن القياس إلى السماع »^(١) .
 وذهب أبعد من ذلك فكان يرى رسم الألف اللينة ألفاً دائماً سواء أكان أصلها واو أم ياء ، وعلة ذلك عنده أن الأصل أن يطابق الرسم اللفظ^(٢) .

وبعد فسيمر بنا كثير من آراء الفارسي في مواضع شتى ، وسنعجب كل الإعجاب بهذا الذهن المنهجي الغواص وسنقر أن ابن جني لم يكن إلى المبالغة حين قال فيه بعد أن نقل بعض تخرجاته :

« والله هو ! وعليه رحمة ، فما كان أقوى قياسه . وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه ! فكأنه إنما كان مخلوقاً له . وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة ، زائحةً عنه ، ساقطة عنه كلفه ، وجعله همه وسدومه ، لا يعتاقه عنه ولد ولا يعارضه فيه متحر ، ولا يسوم به مطلباً ولا يخدم

(١) الضرائر ٢٧٣ نقلا عن شرح تصريف المازني . قلت : ونريد اليوم عكس ما كان يريد في القرن الرابع ، نريد إهمال اللغيات وطرده القياس ولن يضيع بذلك شيء ذو بال .

(٢) المطالع النصيرية ص ١٢٤ نقلا عن المسائل الحلبية للفارسي .

به رئيساً إلا بآخره ، وقد حط من أنقاله وألقى عصا ترحاله ،^(١) وانظر رويته وتقليبه الأمر على وجوهه المختلفة وعدم مبادرته الى القطع في مسائل العلم حين عرض لقضية نظرية من قضايا فقه اللغة: أيهما أسبق مرتبة في الوجود الاسم او الفعل ؟ قال ابن جني :

« اعلم ان ابا علي كان يذهب الى ان هذه اللغة ، ما سبق منها ثم لحق به ما بعده ، انما وقع كل صدر منها في زمان . وان كان تقدم منها شيء على صاحبه فليس من الواجب ان يكون المتقدم على الفعل الاسم ولا ان يكون المتقدم على الحرف الفعل وان كانت رتبة الاسم مقدمة في النفس ، ومن جهة القوة والضعف ان يكون الاسم والفعل قبل الحرف . وإنما يعني القوم بقولهم (إن الاسم أسبق من الفعل) أنه أقوى في النفس وأسبق من الفعل في الاعتقاد لا في الزمان . وأما في الزمان فيجوز أن يكونوا قدموا عند التواضع الاسم قبل الفعل ، ويجوز أن يكونوا قدموا الفعل ، وكذلك الحرف ؛ وذلك أنهم وزنوا حينئذ أحوالهم وعرفوا مصائر أمورهم ، فعلموا أنهم محتاجون الى العبارات عن المعاني وأنها لا بد لها من الأسماء والأفعال والحروف ، فلا عليهم بأيها بدؤوا لأنهم أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بها جميعاً إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهما^(٢) .

(١) الخصائص ١/٣٧٦ . السدم : الحرص والالهي بالشئ ، وفي الحديث (من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله فقره بين عينيه .) - تاج المروس .

(٢) الخصائص ١/٤٣٠

من قبلى ابن مني :

اما اذا وصلنا الى ابن جني فقد تبوأنا ذروة القياس وفلسفته . لقد كان أعلى علماء العربية كعباً في جميع عصورها ، واغوصهم عامة على اسرار العربية ، وانجحهم في الاهتداء الى النظريات العامة فيها . وكتابه (الخصائص) لا يزال محط اعجاب علماء العرب والغرب على السواء ، وحسبك ان ابن جني هو مبتدع نظرية الاشتقاق الكبير ومؤسس علم فقه اللغة على ما يحسن ان يفهم عليه هذا العلم اليوم ، اما التصريف فهو امامه دون منازع ، وقلمنا تقرأ كتاباً فيه ولا يكون ابن جني مرجع كثير من مسائله . وكتابه (سر الصناعة) من خير ما حفظ الزمان من هذا التراث ، ومما يؤسف له انه لا يزال ينتظر إنهاء الطبع حتى اليوم .

ولد بالموصل من مملوك رومي لسليمان بن فهد الأزدي الموصلية وتوفي ببغداد سنة (٣٩٢ هـ) . صاحب استاذة الفارسي اربعين سنة ، وعاش مدة طويلة ببلاط سيف الدولة بحلب حيث املى المسائل الحلبية ، ونشأت هناك بينه وبين المتني صداقة اساسها إعجاب كل منهما بما هو الآخر ، وكان من نتائج ذلك انه شرح ديوان المتني ودافع عنه هجمات النقاد ، وان المتني كان يقول فيه : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير

من الناس . . ويقول « ابن جني أعرف بشعري مني ! »^(١) .

ونحن نتعرف الى منهجه في القياس من كتابه (الخصائص) الذي يدور على الغوص على اسرار اللغة الشاملة ، ويطرد القياس ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، ومستجد اثر الفارسي في تلميذه بارزاً في هذا الكتاب ، وان هذا التلميذ الذي لقن هذا المذهب عن استاذة قد مضى به بعيداً وتقدم الى الأمام مسافات شاسعة ، ولعل الحافز له على تأليفه سمو همته الى جعل اصول للنحو كأصول الدين ، فقد جاء في مطلع كتابه قوله « لم نر احداً من علماء البلدين تعرض لعمل اصول النحو على مذهب اصول الكلام والفقه »^(٢) .

ابن جني كثير الأنس بالتجربة اللغوية يقلبها على وجوها مختلفة ويكثر التفكير فيها ، ثم يقابل بين اللغات التي يعرفها ليكون حكمه الشامل في اللغة العربية حين يرده الى طبيعة الحس صحيحاً الى حد بعيد ، والظاهر انه يعرف الفارسية فقد عرض لها في حديثه عن اجتماع الساكنين ، قال :

« ومن طريف حديث اجتماع السواكن شيء وان كان في لغة العجم فان طريق الحس موضع تتلاقى عليه طبائع البشر ، ويتحاكم

(١) انظر ترجمته في ارشاد الاربب المعروف بمعجم الادباء لياقوت .

(٢) الخصائص ٢/١

إليه الأسود والأحمر ؛ وذلك قولهم (آرَد) للدقيق و (مَاسَت) للأن ، فيجمعون بين ثلاثة سوا كن . الا انني لم أر ذلك الا فيما كان ساكنه الأول ألفاً وذلك ان الألف لما قاربت بضعفها وخفائها الحركة صارت (مَاسَت) ؛ كأنها (مست) ^(١) .

وعرض لأمر هام دقيق وهو ما يفيدنا اياه رؤية وجه العربي وجملة حاله حين يتكلم ، وان رواية كلامه مجرداً قد يفوت علينا من مقصوده شيئاً ذا بال :

«قلت شعري اذا شاهد ابو عمرو وابن ابي اسحاق ويونس وعيسى ابن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين ، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات» ^(٢) ونحن نعرف بركة هذا الغوص في كثير من النصوص التي يختلف فيها العلماء لورودها مجردة من الإشارة إلى لهجة المتكلم أو حاله . ترد الجملة عن العرب فيجعلها بعضهم تقريراً وبعضهم استفهاماً حذف أداته ، وبعضهم استفهاماً أريد به الإنكار والتهمك .. الخ ولو ورد مع

(١) الخصائص ١/٩٠ وانظر بقية البحث حتى ص ٩٢ .

(٢) الخصائص ١/٢٤٨

النص حال المتكلم لا تقطع الخلاف^(١) .

والطريف أن ابن جني يورد بعد كلامه هذا أمثلة كثيرة وينتهي من هذا الباب إلى الإبراه على أن العرب أرادت من العلل والأغراض ما يذكره النحاة تماماً ، يقول في آخر باب (أن العرب ، قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وما حملناه عليها)^(٢) .

« سألت الشجري يوماً فقلت : « يا أبا عبد الله فكيف تقول : (ضربت أخاك ؟) فقال : « كذاك » ، فقلت : أفتقول : ضربت أخوك ؟ فقال : لا أقول (أخوك) أبداً . فقلت : فكيف تقول : (ضربني أخوك) ؟ فقال : « كذاك » ، فقلت : ألسنت زعمت أنك لا تقول (أخوك) أبداً ؟ فقال : « أيش هذا ؟ ! افتلفت مبرها الكلام » . فهل

(١) كما حصل في بيت عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا : « نحبها » ، قلت : بهراً عدد الرمل والخصى والتراب
فذهب قوم إلى أن (نحبها) استفهام حذف منه الأداة وقال آخرون :
بل هي خبر ، ولو سجعوا نبوة الشاعر حين الإنشاد لم يقع خلاف .

وأدق من ذلك في نظري بيت الكهيت :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب ؟
فقد قرروا أن عجز البيت استفهام حذف أداته والقصد من الاستفهام
الإنكار ، وأذهب إلى أنه خبر لا استفهام ، وذلك أبلغ فإن كان ذو الشيب
يلعب أحياناً ، وهو أمر واقع ، فلنني في هذا المقام بعيد عن اللعب . ولونقلوا
لمجة الشاعر لحسم الأمر . — انظر معنى اللبيب : مادة الهزرة .

(٢) ص ٢٥٠/١

هذا في معناه إلا كقولنا نحن : صار المفعول فاعلاً . وإن لم يكن هذا اللفظ البتة فإنه هو لاحالة .

ثم جعل ابن جني قول النبي لبني غَيَّان (بل أنتم بنو رَشْدان) بمنزلة قول أهل الصناعة : إن الألف والنون زائدتان ، والنبي وإن لم يتفوه بهذا قد صدقه بفعله حين اشتق من الرشد : رَشْدان . « وكذلك قولهم : « إنما سميت هاتئناً لتنها »^(١) كقول النحاة : إن الألف زائدة للدلالة على من قام به الفعل ، فعل ابن جني هذا كله ليقول : إن العلل النحوية والقياس شيء أرادته العرب وفعلته وإن لم تنطق بمصطلحاته . والذي يعجب حقاً في ابن جني مزية الشمول في نظراته ، فإن غوصه على السر أداه إلى أن يجمع في حكم واحد ما لا يجمعه النحاة عادة لعدم اتباعهم اليه ، فقد جمع نصب جمع المؤنث السالم والمثنى وجمع المذكر السالم في علة واحدة فقال :

« واعلم أن العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل ما إذا تأملتة عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن وأنه منها على أقوى بال ، ألا ترى أنهم لما أعربوا بالحروف في التثنية والجمع الذي على حده ، فأعطوا الرفع في التثنية الألف . والرفع في الجمع الواو ، والجرفيهما الياء ، وبقي النصب لا حرف له فيأز به ، جذبوه إلى

(١) ص ٢٥١/١ ، قلت : وينظر الى هذا أيضاً القول المشهور :

« من علّقى نعمة فلا أنتم الله له ، ومن علّقى ودعة فلا ودع الله له . »

الجر فحملوه عليه دون الرفع .. ثم لما صاروا إلى جمع التانيث حملوا
النصب أيضاً على الجر فقالوا ضربت الهندات كما قالوا مررت بالهندات ...
فدل دخولهم تحت هذا — مع أن الحال لا تضطرهم إليه — على إثارهم
واستحبابهم حمل الفرع على الأصل وإن عري من ضرورة الأصل ،
ومن ذلك حملهم حروف المضارعة بعضها على حكم بعض في نحو حذفهم
الهمزة في نكرم وتكرم ويكرم لحذفهم إياها في أكرم لما كان
يكون هناك من الاشتقاق لاجتماع الهمزتين في نحو أو كرم ..^(١)
هذا ابن جني حذو استاذ الفارسي بل شآء في تعميم القياس وتوسيع
طرق الاشتقاق وكان يقول : (مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه
من كتاب لغة عند عيون الناس^(٢)) .

ولما عرض للابدال وذكر لغات (فُسْطَاط ، فُسْتَاط ، فُسَاط)
وان الجمع فيها (فساطيط وفساسيط) فقط وذهابهم إلى أن (التاء) في
(فستاط) بدل من الطاء أو السين ، رجح ابن جني كونها بدلاً من
السين بقوله : (إذا حكمت بأنها بدل من سين (فساط) ففيه شيطان
جيدان : أحدهما تغيير ثاني المثليين وهو اقيس من تغيير الأول من
المثليين لأن الاستكره في الثاني يكون لا في الأول . والآخر أن

(١) الخصائص ١/١١١ وانظر مزية الشمول عنده في باب (ترافع الاحكام)

١٠٨/٢ ففيه عجائب .

(٢) ٨٨ ، ٨٧ .

السنيين في (فساط) متلقتان والطائين من (فسطاط) منفصلتان بألف بينهما ، واستثقال المثلين ملتقيين أخرى من استثقالهما متفرقين ، فعلى هذا الاعتبار ينبغي ان يلقي ما يرد من حديث الإبدال^(١) .

وقد اراد ان يشرح كتاب يعقوب بن السكيت في (القلب والإبدال) على هذا النمط المنهجي لأن معرفة (هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته^(٢)) ، كما قال

لم يتخذ ابن جني القياس مذهباً لنفسه فحسب ، بل كان يغري به ويدعو اليه ويحض عليه ويبيح فيه الارتجال فيقول : (للانسان ان يرتجل من المذاهب ما يدعو اليه القياس ما لم يلو بنص او ينتهك حرمة شرع .^(٣)) حتى إذا أدرك القياس إلى ما لم تنطق به العرب قط فليس لك ان ترمي به ، بل تُعَدّه ولشاعر مولداً ولساجع اول ضرورة ، لأنه قياس على كلامهم^(٤) .

والاساس عنده في القياس الاعتبار المعنوي فهو يرجح القياس المعنوي على القياس اللفظي ، بل يذهب إلى ان القياس اللفظي إذا تأملته لم تجده عارياً من اشتغال المعنى عليه ، ألا ترى انك إذا سئلت عن (إن) من قوله :

ورجّ الفتى للخير ما إن رأيتَه على السن خيراً لا يزال يزيد^(٥)

(١) الخصائص ٢/٨٨ ، ٨٧ (٢) الخصائص ١/١٨٩ (٣) الخصائص ١/١٢٦

(٤) البيت للمعلوط القرطبي

فإنك قائل : دخلت على (ما) وإن كانت (ما) ها هنا مصدرية لشبهها لفظاً بما النافية .. وشبه اللفظ بينهما يصير (ما) المصدرية إلى أنها كأنها (ما) التي معناها النفي . أفلا ترى أنك لو لم تجذب إحداهما إلى أنها كأنها بمعنى الأخرى لم يجز لك إلحاق (إن) بها . فالمعنى إذاً أشيع وأسير حكماً من اللفظ ، لأنك في اللفظي متصور لحال المعنوي ، ولست في المعنوي بمحتاج إلى تصور حكم اللفظي ، ^(١) .

ومن أعود بحوثه على العربية بالخير والنماء لو أن هناك من يفيد منه ، المبحث الذي ابتدعه وهو (الاشتقاق الكبير) ، البحث الذي قال فيه آدم منز : « إنه لا يزال يؤتي ثمره إلى اليوم ، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم منه » ^(٢) وسنخصه بالذكر عندما نعرض للاشتقاق ، على أن له أيضاً بحوثاً كثيرة الفائدة في (الخصائص) منها بحث خلاف الألفاظ مع تقارب المعاني المشتقة ^(٣) ، وهو هام جداً يصح أن يعتبر أساساً لـ (فقه اللغة) ، فقد أوضح فيه مذهبه ودعمه بأمثلة كثيرة ، ورسم له في آخره نهجاً شاملاً لمن يريد التوسع على طريقته . ولو ترسم من أتى بعده خطاه لكان لنا اليوم في (فقه اللغة) تراث قيم جداً .

(١) الخصائص : باب مقاييس العربية ١١٠/١

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٣٣٠/١ لآدم منز .

(٣) انظر الخصائص ١١٣/٢

هذا ، واذا أنت صفحت كتاباً من كتب الطبقات في النحو ومرت بك مئات من تراجم النحويين ، استطعت بعد امعان قليل أن تلم بما كان للقياس من خطر عند القوم حتى ليتفرد واحد في المئة فيعرف به فاذا ترجعوا له نصوا على امتياز هذا ، وتلك ملكة لم تتوفر كاملة إلا لأعلام قليلين جداً ، فما أقل ما تجد أمثال قولهم في ترجمة ابن أبي اسحاق الحضرمي .. « كان .. شديد التجريد للقياس ، ويفاضلون بينه وبين أبي عمرو بن العلاء فيقول السيرافي : « ابن أبي اسحق أشد تجريداً للقياس وأبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها »^(١) ، وفي ترجمة يونس : « ليونس قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها »^(٢) .

وفي الكلام على مؤرخ السدوسي يروون قوله : « قدمت من البادية ولا معرفة لي بالقياس وإنما معرفتي قريحتي ، وأول ما تعلمته : في حلقة أبي زيد »^(٣) ، وفي ترجمة أبي طالب أحمد بن بكر العبدي : « .. وكان قياً بالقياس »^(٤) .

(١) بغية الوعاة ص ٢٨٢

(٢) د ص ٤٢٦

(٣) د ص ٤٠٠

(٤) د ص ١٢٩

(ب)

أثر العلوم الدينية في القياس اللغوي

لا شك في أن الباعث الأول لنشأة العلوم العربية هو الدين الجديد الذي أتاهم به محمد بن عبد الله ﷺ : فاهتمامهم بأحكامه حفز على تدوين الفقه والحديث ثم نشأة العلوم المتعلقة بهما ، وعنايتهم بالقرآن الكريم صرفتهم الى الاهتمام بقراءاته وتفسيره وتاريخه ، وذلك حملهم على ضبط اللغة وإحكام قواعدها . ولم تنقض المئة الثانية حتى كان للفقه كتبه ومذاهبه وأصوله ، كما كان للدين أيضاً كتبه وجدله وأصوله ومتكلموه وفرقه . دون أولاً الفقه وأصوله والحديث . ثم جاء النحو يتقدم رويداً رويداً ، وبدأ يدون وتنسق أبوابه وفصوله ، ثم جاءت بعد الطبقة الأولى طبقات وتميزت المذاهب فيه بعضها من بعض ، ثم كان له أصوله أيضاً .

يقر النحاة بأنهم احتدوا في أصولهم أصول الفقه عند الحنفية خاصة ، فهذا ابن جني يصرح فيقول :

« ينتزع أصحابنا العلل (من كتب محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة) لأنهم يجدونها منشورة في أثناء كلامه ، فيجمع بعضها الى بعض

بالملاطفة والرفق»^(١) بل إنه هو نفسه يعقد باباً في الخصائص يثبت فيه « أن علل جل النحويين وأعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين ، أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقيين ، وذلك أنهم انما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال او خفتها على النفس .. الخ »^(٢).

هذا في المئة الرابعة ، واستمر الحال بعده فهذا كمال الدين بن الأنباري من أهل المئة السادسة يضع كتابه (لمع الأدلة) ليكون للنحو بمثابة (علم الأصول) للفقهاء ، عقد فيه فصولاً عدة للقياس وأنواعه^(٣) كما كان فعل علماء الفقه وأصوله ، ثم جاء السيوطي في المئة العاشرة يؤلف كتاب (الاقتراح) ويذكر أنه : « بالنسبة الى النحو كأصول الفقه بالنسبة الى الفقه... ورتبته على نحو أصول الفقه في الابواب والفصول والتراجم^(٤) » وقد ذكر ابن الأنباري أنه ألحق بعلوم الأدب « علمين وضعناهما : علم الجدل في النحو وعلم أصول النحو ، فيعرف به القياس وتركيبه

(١) الخصائص ١/١٦٣

(٢) ٤٨/١ وفيه يورد امثلة ومقاييسات ، منها تعليله اختصاص الفاعل بالرفع دون النصب لان للفاعل فاعلاً واحداً ومفعولات متعددة احياناً ، فخصوه بالرفع لقلته وخصوا المفعول بالنصب لأنه أخف على السنتهم « ليقل في كلامهم ما يستقلون » وانظر بعد ذلك كلامه على : ميزان ، موسى .

(٣) نشرنا هذا الكتاب سنة ١٩٥٧ وطبع بمطبعة الجامعة . وكان المطلعون يظنون قبل نشره أن السيوطي هو مبتكر هذا الوضع اعتماداً على ما ذكر في =

وأقسامه من قياس العلة وقياس الشبه وقياس الطرد الى غير ذلك على حد أصول الفقه، فإن بينهما من المناسبة ما لا خفاء به لأن النحو معقول من منقول كما ان الفقه معقول من منقول ... » (١) .

= مقدمة كتابه (الاقتراح) ثم ظهر الحق بعد المقابلة بين صنيعه وصنيع ابن الأنباري ، رحمهما الله .

ويعرف العلماء أن جهوداً ضخمة لعلماء كثيرين ضاعت عليهم لتظهر في كتب السيوطي ، ولم يكن السخاوي متجنباً عليه حين قال في (في الضوء اللامع) : « أخذ السيوطي من كتب (الحمودية) وغيرها كثيراً من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من المعربين بها ، فغَيَّرَ فيها سيراً وقدم وأخر ونسبها لنفسه ، وهول في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئاً مما لا يوفي ببعضه » قلت ومن هذا صنيعه حين نقل كتاب ابن الأنباري (لمع الأدلة) إلى كتابه (الاقتراح) الذي زعم في مقدمته انه مبتكر هذا النمط من التأليف .

(١) انظر مقدمة الاقتراح . والظاهر أن الأمر لم يقتصر على الأصول فقد كانت فروع الفقه ماثلة لأعين النعاة حين تقرير جزئيات النحو ، ففي كلامهم على حذف الفاء الواقعة في خبر (أما) اضطراراً في مثل قول الشاعر :

فأما القتال لا قتال لديكم ولكن سيراً في عراض المواكب

يستطردون الى قول الله « فأما الذين اسودت وجوههم : أكفرتم بعد إيمانكم .. » يقولون :

« حذف القول استغناء عنه بالمقول فتبعته الفاء في الحرف ، ورب شي يصح تبعاً ولا يصح استقلالاً كالحاج عن غيره يصلي عنه ركعتي الطواف ، ولو صلى أحد عن غيره ابتداء لم يصح على الصحيح » . وهذا تأثر بالفقه سافر غير خفي .

ثم تقرأ في كتب النحو بعد ذلك فترى مصطلحات الثقافة الفقهية تطالعك بين الفينة والفينة فتجد مثلاً في كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الانباري من رجال المئة السادسة تعليقاً على قول البصريين « الدليل على أن نعم وبس فعلا ماضيان أنهما مبنيان على الفتح ، ولو كانا اسمين لما كان لبنائهما وجه ، اذ لا علة لها هنا توجب بناءهما » فيقول ابن الانباري : « هذا تمسك باستصحاب الحال وهو من أضعف الأدلة »^(١) فهذا — كما ترى — تحكيم لمعايير الفقه في النحو .

واذا عرفت ان القياس أداته العقل وان أئمة القياس في النحو سيويوه والفراء وابو علي الفارسي والرماني وابن جني والزمخشري وأضرابهم كلهم كانوا معتزلة^(٢) ، بل ان الرماني (— ٣٧٤) منهم كان يفتن في الكلام على مذهب المعتزلة ، ومع ان له ستة كتب على كتاب سيويوه ان كتبه في الكلام أكثر من كتبه في اللغة والنحو بكثير^(٣) . والاعتزال كما نعلم منهج يستند الى « تحكيم العقل مع المحافظة على الدين وهو منهج في

(١) الانصاف ص ٧٣ . واستصحاب الحال هو اعتبار الواقع إذا لم يقم دليل يناهضه ، إذا الأصل فيما لم يرد فيه مانع ولا موجب أن يكون مباحاً .
(٢) النحاة المعتزلة كثيرون جداً ومن بينهم الغالي في اعتزاله ، يعرف كثرتهم من سرد أحد كتب الطبقات . ويظهر أن القدماء عنوانا يجمع تراجم المعتزلة من النحاة فهذا ياقوت ينقل في ترجمته لابي الحسن البوراني عن كتاب (نحاة المعتزلة) لمحمد بن اسحاق .

(٣) انظر ترجمته في انباء الرواة ٢/ ٢٩٤ .

البحث والتجربة والاستدلال العقلي والشك والقياس .. وقد كان للمعتزلة أثر كبير في القياس في اللغة ، كما يظهر ذلك من قولهم بأن اللغة اصطلاحية من وضع البشر ، لا توقيفية ؛ وكما يظهر في تحرر الجاحظ وامثاله من المعتزلة في تشقيقهم الكلام واستعمالهم للمولد من الألفاظ بل الاعجمي ، وكما يظهر ايضاً في ان زعيمي مدرسة القياس وهما ابو علي الفارسي وابن جني كانا من المعتزلة ، وكما يظهر في البحوث اللغوية الطريفة التي حققها الزمخشري في كتبه وتفريقه بين دلالة الالفاظ عن طريق الحقيقة ودلالاتها عن طريق المجاز ، وهو معتزلي ايضاً ، فلما ذهبت دولة المعتزلة غلبت دولة المحافظين في اللغة كما هو الشأن في كل علم ،^(١) ، اذا عرفت ذلك كله ادر كت الأثر البعيد الذي للعلوم الدينية في نشأة العلوم اللسانية . هذا في القياس خاصة ، وقد علمت ان علماء العربية احتذوا طريق المحدثين من حيث العناية بالسند ورجاله وتجربتهم وتعديلهم ، وطرق تحمل اللغة ... فكانت لهم نصوصهم اللغوية كما كان لأولئك نصوصهم الحديثة ، ولهم طبقات الرواة كما لأولئك ، ثم احتذوا المتكلمين في تطعيم نحوهم بالفلسفة والتعليل ، ثم حاكوا الفقهاء اخيراً في وضعهم للنحو اصولاً تشبه اصول الفقه ، وتكلموا في الاجتهاد فيه كما تكلم الفقهاء وكان لهم طرازهم في بناء القواعد على السماع والقياس والإجماع كما

(١) (مدرسة القياس في اللغة) محاضرة الاستاذ احمد امين في مجمع اللغة

العربية في دورة ١٩٤٩ . ثم نشرت في مجلة اللغة العربية ج ٧

بنى الفقهاء استنباط احكامهم على السماع والقياس والاجماع؛ وذلك أثر واضح من آثار العلوم الدينية في علوم اللغة .

والطريف أنهم سجدوا للنحو شيئاً من رد الدين ، فهذا الفراء يناظر محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة قائلا : « قلّ رجل أنعم النظر في باب من العلم فأراد غيره إلا سهل عليه » امتحنه محمد في مسألة فقهية أجابه عليها من فن النحو ، قال محمد : « ماتقول في رجل صلى فسها ، فسجد سجدتين للسهو فسها فيها ؟ » ففكر الفراء ساعة ثم قال : « لاشيء عليه . » فقال له محمد : « ولم ؟ » قال : « لأن التصغير عندنا لا تصغير له ، وإنما السجدتان تمام الصلاة ، فليس للتمام تمام . » فقال محمد : « ماظننت آدمياً بلد مثلك ! » (١) .

واشتهرت هذه العادثة في زمانها وبعده ، وقامت دليلاً على لطف نظر النحاة وإشارة الى ما بين الفقه والنحو من أخذ وعطاء استمر مع تقدم الفنين . ثم جاء الجرمي من أهل المئة الثالثة (٢٢٥ - ٢٢٥) يقول : « أنا مذ ثلاثون سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه . » وذلك ان الجرمي كان صاحب حديث ، فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث ، اذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش (٢) .

حتى إذا بلغنا المئة الرابعة للهجرة وجدنا فقيهاً شافعيّاً ، هو ابن الحداد المصري ، كانت له ليلة في كل جمعة يتكلم فيها عنده في مسائل الفقه على طريق النحو !! ، وكان أبو جعفر النحاس النحوي المصري المشهور المتوفى سنة ٣٣٨ هـ لا يدع حضور هذا المجلس (٣) .

(١) وفيات الأعيان ٢٢٧/٥ . وقد روى ابن خلكان هذا الحادث أيضاً بين الكسائي ومحمد بن الحسن بين يدي الرشيد في ٥٧/٢ ولعل الاول هو الواقع .

(٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٧٧

(٣) إنباء الرواة ١٠٢/١ وطبقات النحويين واللغويين ص ٢٤٠

بل نرى رد الدين صار على مقياس أوسع في المئة الثامنة . فهذا الشيخ جمال الدين
الأسنوي - ٥٧٧٢ هـ له كتاب « الكواكب الدرية في تنزيل الفروع الفقهية على
القواعد النحوية » يقول في مقدمته :

« ... استخرت الله تعالى في تأليف كتابين يمتزجان من الفنين المذكورين يعني
أصول الفقه وعلم العربية ، ومن الفقه ، لم يتقدمني إليهما أحد من اصحابنا : أحدهما
في كيفية تخريج الفقه على المسائل الاصولية ، والثاني في كيفية تخرجه على المسائل
النحوية ؛ فأذكر أولاً المسائل الاصولية أو النحوية مهذبة منقحة ، ثم أتبعها
بذكر جملة ما يتفرع عليها ليكون ذلك تنبيهاً على ما لم أذكره . ثم إن الذي
أذكره على أقسام ، فنه ما يكون جواب أصحابنا فيه (يعني الشافعية) موافقاً
للقاعدة ، ومنه ما يكون مخالفاً لها ، ومنه ما لم أقف فيه على نقل بالكلية فأذكر
فيه ما تقتضيه القاعدة مع ملاحظة القاعدة المذهبية والنظائر الفرعية فيعرف الناظر
في ذلك مأخذ ما نص عليه أصحابنا وفصلوه ، ويتنبه به على استخراج ما أهملوه .
هذا مع أن الفروع المذكورة مهمة مقصودة في نفسها بالنظر ، وكثير منها قد
ظفرت به في كتب غريبة كما ستراه مبيناً إن شاء الله تعالى ..

واعلم انني إذا أطلقت شيئاً من المسائل النحوية فهي في كتابي شيخنا ابي
حيان الذي لم يصنف في هذا العلم أجمع منها وهما (الارتشاف) و (شرح
التسهيل) ، فان لم تكن المسألة فيها صرحت بذلك ، وإذا أطلقت شيئاً من الاحكام
الفقهية فهو من الشرح الكبير للرافعي أو من (الروضة للنووي) ... »^(١)

والكتاب مخطوط فادر تحتفظ به دار الكتب المصرية « وقته ١٤٤٤ هـ نحو ،
وقد أطلعته على خطته كما شرحها ؛ وأنا نذا مطلعك على غط من مسائله ليكون
تصورك لما وصل إليه التفاعل بين علوم الشريعة والنحو في المئة الثامنة كاملاً كما
يعرضه هذا الاثر النفيس ، ولا بد من الاشارة إلى أن أغلب مسائله تدور على
جمل الطلاق ، والوصايا وما إلى ذلك :

(١) انظر الورقة ٢/٢ من المخطوط .

فصل في المضمرات

مسألة : الضمير إذا سبقه مضاف ومضاف إليه وأمكن عوده على كل منها على انفراده كقولك (مررت بغلام زيداً فأكرمته) فإنه يعود على المضاف دون المضاف إليه ، لأن المضاف هو المحدث عنه والمضاف إليه وقع ذكره بطريق التبع وهو تعريف المضاف أو تخصيصه ، كذا ذكره أبو حيان في تفسيره وكتبه النحوية وأبطل به استدلال ابن حزم ومن نحأ نحوه كالمأورد في (الحاوي) على نجاسة الخنزير بقوله تعالى : « . أو لحم خنزير فإنه رجس »^(١) حيث زعموا أن الضمير في قوله تعالى (فإنه) يعود إلى الخنزير ، وعلوه بأنه أقرب مذكور .

إذا علمت ذلك فمن فروع المسألة ما إذا قال : (له علي ألف درهم ونصفه) فالقياس أنه يلزمه ألف وخمسمائة لا ألف ونصف درهم .

هكذا القول في الوصايا والبياعات والوكالات والجازات وغيرها من الأبواب . مسألة ضمير الغائب قد يعود على غير ملفوظ به كالذي يفسره سياق الكلام . فمن فروع المسألة ما إذا قال (له علي درهم ونصفه) فإنه يلزمه درهم كامل ونصف والتقدير - كما قال ابن مالك - (ونصف درهم آخر) إذ لو كان العائد إلى المذكور لكان يلزمه درهم واحد ، ويكون قد أعاد النصف تأكيداً وعطفه لتغاير الألفاظ . ١٤٥

نم لا ننسى خدمة علوم اللغة الفقه نفسه بعد أن استفادت من أصوله وطرقه ؛ فهذا المطرزي (- ٦١٠) يضع معجمه (المغرب) في لغة الفقه خاصة ، وكذلك الفيومي (- ٧٧٠) صاحب (المصباح المنير) ألفه في غريب (الشرح الكبير للرافعي) وهو كتاب في فقه الشافعية ، والرازي (- ٧٦٠) اختار من الصحاح ما يستخدم به ألفاظ القرآن والحديث والفقه فألف كتابه النافع المشهور (مختار الصحاح) وهكذا .

(١) سورة الأنعام ١٤٥/٦

(ج)

من أمطام القياس^(١)

للقياس أربعة أركان :

١ - أصل وهو المقيس عليه .

٢ - وفرع وهو المقيس .

٣ - وحكم

٤ - وعلة جامعة .

وقد عرفت أن ذلك مثل أن تركيب قياساً في الدلالة على رفع مالم يسم فاعله
فتقول: اسم أسند الفعل إليه مقدماً عليه فوجب أن يكون مرفوعاً قياساً على الفاعل
١ - فالأصل هو الفاعل ، ٢ - والفرع هو مالم يسم فاعله ، ٣ - والحكم هو
الرفع ، ٤ - والعلة الجامعة هي الاسناد .

أ - في المقيس عليه :

١ - من شروطه ألا يكون شاذاً خارجاً عن سنن القياس ،
فما كان كذلك لا يجوز القياس عليه كتصحيح مثل : استحوذ ،
استصوب ، استنوق ، وكحذف نون التوكيد في قوله :

(١) مختصر بنصرف عن (الاقتراح) للسيوطي ص ٤٦ فما بعد .

« اصرف عنك الهموم طارقها ،

أي (اصرفن) ووجه ضعفه في القياس أن التوكيد للتحقيق وإنما يليق به الاسهاب والاطناب لا الاختصار والحذف .

٢ - كما لا يقاس على الشاذ نظراً لا يقاس عليه تركاً كما متناعك من (وذر ، ودع) مع جوازهما قياساً لأن العرب تحامتها^(١) .

٣ - ليس من شرط المقيس عليه الكثرة فقد يقاس على القليل لموافقته للقياس ويمتنع على الكثير لمخالفته له :
مثال الأول : شنتي نسبة إلى شنوءة :

اكتفى سيديويه بهذا الوارد لأن السماع لم يرد بخلافه لا في هذا اللفظ ولا فيما كان من نوعه ، فقياس عليه وجعل وزن (فعَلَيَّ) قياساً في (فعولة) مع أنه لم يقع إليه من شواهد إلا هذه الكلمة المفردة ، فهو يقول في النسب إلى (ركوبة ، حلوبة : ركي ، حلي) .

أما الاخفش فجعله شاذاً لا يقاس عليه ، ونسب إلى الكلمتين بقوله :

(١) عرفت من ص ٣٣-٣٦ ، أن العربية ما تحامتها ، فاعرف الآن أن ابن درستويه وهو الذي سلم خطأ بأن العربية أهملتها قال : « واستعمال ما أهملوا من هذا جائر صواب وهو الأصل ، بل هو في القياس الوجه » - انظر المزهري ٤٦/٢ ، طبعة عيسى البابي الحلبي ، بعناية محمد احمد جاد المولى ورفيقه .

(ركوبي وحلوبي) لكن القياس يؤيد سيويه في قياسه على شنوءة
شنثي بما يأتي :

فعولة = فعيلة ، فكل منها ثلاثي ثالثه حرف لين وانتهى بتاء التانيث
فجعلوا واو شنوءة كياء حنيفة وعاملوها مثلها في النسبة . (ولا يقول
في ضرورة : (ضرري) لأنه لا يقال في جليلة : جللي) .

قال أبو الحسن : « فإن قلت : إنما جاء هذا في حرف واحد (يعني
شنوءة) فالجواب : أنه جميع ما جاء . » .

ومثال الثاني : قولهم في (ثقيف وقريش وسليم) : ثقفني وقرشي
وسلمي . . وإن كان أكثر من شنثي فإنه عند سيويه ضعيف في القياس
فليس لك أن تقول في سعيد : سعدي ^(١) .

٤ — للقياس أربعة أقسام :

١ — حمل فرع على أصل كإعلال الجمع لإعلال المفرد مثل (قيمة :
(قيم) أو تصحيحه لصحة المفرد مثل : (ثور : ثورَة) .

٢ — حمل أصل على فرع كأعلال المصدر لإعلال فعله (قام : قياماً)

(١) هذا والكلمة أو الكلمتان لا تقومان في وجه القاعدة التي يجري
عليها الفصحاء في عامة مخاطبتهم ولو نقلت عن فصيح عربي : اذ يجوز أن تكون
قد صدرت منه على وجه الغلط أو القصد الى تحريف اللغة ، فان ألسنة الفصحاء
قد تقع في زلة الخطأ وتطوع لهم متى قصدوا الى تغيير الكلمة عن وضعها المعروف
لهزل ونحوه . اهـ عن القياس في اللغة العربية ص ٤٣ .

أو تصحيحه لصحة فعله مثل : (قاومت : قِواماً) . وكحذف الحروف
في الجزم وهي أصول حملاً على حذف الحركات .

٣ — حمل نظير على نظير : منعوا (أفعل التفضيل) من رفع الظاهر
لشبهه بـ (أفعل التعجب) ، وأجازوا تصغير أفعل التعجب حملاً على
اسم التفضيل .

٤ — حمل ضد على ضد : من أمثله نصب بـ (لم) حملاً على الجزم
بـ (لن) ، أولهما لنفي الماضي والثاني لنفي المستقبل ^(١) .

ب — في القبس :

وهل يوصف بأنه من كلام العرب أم لا (تقدم هذا ص ٨٠)
وقد قال ابن جني : « اللغات على اختلافها كلها حجة ، والناطق على
قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ » .

(١) قلت : شاهد الجزم بـ (لن) قول أعرابي بمدح الحسين بن علي :
لن يحب الآن من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة
وشاهد النصب بـ (لم) قراءة بعضهم : « ألم نشرح لك صدرك » وقول
الحارث بن منذر الجرهمي :

في أي يومي من الموت أفرأيوم لم يقدّر أم يوم قدر

انظر (لم) ، (لن) في معني اللبيب

جـ - في الحكم وفي مسائلناه :

جواز القياس على حكم ثبت بالقياس ^(١) (إذ الأصل أن يثبت بالسماع) . وجواز القياس على أصل اختلف في حكمه كقولهم في (إلا) إنها ثابتة مناب فعل فهي تعمل عمله قياساً على (يا) ، فإن أعمال (يا) مختلف فيه .

في العلل ^(٢) :

(تقدم كون علل النحويين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل الفقهاء)

١ - واعتلالات النحويين صنفان : علة تطرد على كلام العرب

(١) مثال ذلك أن اسم الفاعل محمول على الفعل في العمل ، ولذلك كان أضعف منه فإذا استطاع الفعل أن يحمل الضمير في مثل قولك (زيد أخواك زارهما) لم يستطع اسم الفاعل السببي تحمل الضمير ولذلك وجب إظهاره فتقول زيد أخواك زاروا إياهما هو) ولا يجوز استناده لقصور اسم الفاعل في العمل عن الفعل . فهذا التركيب في جملة اسم الفاعل السببي مقيس غير مسموع ، فتأتي أنت وتقيس الصفة المشبهة على اسم الفاعل فتقول (زيد أخواك حسن في عينه هما) قياساً على جملة اسم الفاعل المتقدمة ، فهذا قياس على مقيس . - انظر الخصائص لابن جني ص ١٩٤/١ .

(٢) إذا رفعت ما رفعتة العرب ونصبت ما نصبت فعملك نحو ، لأنك تنتهي به مذهب العرب في كلامها فهذا ما كانوا يقصدونه بالنحو او بالعربية قديماً ثم لما تقدموا قليلاً صاروا يقولون في (ذهب زيد) رفعت (زيد) لأنها فاعل ، ففعلوا ذلك هو العلة ، ثم خطوا خطوة ثانية لما نساءلوا عن سبب رفع الفاعل وقالوا : (الضمة أشرف الحركات ولذلك خصوا بها الفاعل لشرفه) ففعلوا هذا الجواب علة العلة .

وتنساق الى قانون لغتهم ، وعلّة تظهر حكمتهم وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم .
فالأولى : أكثر استعمالاً وأشدّ تداولاً وهي واسعة الشعب (عدها السيوطي ٢٤) منها :

علة سماع : يقال امرأة ثدياء (ولا يقال رجل أندى) لعدم السماع .
علة تشبيه : كاعراب المضارع لمشايبته الاسم ، وبناء بعض الاسماء لمشايبتها الحروف .

علة استئصال : كاستئصالهم الواو في (يعد) بين ياء وكسرة .
علة فرق : فيما ذهبوا اليه من رفع الفاعل ونصب المفعول .
(قلت : تقدم لابن جني تعليل يرد هذا الى علة الاستئصال وهو جد وجهه)
علة نظير : مثل كسرهم أحد الساكنين اذا التقيا في الجزم حملا على الجذر اذ هو نظيره .

علة حمل على المعنى : « فمن جاءه موعظة من ربه ^(١) » ذكر الفعل (جاء) مراعاة لمعنى (الموعظة) .
علة مسألة : في قوله (سلاسل وأغلالاً) ^(٢) في قراءة من نون سلاسل ... الخ العلل ^(٣) .

(١) سورة البقرة ٢/٢٧٥ (٢) سورة الدهر ٤/٧٦

(٣) انظرها في الاقتراح ص ٥٦ وهذه أسماء بقية الانواع : علة استغناء ، علة توكيد ، علة تعويض ، علة نقيض ، علة معادلة ، علة قرب ومجاورة ، علة =

٢ — يجوز التعليل بعلتين : كقولك (هؤلاء مسلمي) فإن الأصل : مسلموي : قلبت الواو ياء لأمرين كل منهما موجب للقلب : اجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بسكون ، والثانية أن ياء المتكلم توجب كسر ما قبلها فوجب قلب الواو ياء وإدغامها .

٣ — يجوز التعليل بالامور العدمية كتعليل بعضهم بناء الضمير^(١) باستغنائه عن الاعراب وباختلاف صيغه لحصول الامتياز بذلك .
أنت ترى أن بعض العلل النحوية حسية مقبولة ، وبعضها فرضية ؛ لكن لهم قسماً ثالثاً من العلل وهو (العلل الخيالية) ومثلوا لها بـ (هل) :
« فإن الأصل فيها دخولها على الفعل ، وقد تخرج عن الأصل فتدخل على اسم خبره اسم ، ولا تدخل على اسم خبره فعل مثل (هل عمرو كتب) وعللوا ذلك بأن (هل) إذا لم تر الفعل في حيزها تسلت عنه ذاهلة ، وإن رأتها في حيزها حذت إليه لسابق الألفة فلم ترض حينئذ إلا بمعانقته^(٢) .
ولا تظن أن تلك العلل سلمها الناس لهم ، إن الأمر على العكس ولا نزال نسمع حتى اليوم الكلمة السائرة : (أضعف من حجة نحوي) ،

= وجوب ، علة جواز ، علة تغليب ، علة اختصار ، علة تخفيف ، علة دلالة حال ، علة أصل ، علة تحليل ، علة إشعار ، علة تضاد ، علة أولى .

(١) قلت لهم تعليل أقرب ، هو شبهه بالحرف شهاً وضعياً من حيث كونه حرفاً واحداً أو حرفين في أكثر الاحوال وهذه علة وجودية لا عدمية .

(٢) القياس في اللغة العربية لمحمد الحضر حسين ص ٧٦ .

وقد ذكر القفطي أن أبا العباس الناشيء المتكلم (٢٩٣) ، نظر في علل النحو وهو متكلم ، فتبين له بقوة الكلام نقض أصوله ، فنقضها وصنف فيها - وكذلك العروض أدخل قواعده شياً ، .. وأحسن والله في كل ذلك وأظهر قوة ..، إنباه الرواة ١٢٨/٢ .

وقد ضايقت تعليقاتهم وقياسهم وتعقيبهم معاصريهم من الشعراء فقال عمار الكلي وقد عابوه في بعض شعره :^(١)

ما ذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بكرة يكون بها	يت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا : لحنت ، وهذا ليس منتصباً ؛	وذاك خفض ، وهذا ليس يرتفع
وحرصوا بين عبد الله من حق	وبين زيد ، فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طبعوا
وبين قوم رأوا شيئاً معانية	وبين قوم رأوا بعض الذي سمعوا ^(٢)
ما كل قولي مشروحاً لكم فخذوا	ما تعرفون ، وما لم تعرفوا فدعوا

(١) إذ قال : بانث نعيمة والدنيا مفرقة وحال من دونها غير أن مزعوج
ف قيل له : لا يقال مزعوج ، إنما يقال : 'مزعج' ، فكره ذلك ومجا
النحويين بالأبيات المذكورة . إرشاد الأريب ١٠٣/١٢

قلت : بالرجوع إلى معاجم اللغة يتبين بطلان تقدم ونقص اطلاعهم ، إذ
نصوا على أن (زعجه) مثل (أزعجه) ، ومن حق هذا الشاعر السليقي أن
يغضب لطبعه الصحيح على من حاول الطعن فيه بلا حق ولا علم .

(٢) الزيادة من إنباه الرواة ٤٢/٢ وفي ترتيب الأبيات وبعض كلماتها خلاف =

لأن أرضي أرض لا تشب بها نار المجوس ولا تبنى بها البيع
ولا يطا القرد والخنزير ساحتها لكن بها العين والذبال والصدع^(١)
ولست أشك أن القوم بالغوا في التزام القياس وتطويع اللغة له
حتى خرج بعضهم على طبيعة الأشياء وكادوا ينسون أن القياس مستهبط
من اللغة وأن اللغات لا تبنى على قياس مخترع. والاعتدال هو الصواب
في كل الأمور، وتعجني في ذلك كلمة محمد بن الجيان من أصحاب الفارسي:
« قياسات النحو تتوقف ولا تطرد، كقميص له 'جر' بانات،
فصاحبه يخرج رأسه كل ساعة من جربان »^(٢).

...

هذا، ومن المنتظر أن يكون للعلل الشأن الذي قدمناه للقياس إذ
كان مبنياً عليها فوصف قوم بتميزهم بحسن النظر في علل النحو^(٣)،
وانصرف قوم إلى الاختصاص بها والتأليف فيها خاصة وما حفظت
كتب الطبقات الأسماء الآتية :

١ — العلل في النحو لقطرب (— ٢٠٦)

٢ — علل النحو للحسن بن عبد الاصفهاني الملقب بـ (لغده)^(٤).

= العين : بقر الوحش . الذبال : الثور الوحشي . الصدع : الفقي الشاب من
الأوعال والظباء والحمر والإبل .

(٢) بغية الوعاة ص ٧٩ . والجربان فتحة القميص .

(٣) كائن قادم المتوفى سنة ٨٢٥١ . (٤) لبناء الرواة ٤٣/٣ .

٣ - نقض علل النحو للحسن بن عبد الاصفهاني نفسه .

٤ - علل النحو لابن كيسان (- ٣٢٠)

٥ - الايضاح في علل النحو للزجاجي (- ٣٣٧)^(١) .

٦ - النحو المجموع على العلل لمبرمان (- ٣٤٥)

٧ - علل النحو لابن الوراق (- ٣٨١)^(٢)

وهذا كاف في الدلالة على مبلغ العناية بهذا الباب .

(د)

العصر بورد والقياس

وبعد ، فليت الأمر وقف بالقياس عند المدى الذي وصل اليه

(١) طبع بعناية الدكتور مازن المبارك في القاهرة سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م بهذا العنوان ، وإن كان اسمه الصحيح (الايضاح في أصرار النحو) ، وليس العنوان المطبوع بعيداً عن محتواه .

(٢) راجع تراجم هؤلاء الأعلام في بغية الوعاة . هذا وللاستاذ إبراهيم مصطفى رأي لا يبعد من الواقع في اختلاط النحو بالعلل على بعضهم قال : كانوا يريدون بالنحو انتهاء سميت العرب في القول ، ثم جعلوا لهذا النحو سبباً فقالوا في الكلمة ترفع لأنها فاعل وسموا ذلك علل النحو ، ثم تقدموا خطوة ثانية في التعليل فقالوا : ولم رفع الفاعل ؟ وأخذوا يتحلون لذلك أسباباً من شرف الضمة وشرف الفاعل فكانت علة العلة . ثم اختصر المؤلفون فجعلوا النحو القاعدة بعدما كانت تسمى بالعلة وقصروا اسم العلة على ما تعلل به قاعدة النحو . ومن هذا اضطرب الأمر وخفي على رواة الأخبار وكتاب الطبقات . (ص ٧٤ مجلة كلية الآداب لجامعة القاهرة ١٠/٢)

الفارسي وابن جني ، إنه بدأ يتراجع القهقري بعد المئة الرابعة، وغلب على اللغة وعلومها الجود ، ثم آل هذا التراث إلى علماء لا سليقة لهم فغشوه بأغشية من مؤلفاتهم لا روح فيها ، فلما كانت مبشرات النهضة آخر المئة الماضية وأول هذه المئة وتدقق سيل حاجات الحياة من الحضارة الغربية، وجد القوم أنفسهم إزاء مستحذات لا قبل لهم بها إلا إذا جدوا متكاتفين، وهذا ما لم يكن ، لعوامل ليس هذا مكان ذكرها .

كثرت الصحف والمجلات والمؤلفات واحتاجوا الى فيض من المصطلحات يعبرون بها فكانوا ازاء حاجات العصر الحديث فريقين: فريقاً دعا إلى إدراج لغة السوق في الكتابة والمدارس على عاميتها وعجمتها ، وفريقاً جمد على ما ورد عن العرب الأولين ، وكان تجاذب بين الفريقين معها أنصارهما ٠٠٠ إلى أن قيض الله فريقاً ثالثاً ترفع عن ابتذال الدهماء في الاسواق ؛ وحرص على التراث العربي الكريم ، فشمروا عن ساعد الجد يتحرى لهذه المستحذات مصطلحات عربية ، فإن لم يجد أحدث لها عن طريق الاشتقاق أو المجاز ، أو التعريب أحياناً قليلة . ثم كانت في مصر محاولات لتأسيس مجامع لغوية تسهر على سلامة الفصحى وتمدها بما تستطيع معه استمرار الحياة بنشاط ، ولم تثبت للزمن تلك المحاولات بمصر ، وإنما قام بالعبء — على قدر استطاعته — الجمع العلمي العربي بدمشق الذي أنشئ على عهد المرحوم الملك فيصل الأول سنة (١٩١٨ م) وكان نشيطاً كل

النشاط أول حياته ، فأمد الصحافة ودواوين الحكومة والمدارس والمعاهد بفيض صالح من الاسماء والمصطلحات ، كما انصرف إلى اصلاح لغة الدواوين والصحف والكتب المدرسية بحيث لم يكن يجوز طبع كتاب لم ينظر في لغته احد أعضاء المجمع غير الجاهلين^(١) . ولم يطل بمجمع دمشق هذا النشاط أكثر من عشر سنين ، لكن الأمر استمر خارجه ، وسهرت المعاهد العليا والثانوية على استمرار النهضة . ولا ينبغي أن ننسى هنا أثر التراجمة الأولين في مطلع النهضة بمصر ولا أثر المصححين في المطبعة الاميرية وفيها من شيوخ الأزهر وغيرهم^(٢) ، فما ترجم قديماً من كتب علمية في الطب والهندسة والعلوم حافل بأوضاع عربية ، وثمرات من ثمرات القياس تستحق التقدير . وقد ينفع المجمع اليوم إطالة النظر فيما تشتت في هذه الطباعات القديمة النادرة من مصطلحات ونحت واشتقاق ، فالمعروف أن مدرسة الألسن وأساتذتها وخريجها اتسمت بكثير من العمل والجد وقليل جداً من الإعلان والتبجح ، على عكس مؤسسات بعدها ينفق عليها كثير من الأموال وتحاط بكثير من الجمعية ثم تشتغل بكل ما يبعدها عن الهدف الذي من أجله أنشئت ، وأغدق عليها مما جمع من كدح الفلاحين ما أغدق .

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابنا (حاضر اللغة العربية في الشام)

(٢) انظر بحثاً عن التراجمة من شيوخ الأزهر نشر في العدد (٦٧٤) من

مجلة (الثقافة) المصرية وما قبله .

قرارات المحم

تعددت المحاولات في مصر كما أسلفت، حتى صار الشعور بضرورة
المجمع رغبة عامة للأمة، لبهاها الملك فؤاد الأول رحمه الله بأخرة، حين
أسس (مجمع فؤاد الأول للغة العربية^(١)) وبدأ عمله سنة (١٩٣٤م) يضم
حين التأسيس أعلاماً من خير علماء العربية، وكان في جملة ما عالج من
موضوعات قضية القياس في اللغة، فأصدر فيها - بعد مذكرات حول
المشروعات المقدمة - قرارات سدبدة يصح ان نعدها بعناً لحركة القياس
بعد نوم امتد نحو تسعمائة سنة، من المئة الخامسة للهجرة حتى اليوم.
وياثباتنا بعض هذه القرارات نختتم الكلام على القياس مادة وتأريخاً:
قرار للنصيبين^(٢)

التضمنين أن يؤدي فعل أو ما في معناه مؤدى فعل آخر أو ما في معناه
فيعطى حكمه في التعدية واللزوم.

ومجمع اللغة العربية يرى أنه قياسي لاسماعي بشروط ثلاثة:

١ - تحقق المناسبة بين الفعلين،

٢ - وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر يؤمن معها اللبس.

(١) ليحافظ على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بطالب العلوم والفنون
في تقدمها ملائمة حاجات الحياة في العصر الحاضر. - انظر المادة الثانية من مرسوم
انشائه ٦/١ من مجلته. هذا وقد أصبح اسم المجمع اليوم: مجمع اللغة العربية.
(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ٣٣/١ وانظر الاحتجاج لهذه القرارات في
ص ١٧٧ - ٢٦٣ من الجزء نفسه.

٣ — ملائمة التضمن للذوق العربي.

ويوصي المجمع ألا يلجأ إلى التضمن إلا لغرض بلاغي .
أمثلة التضمن في القرآن الكريم :

«... وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم»^(١) ضمن (خلا) معنى (انتهى)
والله يستهزئ بهم ويمده فطغيانهم يعمهون»^(٢)

ضمن (يمد) معنى (يزيد)
«... والله يعلم المفسد من المصلح ..»^(٣) ضمن (يعلم) معنى (يميز)

«... ولتكبروا الله على ما هداكم ..»^(٤) ضمن (لتكبروا) معنى (لتحمدوا)

«... فأما لله الله مئة عام ثم بعثه ..»^(٥) ضمن (أما) معنى (ألث)

«... لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ..»^(٦)

ضمن (يألونكم) معنى (يمنعونكم)

«... وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ..»^(٧)

ضمن (يكفروه) معنى (يحرموه)

«... ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ..»^(٨)

ضمن (تأكلوا) معنى (تضموا)

«... ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ..»^(٩)

ضمن (توتى) معنى (تذنبى)

(١) سورة البقرة ١٤/١٥	(٢) سورة البقرة ٢٢٠/
(٣) سورة البقرة ١٨٥/	(٤) سورة البقرة ٢٩٥/
(٥) سورة آل عمران ١١٨/٣	(٦) سورة آل عمران ١١٥/٣
(٧) سورة النساء ٢/٤	(٨) سورة آل عمران ٢٣/٣

«... ولو جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به»^(١)
 ضمن (اذاعوا) معنى (نحدثوا)
 «... وما نحن بتاركي أهتنا عن قولك...»^(٢) ضمن (تارك) معنى (صادر)
 «... وعتوا عن أمر ربهم...»^(٣) ضمن (عتوا) معنى (انحرفوا)
 «أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها»^(٤)
 ضمن (يهد) معنى (يتضح)
 «حقيقٌ على ألا أقول على الله إلا الحق»^(٥)
 ضمن (حقيق) معنى (حريص)
 «يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله
 أثأقتم إلى الأرض»^(٦) ضمن (اثأقتم) معنى (أخلدتم)
 «ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن
 رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه»^(٧) ضمن (يرغبوا) معنى (يبخلوا)
 «ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم»^(٨) ضمن (ينصر) معنى (يجير)
 «ولا تخاطبني في الذين ظالموا إنهم مغرقون»^(٩)
 ضمن (تخاطب) معنى (تراجع)

- | | |
|------------------------|-----------------------|
| (١) سورة النساء ٨٢/٤ | (٢) سورة هود ٥٣/١١ |
| (٣) سورة الاعراف ٧٦/٧ | (٤) سورة الاعراف ٩٩/٧ |
| (٥) سورة الاعراف ١٠٤/٧ | (٦) سورة التوبة ٣٩/٩ |
| (٧) سورة التوبة ١٢١/٩ | (٨) سورة هود ٣٠/١١ |
| (٩) سورة هود ٣٧/١١ | |

قرار التعريب^(١) :

يجوز المجمع ان يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية - عند الضرورة -
على طريقة العرب في تعريبهم .
قرار المولد^(١)

المولدهو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب وهو قسمان:
١ - قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو
نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك ، وحكمه
انه عربي سائغ .

٢ - وقسم خرجوا فيه عن اقيسة كلام العرب اما باستعمال لفظ
اعجمي لم تعربه العرب (وقد اصدر المجمع في شأن هذا النوع قرار
التعريب السابق) ، واما بتحريف في اللفظ او الدلالة لا يمكن معه
التخريج على وجه صحيح ؛ واما بوضع اللفظ ارتجالا^(٢)
والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام .
في الصباغة والاشتقاق^(٣)

قرار (فعالة) للمعرفة :

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ٣٣/١ وانظر الاحتجاج لذلك في ص ١٧٧ -
٢٦٣ من الجزء نفسه .

(٢) ترتب له السوق وتروجه ، وربما مرى الى بعض الخاصة في كلامهم العادي
كاللحصة والشرشعة مثلا .

(٣) ٣٤/١

يصاغ للدلالة على الحرفة أو شبيها من أي باب من أبواب الثلاثي
مصدر على وزن (فعالة) بالكسر .

قرار (فعملون) للتقلب والاضطراب ^(١) :

يقاس المصدر على وزن (فعلان) لفعل اللازم مفتوح العين اذا
دل على التقلب والاضطراب .
قرار (فُعال) للمرضى ^(٢) :

يقاس من (فعل) اللازم المفتوح العين مصدر على وزن (فُعال)
للدلالة على المرض .
قرار (فُعال وفعليل) للصوت ^(٣) :

اذا لم يرد في اللغة مصدر لفعل اللازم مفتوح العين الدال على صوت
فيجوز ان يصاغ له قياساً مصدر على وزن (فُعال) او (فَعِيل) .
قرار المصدر الصناعي : ^(٣) :

إذا أريد صنع مصدر من كلمة ، يزداد عليها ياء النسب والتاء .
قرار (فعَّال) للنسبة الى الشيء ^(٣) ،

يصاغ (فعَّال) قياساً للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء .
فاذا خيف لبس بين صانع شيء وملازمه ، كانت صيغة (فعَّال)
للصانع وكان النسب بالياء لغيره ، فيقال (زجاج) لصانع الزجاج ،
(وزجاجي) لبائعه .

قرار اسم الوَلة^(١)

يصاغ قياساً من الفعل الثلاثي على وزن (مِفْعَل ، ومِفْعَال ، ومِفْعَلَة) للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء^(٢) .

قرار الاشتقاق من أسماء الوُعيان^(٣) :

اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان^(٣)

والمجمع يميز هذا الاشتقاق - للضرورة - في لغة العلوم^(٤) .

قرار مطاوع (فعل) التمرني^(١)

كل فعل ثلاثي متعددال على معالجة حسية فطاووعه القياسي (انفعل)
مالم تكن فاء الفعل واواً ، أولاماً ، اونوناً ، أو ميا ، أوريا ،
ويجمعها قولك (ولنمر) فالقياس فيه (افتعل)

قرار مطاوع (فعل) بتشديد العين^(٣) :

(١) ٣٥/١ .

(٢) قلت : أحكام هذه القرارات كانت موضع خلاف منذ القديم بين من يقصرها على مالم يسمع له صيغة مخصوصة ، ومن يرى اطراد القياس فيها الى جانب ما يسمع له صيغة اخرى ، والخطوة التي خطاها المجمع هي حسمه الخلاف بميله الى اطراد القواعد وخيراً صنع .

(٣) ٣٦/١

(٤) فنقول مثلاً : منحنس (كما قالوا مفضض) ، مزنخ ، مبلر ، مقصدر ، مكهرب ، ممنط ، منشى ، (مُعْضَى ، متعض) ، استواء البخار ، استئاس الفهم ، استوب النشا (الرب الفليكوز = غسل الفاكهة) كما قالوا : حنّيته - بوبته - تربت يده ، أنوب ، جَوُزْبته فتجورب ... - أرض مذبة ، المذبة - المزفت - زت الطعام (ونجد في احتجاجات السكندري كثيراً جداً مما اشتق العرب من أسماء الأعيان) ص ٢٣٦ - ٢٦٨ من الجزء نفسه .

قياس المطاوعة لفعل مضعف العين (تفعّل) ، والأغلب فيما
ضعف للتعدية أن يكون مطاوعه ثلاثيه .

قرار مطاوع (فاعل) ^(١) :

(فاعل) الذي أريد به وصف مفعوله بأصل مصدره مثل (باعده) ^(١)
يكون قياس مطاوعه (تفاعل) كتباعد .

قرار مطاوع (فعلل) :

(فعلل) وما ألحق به قياس المطاوعة منه على (تفعلل) نحو دحرجته
فدحرج ، وجلبته فتجلبب .

قرار التعدية بالهمزة ^(٢) :

يرى المجمع أن تعدية الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة قياسية .

قرار صيغة (استفعل) للطلب والصيرورة ^(٣) :

يرى المجمع ان صيغة (استفعل) قياسية لإفادة الطلب أو الصيرورة

ملحقات الاصول العامة ^(٣) :

الأول — يفضل اللفظ العربي على المعرب القديم إلا إذا

اشتهر المعرب .

الثاني — ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب .

الثالث — تفضل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة ، إلا

إذا شاعت .

الرابع - تفضل الكلمة الواحدة على الكلمتين فأكثر عند وضع اصطلاح جديد، إذا امكن ذلك، وإذا لم يمكن تفضل الترجمة الحرفية^(١).
وأنت قد عرفت أن أكثر هذه القرارات كانت حول القضايا التي كان فريق من العلماء يقصرها على السماع وآخر يقيس عليها ما لم يرد عنهم فيه سماع، أما المجمع الحديث فقد نهج منهجاً يستطيع أن يحقق به مقتضيات الزمن، وقد سبقه إلى سد الثغمة - وإن كان على نحو علمي أضيق - مجمع دمشق. أما الجامعة السورية فقد اضطرت أساتذتها منذ انشائها ورجال الطب منهم خاصة إلى مصطلحات علمية كثيرة؛ وضعوها على ما تقتضيه الأصول العربية تعريباً واشتقاقاً ووضعوا فأغنوا بعض الغناء^(٢).

(١) وفي ٣٣/٢ فما بعد قرار :

- ١ - تكملة مادة لغوية ورد بعضها في المعجمات ونحوها ولم ترد بقيتها.
 - ٢ - قرار النسبة إلى جمع التكسير (عند ضرورة التمييز ونحوها)
 - ٣ - قرار قياس (مفعلة) له - كان يكثر فيه الشيء .
 - ٤ - قرار قياس (فعال) للمبالغة في الثلاثي اللازم والمتعدي .
- وفي ١٧٤/١٤ بحث ثم قرارات في قياسية جموع التكسير - فليرجع إلى ذلك كله .
- (٢) ثم استمروا في تقديمهم حتى صار لكل استاذ فن منهم معجم للمصطلحات التي استعملها ووضعها في مؤلفاته واخذها عنه طلابه ، بحيث تفكر كلية الطب اليوم بطبع معجم طبي في اللغة العربية لكثرة ما توفر لديها من مصطلحات . والذي قام به أساتيد هذه الكلية في أكثر من ثلاثين عاماً عمل جليل يستحق شكر العربية والوطن فقد كانوا أكثر من أساتذة ، كانوا أصحاب رسالة وإيمان .

والذي نختم به هذا البحث أن الواجب لا ينتهي برسم الخطة ، بل ان رسم الخطة شيء وتحقيقها شيء آخر ؛ فاذا شرع المجمع يحقق مارسم ويمد المعاهد والمؤسسات والمجتمع كله بما يحتاج اليه من اسماء وافعال لحاجاتنا اليومية والاجتماعية والعلمية والفنية والوجدانية ، والحضارية بصورة عامة : اذا فعل ذلك كان في طريق اداء الواجب عليه وتحقيق المصلحة التي من اجلها أنشأ منشئه رحمه الله .

ويبقى بعد ذلك للغة العربية فيض زاخر من المراتة ، على اهلها ان يفيدوا منه ولا يعطلوه . إذ قد ثبت على مر الزمن انها تسبق الباحثين والمستنبطين ولا يعجزونها ، وان كل عصر افاد منها على قدر استعداد اهله ومواهبهم ومساكناتهم . وحسبك ان تقابل بين الاصمعي والخليل وقد كانا في زمن واحد ، وبين ابن خالويه وابن جني وقد أظلهما عصر واحد ايضاً ، لتمييز مدى ما يفيد ذو الملكة المبدعة الخلافه من الدائرة الضيقة التي يدور فيها ذو الذهن المقيد ، واللغة بعدُ واحدة والفرص المتاحة ايضاً واحدة :

ولكن تأخذ الأذهان (منها) على قدر القرائح والفهوم

الاستقاة

في اللغة العربية

الاشتقاق

١ - معناه ٢ - انواعه ٣ - مصدره ٤ - أحكامه ٥ - خاتمة

(١)

معنى الاشتقاق

أقدم استعمال لهذه الكلمة في معناها المعروف ماورد في الحديث الصحيح :

« يقول الله : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي »^(١) ومعناها الاصطلاحي :

أخذ لفظ من آخر مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ يضيف زيادة على المعنى الأصلي ، وهذه الزيادة هي سبب الاشتقاق .

(٢)

أنواعه

حصره في انواع اربعة : صغير ، وكبير ، واكبر ، وكُبَّار

١ - الاشتقاق الصغير او الاصغر :

وهو المراد حين يطلق لفظ الاشتقاق مثل كلمتي (عالم، ومعلوم) من

(١) المزمع للسيوطي ٣٤٦/١ والرحمة واحد ، وفي (الادب المفرد) للبخاري : « أنا الرحمن وأنا خلقت الرحم واشتقت لها من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها ينقته » ص ٣٤ الحديث ٥٣ .

(العلم) . ويتفق هنا المشتق والمشتق منه في الأحرف الأصلية وفي ترتيبها . وأفراد هذا الاشتقاق عشرة: الفعل الماضي ، والفعل المضارع ، وفعل الأمر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة باسم الفاعل واسم التفضيل ، واسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة . وأمرها جميعاً من حيث قواعد الاشتقاق معروفة للجميع فلا نعرض لها هنا بشيء .

٢ - الاشتقاق الكبير :

أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى واتفاق في الأحرف الأصلية دون ترتيبها مثل : حمد ومدح ، وجذب وجذب ، وكلم ولكم . وسنعرض له بشيء من البيان .

٣ - الاشتقاق الأكبر :

أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى واتفاق في الأحرف الثابتة وتناسب في مخرج الأحرف المغيّرة ، مثل ، نهق ونهق ، وعنوان وعنوان : لكن تتبعات اللغويين هدت إلى عدم لزوم هذا القيد (تناسب المخارج) كما يظهر لك من الزمر الآتية :

أ - صرير البكرة وصريفها - الحَرْق والحَرْب (كل ثقب مستدير والحرب ثقب الأذن) - هديل وهدير .

ب - الحرف المضعف مع آخر : كد وكدح ، رص ورصف ، زح وزحل ، رج ورجف ، ضم وضمّد ، ردّ وردد .

ح — الناقص مع حرف آخر : رسا ورسب ، سما وسمق ، زجا
وزجر ، هذى وهذر ، محأ ومحق ، احتفى واحتفل ، دهدى ودهده
أسى وأسف ، رخا ورخص ، الحجبى والحجر ، هباء وهباب .
د — المضعف يحول ناقصاً : ربّ وربا ، طمّ وطمى ، تمّطط وتمّطى
تقّضض وتقضّى ، تظنّن وتظنّى .

ه — المضعف يحول أجوف : ضرّ وضار ، كعّ وكاع^(١) .. الخ .
ومن المحدثين من حذا حذوا ابن جنى الذي سيأتي بيانه بعد في الكلام
على الاشتقاق الكبير ، فاستقرى بعض الكلم التي تشترك في الحرفين
الأولين فوجد فيها كلها معنى مشتركاً ، ولو تيسر له مواصلة استقرائه
لطلع علينا — فيا أقدر — بنظرية تؤيد القائلين اليوم بأن الأصل في
الكلمات العربية ثنائي لا ثلاثي ، قال :

« والذي يتقرى كلم اللغة العربية بإنعام نظر يجد أن لمعظم موادها
أصلاً يرجع إليه كثير من كلماته إن لم نقل كلها ، خذ على ذلك مادة (فل)
وما يثلثها تجد الجميع يدور حول معنى الشق والفتح مثل : فلعج ، فلعج ،
فلع ، فلق ، فلذ ، فلى . ومثل ذلك مادة (قط) وما يثلثها تقول : قطّ ، قطع
قطر ، قطف ، قطن . وكلها بمعنى الانفصال »^(٢) .

(١) كتاب الاشتقاق والتعريب .

(٢) المرحوم الأستاذ طه الراوي : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

واليك مثلاً آخر لمحدث أيضاً :

الهمزة والباء مدلولهما النفور والبعد والانفصال بين الشيتين :
أبّ للسير : تهيأ له . أبز الظي : وثب وانطلق .
أبت اليوم : اشتد حره فقطع الناس أبق العبد : نفر عن مولاه .
وفصلهم عن أعمالهم . أبل : توحش وانفصل عن الناس .
أبد الوحش : نفر . أبه عن الشيء : بعد عنه وتنزه .
أبر النخل : قطع شيئاً منه أبي عن الضيم : فر عنه^(١) .
ولأمر ما جرى صاحب (المصباح المنير) في أبواب معجمه على أن
يقول مثلاً (الهمزة والباء وما يثلاثها) ٠٠٠ هكذا إلى آخر الأبواب، فهل
كان يشير^(٢) إلى أن وراء كل أصلين معنى مشتركاً يكمن في كل ما تفرع

(١) كنا عازوناً ذلك في الطبعة السابقة ، إلى مجلة مجمع اللغة العربية ٢/٢٤٥
ثم رأيناها مدرجة مع غيرها في كتاب المرحوم الرافعي «تاريخ آداب العرب ١/١٧٥»
والكتاب طبع سنة ١٩١١ ثم أعيد طبعه سنة ١٩٤٠ . فالحق أن نغزو إلى السابق .
وختم الرافعي أمثله بقوله : «ولو استقرت تراكيب اللغة كلها لوجدت مواد
كل تركيب ترجع إلى أصل واحد ولو تأويلًا عن طريق المجاز .. وسلسلة
الاشتقاق في كل لفظة إنما هي نسق تاريخي في تدوين نسبها اللغوي وفروع هذا
النسب ... إن الرواة أهملوا كل ما يتعلق بالجهات التاريخية في اللغة فلا جرم
انثلمت سلاسل الاشتقاق وضاع كثير من تلك الانساب الامادل عليه مشاهدات
الحلقة اللفظية وهو ما يعرف بالاستقراء .

(٢) بل إن المفسر البيضاوي صرح في تفسير قوله تعالى «ومما رزقناهم =

منهما من كلم ؟ وكذلك صنع ابن فارس قبله وهو من اهل المثة الرابعة في معجمه « مقاييس اللغة » وهما وإن لم يصرحا بالثنائية قولاً في عملهما ما يدل أنهما حاما حول القول بها ، وإذا تكون نظرية (المعجمية الثنائية) التي يشيد بها بعض العصرين قد فطن اليها لغويو العرب ومروا بها غير متلبثين لقلة جدواها العملية . وهي نظرية قديمة ، جراً على ادعائها في زماننا فقدان المطلعين على المصادر العربية القديمة بين قراء المدّعين .

٣ — الاشتقاق الكبار :

زاده بعضهم^(١) مطلقاً إياه على ما يسمى بالنحت ، فجعل منه :
(عشمي من : عبد شمس) و (حولق من : لا حول ولا قوة الى بالله).
ومراعاة معنى الاشتقاق تنصر جعل النحت نوعاً منه ، وإن فضل المتمسكون بالاصطلاح الفني إفراده من الاشتقاق .

وهذا النحت ذو أنواع أربعة :

١ — فعلي : ينحت من الجملة دلالة على النطق بها أو حدوث مضمونها
فأمثلة الحالة الأولى : بأبأ = قال بأبي أنت ، جَعَفَل = قال : جعلت

= ينفقون ، فقال : « أنفق الشيء وأنفقه أخوان ، ولو استقربت الالفاظ وجدت كل ما فآؤه نون وعينه فاء دالاً على معنى الذهاب والخروج ، وقال في تفسير « أولئك هم المفلحون » : « المفلح بالحاء والجيم : الفائز بالمطلوب ، كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ، وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو : فلق وفلذ وفلى . يدل على الشق والفتح ، اهـ .

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ٢٨٣/١ : بحث الاستاذ عبد الله امين .

فذاك ، سبجل = قال : سبحان الله ، دمعز = قال : أدام الله عزك ،
سمعل = قال السلام عليكم ، فذلك = قال : فذلك .. الخ .
ومثال الحالة الثانية : بعثر = بعث وأثار .

٢ — وصفي : ينحت من كلمتين دلالة على صفة بمعناها أو أشد منه :
ضبط : من الضبط والضبر (الاكتناز) ، صادم (شديد الخافر) :
من الصائد والصدم ، صم صائق : من الصهيل والصلق (وهو الصوت
المرتفع) .. الخ .

٣ — اسمي : ينحت من اسمين جامعاً بين معنيهما .
جامود : جلد + جمد ، حبقر (بمعنى البرد = حب قر ، عقايل
(بقايا العلة في الجسد) = عقبى الحمى وعقبى العلة .. الخ ، وهي كلمة
لا مفرد لها .

٤ — نسي : ينحت نسبة إلى علمين :
طبر خزي : نسبة الى طبرستان وخوارزم ، شفعتي : نسبة الى
الشافعي وأبي حنيفة ^(١) .

وسمع عن العرب : عبشمي : نسبة إلى عبد شمس ، عبدري :
نسبة الى عبد الدار ، مرقسي : نسبة الى امرئ القيس ، تيملي نسبة الى
تيم اللات .. الخ .

* * *

(١) الاشتقاق والتعريب

هذا ويتعلق النوع الأول من الاشتقاق بعلم الصرف، أما الأنواع الثلاثة الباقية فتتعلق ببحوث اللغة .
وسنعرض بشيء من الإفاضة إلى الاشتقاق الكبير خاصة لشأنه المرموق دون بقية الأنواع .

في الاشتقاق الكبير

إذا قلبت فعلاً ثلاثياً على أوجه الستة، فأنت واجد بين معانيها قدراً تشترك فيه الكلمات المستعملة منها؛ فكأن هذا القدر هو المعنى الأساسي لها جميعاً، ثم تنفرد كل منها بمعنى ليس في سائرهما، وهذه حال تشبه حال المشتقات مع المصدر في الاشتقاق الأصغر .

مؤسس هذه (النظرية) ومبدعها وواضع اصطلاحها الفيلسوف اللغوي ابن جني أحد الأئمة الأعلام في المئمة الرابعة الهجرية، فقد صرح في كتابه الخصائص في (باب الاشتقاق الأكبر^(١)) بما يلي :

(١) ١٣٣/٢ . " البحث الذي لا يزال يؤتي ثمره إلى اليوم ، والذي يختص بمادة الكلمة دون هيئتها ، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هذا ، - آدم متر في كتابه (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٣٣٠/١ الطبعة الثانية سنة ١٩٤٧ .

هذا ويريد ابن جني بـ (الاشتقاق الأكبر) ما اصطلعنا في تقسيمنا على تسميته بـ (الكبير) كما تقدم آنفاً ، إلى ذلك .

« هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا ، غير أن أبا علي (الفارسي) رحمه الله كان يستعين به ويخلد اليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر ، لكنه مع هذا لم يسمه^(١) وإنما كان يعتاده ويستروح إليه ويتعلل به ، وإنما هذا التلقيب لنا نحن وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن ، وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين : كبير وصغير ، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم : كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتقرأه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه ، وذلك كتركيب (سلم) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو : سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمي والسلامة والسليم .. وأما الاشتقاق الأكبر فإن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك (عنه) رد بلطف الصنعة والتأويل إليه ، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد . ثم مضى ابن جني يضرب الأمثلة على قاعدته وإليك نمطاً منها :

(١) قلت في الفهرست لابن النديم ص ٩٥ (المطبعة الرحمانية بصر) أن الرمازي كتاب : « الاشتقاق الصغير » وكتاب « الاشتقاق الكبير » ، والرمازي من أتراب الفارسي وأقرانه ، فلعل ابن جني لم يطلع على كتابيه هذين . هذا إذا كان قوله « الصغير » والكبير » صفتين للاشتقاق لا للكتاب . توفي الرمازي سنة (٣٨٤) وهو ممن كان يمزج النحو بالمنطق ، حتى كان الفارسي يقول : « ان كان النحو ما يقوله الرمازي فليس معنا منه شيء » ، وإن كان ما نقوله نحن فليس معه منه شيء . »

مادة (قول) في جميع تراكيها الستة تدل على الإسراع والحركة:
قول : وهو القول وذلك ان الفم واللسان يخفان له... وهو بضد
السكوت الذي هو داعية الى السكون .

قلو : القلاو حمار الوحش وذلك لخفته وإسراعه ، ومنه (قلوت
البسر والسويق) وذلك لأن الشيء إذا قل جف وخف ، وكان أسرع
الى الحركة والطف .

وقل : الوقل للوعل وذلك لحركته ، توقل في الجبل إذا صعد فيه
وذلك لا يكون الا مع الحركة والاعتمال .
ولق : ولق يلق إذا أسرع .

لوق : في الحديث (لا آكل من الطعام إلا ما لوقلي) اي ما خدم
وأعملت اليد في تحريكه ، ومنه اللوقة : الزبدة وذلك لخفتها وإسراع
حركتها وأنها ليست لها مسكة الجين .

لقو : الآقوة للعقاب ، قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها^(١) .
وقد احتذى المتأخرون من عصرينا حذو ابن جني فقدموا لنا أمثلة
كثيرة على منواله ، وبعضهم انحرف في تطبيقها فأتى بجديد كما رأيت
في صنيع الاستاذ طه الراوي رحمه الله وغيره . وإليك مثلاً آخر :
انظر تقاليب مادة (نجد) تجدها كلها تفيد القوة فهي المعنى المشترك لها :

(١) الخصائص ٥/١ - ١١ وقد فعل مثل ذلك بمادة (ك ل م)

ص ١٣ - ١٧ فانظرها ثمه بإنعام .

ف النجد: الشجاع، وما ارتفع من الأرض، والنجدة القتال، والنجدة
الفرع ؛ وفي كل ذلك قوة .

والجند : بهم تكون القوة .

والجدن : حسن الصوت وهو قوة ، وأجدن استغنى بعد فقر؛
وفي الاستغناء قوة .

والدناج : إحكام الأمر وهو قوة .

والدجن : المطر الكثير وفيه قوة .

والدجنة : الظلمة والظلمة ترهب ففيها قوة^(١) .

على أن هذه النظرة العميقة مكنت الاشتقاقيين «من رد الكلمات التي
اشتركت في معنى واحد بعضها إلى بعض بالقلب والإبدال، وأطلعهم على
سر تولد اللغة ونموها» .

ولم يعدم هذا المذهب مباليين فيه حملتهم قلة بضاعتهم وسوء بصارتهم على أن
يخرجوا إلى غير الاعتدال ، فقد حكى السيوطي في (المزهري)^(٢) أن أحدهم
سئل : « من أي شيء اشتق الجرجير ؟ » فقال : « لأن الربيع تجر جره ... ومن
هذا قيل للجل الجريير لأنه يجري على الأرض » قال : « والجرة لم سميت جرة ؟ »

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٠٠/٢

(٢) الجزء ٣٥٤/١ والخبر مفصل في ارشاد الاريب عن ابراهيم الزجاج
فانظره ثمة ١٤٤/١ إذ زعم « أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وان نقص
حروف احدهما عن حروف الاخرى فان احدهما مشتقة من الاخرى » ومرد
امثلة عدة وقد روى ياقوت تنكيث المعارضين عليه

قال : « لانها تجر على الأرض » فقال « لو جرت على الأرض لانكسرت » ،
 « فالجيرة لم سميت بجيرة ؟ » قال : « لان الله جرها في السماء جراً » ، قال :
 « فالجرجور الذي هو اسم المثة من الابل لم سميت به ؟ » فقال : « لانها تجر
 بالازمة وتقاد .. الخ . وقال آخر : لما سمى الثور ثوراً لأنه يثير الأرض .
 وركب هذا الهمز بعض المصريين فأولع بورد الكلمات الاعجمية الى العربية
 حتى ان بعضهم سئل عن ^(١) (البنجرة) وهي الشباك بالتركية ، قال لأنها من
 (فنجرجرجرج) إذا فتح عينيه ، والنافذة في الجدار فتحته ^(٢)

(٣)

مصدر المشتقات

ليست هذه المسألة موضع اتفاق بين البصريين والكوفيين ،
 فالأولون يذهبون إلى أن المصدر أصل الفعل ، والكوفيون يرون أن
 المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه ، وللفريقين أدلة وردود سردها ابن
 الأنباري في كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف) في المسألة الثامنة
 والعشرين (١ / ١٤٤ - ١٥٢) وكان قد أفردا في تأليف مستقل .

فمن أدلة الكوفيين : أن المصدر لا يتصور معناه مالم يكن له فعل
 فاعل ، فينبغي أن يكون الفعل الذي يعرف به المصدر أصلاً للمصدر .
 وأن المصدر يذكر تو كيداً للفعل ورتبة التوكيد بعد رتبة المؤكد ،

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ٢٢٠ / ١٣ . ثم اتخذ بعض الظراف الدعابة
 مركباً في هذا الباب ، فذهب يرد كثيراً من الكلمات الاجنبية الى العربية تعريضاً
 بالمتقمرين فيقول مثلاً أصل « الالكترىك » : آلة تريك ، وأصل المادة الهاضمة
 « الكاربونات » ، « الكرب نط » .. الخ .

وأنا نجد أفعالاً لا مصادر لها مثل : نعم ، بئس ، عسى ، ليس .. الخ
ومن أدلة البصريين : أن المصدر يدل على مطلق الحدث لا اختصاص
له بزمان دون زمان ، فلما احتاجوا إلى الدلالة على زمن محدد اشتقوا منه
الفعل ليدل على الحدوث والظرف معاً .

وأنه لو كان مشتقاً من الفعل لكان يجب أن يجري على سنن في
القياس : كاشتقاق الأفعال وأسماء الفاعلين ..

وأنه لو كان مشتقاً من الفعل لوجب أن يدل على ما في الفعل من
الحدث والزمان وعلى معنى ثالث هو سبب الاشتقاق ، كما دل اسم الفاعل
مثلاً على معنى الفعل (الحدث والزمن) وعلى الذات الفاعلة .. الخ ..
إلى أدلة كثيرة صناعية لكل من الفريقين ، يجد المدقق فيها كلها اجتهاداً
في النظر ووجهاً من الحق .

ومن الباحثين المحدثين من دعم رأي الكوفيين وعممه على كل اللغات
السامية . ذاهباً إلى أن القائلين بأن المصدر أصل الاشتقاق متأثرون
بعقليتهم الفارسية .

قال اسرا ئيل ولفنسون مدرّس اللغات السامية بالجامعة المصرية سابقاً :
« وقد رأى بعض علماء اللغة العربية أن المصدر الاسمي هو الأصل
الذي يشتق منه أصل كل الكلمات والصيغ ؛ ولكن هذا الرأي خطأ
— في رأينا — لأنه يجعل أصل الاشتقاق مخالفاً لأصله في جميع
أخواتها السامية .

وقد تسرب هذا الرأي الى هؤلاء العلماء من الفرس الذين بحثوا في اللغة العربية بعقليتهم الآرية ، والأصل في الاشتقاق عند الآريين أن يكون من مصدر اسمي ، أما في اللغات السامية فالفعل هو كل شيء ، فنه تتكون الجملة ولم يخضع الفعل للاسم والضمير ، بل نجد الضمير مسنداً إلى الفعل ومرتبطاً به ارتباطاً وثيقاً^(١) .

ثم ذكر هذا المستشرق اليهودي أن هذه نظريته الخاصة اذ لم يشر اليها أحد من علماء الأفرنج . ومع رغبته في أن يعم بنظرته هذه اللغة العربية ولغته العبرية يجدر بالمتأمل الوقوف وعدم القطع بما لم يقيم عليه البرهان الساطع ، فما أكثر الظواهر التي خالفت فيها العربية أخواتها الساميات .

وربما ذهب الى تأييد نظرية الكوفيين غيره من الباحثين المحدثين ، والمسألة بعد نظرية صرف لم يقيم فيها دليل حاسم ، ولا لنا منها اليوم جدوى عملية .



وأي كان فالذي نميل إليه الآن هو أنه إذا كان في المشتق زيادة معنى على المشتق منه ، وكان البسيط مقدماً على المركب — وذلك مسلم عند الفريقين — فأصل المشتقات كلها — صناعة — المصدر

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٤ (لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الأولى ١٩٣٩) .

لا الفعل ، لأن المصدر يدل على حدث والفعل يدل على حدث وزمن ،
والأسماء المشتقة تدل على حدث وزمن مع زيادة ثلاثة كالدلالة على
الفاعل او المفعول أو التفضيل أو المسكان . فهذه الكثرة من المشتقات
التي جعلت للغة سعتها ومراتبها أخذت من المصادر التي هي جميعاً
أسماء معان ، وقد مر بك (ص ٩٠) كلمة الفارسي في أن « رتبة
المشتق أن يكون بعد » .

على أن العرب لم تحجم أحياناً عن الاشتقاق من غير المصادر ،
فاشتقت من أسماء معان ومن ذوات حسية ومن أسماء الأزمنة والامكنة
ومن أسماء الاصوات ومن الحروف وإليك البيان ^(١) :

١ — عمدوا إلى الأعداد وهي أسماء معان جامدة فقالوا : وخذ
وتوخذ ، قي وحده ، وثنيته ثنية جعلته اثنين ، وثلاثهم جعلتهم ثلاثة ،
وربعهم وخمستهم .. إلى (عشرتهم) ، وفي المخصص : « كانوا تسعة
وعشرين فثلاثهم : أي صرت لهم تمام ثلاثين ، وكذلك جميع العقود
إلى المئة ، فإذا بلغت المئة قلت : « كانوا تسعة وتسعين فأمايتهم ، وكانوا
تسعمائة وتسعين فآلفتهم » .

٢ — واشتقوا من أسماء الأزمنة وهي أيضاً أسماء معان جامدة ،
اشتقاقاً صريحاً يكاد يكون مطرداً . ففي اللسان : أخرف القوم : دخلوا
في الخريف ، وشتوت بموضع كذا وتشيت : أقمت به في الشتاء ،

(١) عن مجلة مجمع اللغة العربية ٣٨٥/١ فما بعد ، باختصار وتصرف .

وأربعوا دخلوا في الربيع ، وتربعوا الموضع : أقاموا فيه بالربيع ،
وأصافوا : دخلوا في الصيف وصافوا بمكان كذا ، وأفجروا دخلوا
في الفجر ، ومثلها أصبحوا ، وأشرقوا : دخلوا في وقت الشروق ،
وأظهروا وأعصروا وأصلوا ، وفي الحديث : (كان في سفر فاعتشى في
أول الليل أي سار وقت العشاء) واستحروا وابتكروا .
وساوعه : استأجره الساعة أو عامله بها ، وأيلوا .. الخ .

٣ .. واشتقوا من أسماء الذوات كأعضاء الانسان ، فقالوا أذنه
ورآه وسره ، أي ضرب أذنه ورثته وسرته .. الخ وتأبط الشيء وضعه
تحت إبطه .. ومن غير أعضاء الانسان قالوا : أبرته العقرب : لسعته
بابرتها ، وأبّل الرجل : كثرت إبله ، وأزرتة : ألبسته إزاراً ،
واستأسد وأسد : صار كالأسد .. الخ .

وقالوا : أورق الشجر ، وعقرب الصدغ ، وفلفل الطعام الخ ومن
الشجر قالوا : شجرت فلاناً بالرمح تأويله : جعلته فيه كالغصن في الشجرة^(١) .
٤ - واشتقوا من أسماء الأصوات . حتى لقد ذكر ابن جني أنه
ذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها انما هو من الأصوات المسموعات
كدوي الرياح وحنين الرعد وخرير المياه ، ونعيق الغراب وصهيل
الفرس ... ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجه
صالح ومذهب متقبل ،^(٢) .

(١) الزهر ٣٥١/١ (٢) الخصائص ٤٦/١

وأصل حكاية الاصوات في اللغة العربية على حرفين مثل (طَاقٌ ،
قَبٌ) او ثلاثة أوسطها لين مثل (غاق) ومنها اشتقت الأفعال . فكلمة
(صَلَّ) يحكى بها صوت شيء يابس اذا تحرك والفعل المشتق منه
(صل) ، فان تكرر قالوا (صاصل) ، قالوا : صل اللجام اذا صوت .
فاذا تكرر قلت : صلصل ، وسمي الطين اليابس (صلصالاً) لذلك .
وكلمة (جِىءَ جِىءَ) دعاء الإبل للشرب فاشتقوا منه فعلاً فقالوا :
« جأجأ بالابل ، اذا دعاما للشراب ، وقال الراجز :

وما كان على الهيم ولا الجيم امتداحيكما

أي على الطعام والشراب .

ودعاء المعز بكلمة (عا ، عا) فجعل الراجز لاسم الصوت هذا
فعلاً ومصدرأ فقال :

يا عنز هذا شجر وماء عاعيتُ لو ينفعني العياء

وآخر الأمثلة التي تقدمها كلمة (صخ) وهي حكاية صوت حادث
من ضرب صخرة بصخرة ، فاشتق العرب منها فعل (صخ) واستعملوا
كلمة (الصاخة) وهي الصيحة تصخ الأسباع ، واشتقوا : أصاخ بمعنى
استمع للصوت ، وربما كان اسم (الصخر) نفسه مشتقاً من اسم صوته ،
اشتقوا منه فقالوا : مكان مصخر كثير الصخر . وربما كان منه (صرخ)
و (صخب) و (صخند) وهو صوت الصرد . وقريب منه الصماخ للأذن

لأنه جزء من أداة السمع : وجميل ما ذكره بعض المحدثين^(١) من جعلهم بعض الحروف أساساً في كلمات عدة يلاحظ صوته في معانيها جميعاً : كالنون في الطن والرن والقاق في الطرق والشق والدق .

هـ — واشتقوا من حروف المعاني أفعالاً ومصادر فقالوا : أنعم الرجل قال نعم ، سوف الحاجة : إذا ماطل وقال مرة بعد مرة : سوف أقضيها ، وقالوا : (سألتك حاجة فلو ليت لي : قلت لي لولا ،^(٢) وقالوا

(١) احمد امين بك في محاضرة له (القياس) بجمع اللغة العربية في دورة ١٩٤٩ وقال عقب ذلك : « وعند نحوي هذا الباب نراه يحاكون أولاً صوت المسموع بالأذن ، ثم ينقلونه الى المبصر بالعين ، ثم ينقلونه الى المحسوس بيباقي الحواس الخارجية ثم الى المعقول بالعقل ، فمثلاً نظرنا الى كلمة (حس) وتبيننا ما وجدنا أن المصدر الاصيل لـ (حس) كان صوتاً مبنياً تخيلوا انه يسمع عند الحس أي عند المس باليد ثم انتقلوا من الاحساس باليد الى الاحساس بغيرها فسموا كل ما يشعر به محسوساً وسموا الآلات التي يحس بها حواس ، ثم أطلقوها على العلم الحادث من الحواس ، وعلى اليقين الحاصل من العلم بها ، واشتقوا أحس بالشئ إذا أدركه بجاسته ، ونقلوه الى أحسست بالشئ أي أيقنت به . ثم نوعوا هذا الصوت السببي فجعلوه مرة (حساً) ومرة (لمساً) ومرة (مساً) .. وتارة يلحظون ما بين الحرف والمعنى من مناسبة فيلاحظون في الحاء آخر الكلمة دلالة على الاتساع والانتشار : (ساح ، باح ، صاح ، شرح ، مرج) ، والكلمة المبدوءة بالشين على التشتت والتفرق مثل (شن ، شطر ، شعث ، شع) .. والمبدوءة بالعين على الغموض (غمض ، غاب ، غبش ، غار ، غطس ، غم ..) -

انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧ ص ٣٥٧

(٢) الخصائص ٣٤/٢

لالى الرجل : قال : لا ، وقالوا : لوى الكاتب لاء جيدة ، وقالوا :
موى اذا كتب (ما) ، وكوف كافاً حسنة ، ودلى دالا جيدة
وزوى زاياً قوية^(١) .

٦ - بل كان الاشتقاق عندهم كالعصارة المعدية تخالط كل غذاء
فتهضمه و (تمثله) للجسم متحولاً الى جنس دمه ، فقد صبت هذه العصارة
على الأعلام العربية فقالوا تنزرو وتقطن بمعنى انتسب الى نزار وقحطان^(٢)
بل صبوها حتى على الأسماء الأعجمية وما زالت بها حتى لينتها للعربية
وطوعتها فاشتقت منها ، قال أبو علي الفارسي :

« إن العرب اشتقت من الأعجمي النكرة كما تشتق من أصول
كلامها ، قال رؤبة :

هل ينبجني حلف سخيت أو فضة أو ذهب كبريت^(٣)
« فسختيت من السخت كزحليل من الزحل ، » وحكى أيضاً عن
ابن الاعرابي ... « يقال درنمت الخبازي أي صارت كالدرهم
فاشتق من الدرهم وهو اسم أعجمي »^(٤) .

(١) انظر الخصائص ٢٧٥/١

(٢) جاء في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني : « ويدخل من تنزرو بها مع
الابناء ، ويدخل أهل البلد ومن تقطن بها مع بني شهاب ، الابناء ابنا الفرس ،
- انظر الاكليل الجزء العاشر ص ١٥ الحاشية « ٤ »

(٣) في اللسان : هل ينبجني كذب سخيت . والسختيت : الصلب الشديد ،
اصله فارسي ، والدقيق الخوارى ، والغبار الشديد الارتفاع - وانظر الديوان
(٤) الخصائص ٣٥٨/١ الزحليل : السربيع

« وما اشتقه العرب من كلام العجم ما أنشدناه من قول الراجز :
 هل تعرف الدار لأم الخزرج منها فظلتُ اليوم كالمرزج
 أي الذي شرب الزرجون وهي الخمر، فاشتق المرزج من الزرجون^(١)
 أما (زنديق، ودينار، وديوان، ولجام، ومهرجان... الخ).
 فأشهر من أن يجهلها أحد، فقد عربتها العرب وأكثر من استعمالها
 حتى ظن أنها عربية صرف، واشتقوا منها أفعالاً ومصادر وصفات
 فقالوا: زندق، تزندق، ومدنر، ودون تدويناً و (مهرجوناً كل
 يوم^(٢)) و (مرزب بهراميس على مرو)^(٣). وقالوا من (الجورب):
 (جوربته فتجورب) بمعنى (ألبسته الجورب فلبسه)^(٤) وقالوا من
 (المنجنيق): (جنق الحجاج الكعبة^(٥)).. الخ.

(٤)

أعلام تتعلق بالاشتقاق

المحقق وغيره - المطرد وغيره - أركان الاشتقاق - تغييراته - ما يتمنع على
 الاشتقاق - كته .

(١) الخصائص ٣٥٩/١

(٢) قال الأولى علي بن أبي طالب لما قدموا إليه حلوى يوم المهرجان، ولما
 قدمت إليه حلوى يوم النيروز قال: «نيروزنا كل يوم» - تاج العروس
 مادة «نوز» .

وجاءت الثانية في تاريخ الطبري بمعنى: صار مرزباناً على مرو - ١٢٩٨/٢
 طبع ليدن .

(٣) انظر هذه المادة في لسان العرب (٤) انظر محاضرات الراغب ٣٦٧/٢

الاشتقاق المحقق وغير المحقق

الاشتقاق المحقق : أن تظهر الدلالة على المعنى المراد بالاشتقاق ،
مثل اشتقاق (عالم) من (العلم) . وهو ثلاثة أنواع:
الأول — المفرد : وهو الاشتقاق الذي لا يعارضه اشتقاق آخر
ك(ضارب) من (الضرب)

الثاني — الراجع : وهو الاشتقاق الذي يعارضه اشتقاق آخر ،
ولكن الأول أرجح ؛ وذلك مثل كلمة (الموسى) :

قيل : هي (مُفْعَل) من أوسى بمعنى حلق ، وقيل هي (فُعَلَى)
من ماس بمعنى تبخر (وقيل من رجل ماس أي خفيف طياش) : إلا أن
كونها من (أوسى) أرجح من (ماس) ، لأن (مُفْعَل) في كلامهم
أكثر من (فُعَلَى) وهو أقيس لأن (مُفْعَل) يشتق من كل (أَفْعَل) ،
أما (فُعَلَى) فليس كذلك ، ولأن مُفْعَل منصرف و (فُعَلَى) غير منصرف
الثالث — الواضح ، وهو الذي يعارضه اشتقاق آخر بلا ترجيح ،
مثاله كلمة (الأولق) قيل هي من أَلِقَ بمعنى (جَنّ) فهي (فَوَعَل) وقيل
هي (أَفْعَل) من (الوَأَق) وهو السرعة ، ولا مرجح لأحدهما^(١)

والاشتقاق غير المحقق أن تكون فيه شبهة اشتقاق فلا يكون
اللفظ دالاً على المعنى المراد ، فكلمة (هَجْرِع) للرجل الطويل قيل إنها
من (الجرع) وهو الطويل .

(١) ابن جني يجعلها فوعلا على كل حال ، أصلها وولق ، ثم قلبت

المطرود وغيره :

الاشتقاق المطرود عشرة أنواع : الأفعال الثلاثة والأسماء المشتقة السبعة (اسم الفاعل واسم المفعول. والصفة المشبهة أحياناً. واسم الزمان واسم المكان واسم التفضيل واسم الآلة). وبقية المشتقات غير مطردة كالتي مرت بك وك (القارورة) للزجاجة التي يقر فيها الماء.

أركان : لا بد في الاشتقاق من أركان أربعة ١ - المشتق ٢ - المشتق منه ٣ - تشاركهما في المعاني والحروف ٤ - أن يكون بينهما تغيير لفظاً مثل (طالب من الطلب) أو تقديرأ مثل (طلب من طلب). ونعرف اشتقاق كلمة من أخرى بتقليبها على جميع الصيغ، حتى نرجع إلى صيغة توجد في جميع تصاريدها، فكلمة (عالم) ليست مشتقة من معلوم لنقص بعض الحروف منها .

تغييرات : رد السيوطي تغييرات الاشتقاق الى خمسة عشر :

- ١ - زيادة حركة : علم وعلم .
- ٢ - زيادة مادة : طالب وطلب .
- ٣ - زيادتهما : ضارب وضرب .
- ٤ - نقصان حركة : الفرس والفرس .
- ٥ - نقصان مادة : ثبت وثبات .
- ٦ - نقصانهما : نزا ونزوان .
- ٧ - نقصان حركة وزيادة مادة كغضبي وغضب .

- ٨ - نقصان مادة وزيادة حركة ك حرم وحرمان .
- ٩ - زيادتهما مع نقصانهما ك استنوق والناقة .
- ١٠ - تغاير الحركتين ك بطر وبطراً .
- ١١ - نقصان حركة وزيادة حركة وحرف ك اضرب من الضرب .
- ١٢ - نقصان مادة وزيادة أخرى ك راضع من الرضاعة .
- ١٣ - نقصان مادة وزيادة أخرى وحركة فقط ك خاف من الخوف .
- ١٤ - نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط ك (عِدْ) من (الوعد) : فيه نقصان الواو وحركتها ، وزيادة كسر العين .
- ١٥ - نقصان حركة وحرف وزيادة حرف ك (افخر) من (الفخار) نقصت الف وفتحة وزادت الف ^(١) .

الممنوع من الاشتقاق :

قالوا : لا يدخل الاشتقاق ستة أشياء :

- ١ - الأسماء الاعجمية .
- ٢ - أسماء الاصوات .
- ٣ - الأسماء المتوغلة في الإبهام مثل (من ، ما ، مهما) وما شابهها .
- ٤ - الألفاظ النادرة مثل : طوبى .

(١) المزهر ١/٣٤٨ هذا والذي في الأصل ك « فاخر » من الفخار نقصت ألف وزادت الف وفتحة ، ولم تظهر لنا صحته فرجعنا ما أثبتناه ، لأنه هو المثل الذي يطابق الوصف المذكور .

٥ - الأسماء التي لها معان متقابلة ك (الْأَيُّضُ وَالْأَسْوَدُ
وَكَذَا سَائِرُ أَسْمَاءِ الْأَضْدَادِ .

٦ - الحروف .

وما ورد من ذلك فهو نادر مقصور على السماع - ٥١ .
وقد عرفت مما تقدم لك أنهم لا يقتصرون على السماع ، فاشتقوا من
الحروف والأسماء الأعجمية وأسماء الأصوات وغيرها .
كتب الاستقنا :

قال السيوطي : « أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين : منهم
قطرب (-٢٠٦) والاصمعي (-٢١٥) ، وأبو الحسن الأخفش (-٢٢١) ، وأبو
نصر الباهلي (-٢٣١) ، والمفضل بن سالم (-٢٥٠) والمبرد (-٣٨٥) والزجاج
(-٣١١) وابن السراج (-٣١٦) ، وابن دريد (-٣٢١) ، وأبو جعفر النحاس
(-٣٣٨) . وابن خالويه (-٣٧٠) ، والرماني (-٣٨٤) له الاشتقاق الكبير
و (الاشتقاق المستخرج) ويوسف الزجاجي الجرجاني (-٤١٥) ، وأبو
عبيد البكري (-٤٨٧) . وجما الدين الشريشي الأندلسي (-٦٨٥) وعلي
الخوارزمي حجة الأفاضل (-٦٨٦) . ومن هؤلاء من قصر الكلام على
ناحية خاصة هي اشتقاق الأسماء كالباهلي والمفضل ويوسف الزجاجي
والبكري والخوارزمي ، ومنهم من زاد في التخصيص كابن دريد فكسر
كتابه على (اشتقاق أسماء القبائل) والكتاب مطبوع متداول^(١) .

(١) المزمهر ٣٥١/١ وانظر انباء الرواة ١٠٣/١ و ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٦٥ =

وقلما نجد أحداً من أعلام العربية ممن يذكر في فهرست ابن النديم أو غيره من كتب الطبقات إلا عالج هذا الموضوع ، إن لم يكن في كتاب مستقل ففي ضمن بحث آخر . وعاد إلى طرقة في هذا العصر المشتغلون باللغة في مناسبات شتى في الصحف والمجلات العلمية . من هؤلاء الشيخ عبد القادر المغربي فقد أخرج كتابه (الاشتقاق والتعريب) قبل أكثر من خمسين سنة^(١) .

(٦)

فائنة

إذا صح أن ولد إسماعيل لم يزالوا^(٢) على مر الزمان يشتقون الكلام بعضه من بعض ، ويضعون للأشياء أسماء كثيرة بحسب حدوث الأشياء الموجودات وظهورها^(٣) فالذي لا شك فيه أننا لم نجار هؤلاء العرب

= ٣٢٥. هذا وفي الفهرست لابن النديم أن لفظويه (- ٣٢٣) كتاب الرد على من زعم أن العرب تشتق الكلام بعضه من بعض . انظر ترجمته فيه وفي كتابه إنباء الرواة ، القفطي حيث نسب إليه كتاباً يبطل الاشتقاق ١٨٠/١٥ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ، وجاء في هذا المصدر ص ١٧٨ أنه كان ينكر الاشتقاق ويحمله وله في ذلك مصنف وكل حجة فيه مدخولة وكان أبو بكر ابن السراج في طرف آخر في هذا النوع : يتهافت في الاشتقاق وإثباته واستعماله تهافتاً يخرج عنه عن حيد الحقيقة الماشية على أصول من تقدم ١٠٠ هـ .

(١) [طبع سنة ١٩٠٨ وأعيد طبعه سنة ١٩٤٧] .

(٢) ابن النديم ص ٧ .

الأولين في عملهم ، ولعل في تحجير علماء العربية الأقدمين عاملاً هاماً في صدا هذه الآلة الخيرة : الاشتقاق .

كل من يتصفح معاجم اللغة يعرف بعد شيء من الممارسة ، أن مواد اللغة فيها ناقصة ، فلسنا نجد في مادة ما كل الصيغ المجردة والمزيدة في الأفعال والأسماء . وقد أحبت أن أورد لك مثلاً على ذلك مادة (الاشتقاق) نفسها ، فرجعت الى هذه المادة في (لسان العرب) و (تاج العروس) وهما أكبر المعاجم المطبوعة على الإطلاق ، فوجدت فيهما من هذه المادة الصيغ الآتية وقد رتبته لك مجردة فمزيدة :

الاسماء	الأفعال
شَقاً	شَقَّ
شَقَّ : نصف	أشَقَّ النخلُ : طلعت أكامه
{ شَقَّ	شَقَّقَ الكلام
{ المشق	شاقَّ
الشقق : الطول	شققشق الفحل : هدر
الشُّقَّة : البعد	انشقَّ
المشقة	تشقق
الشِّقَّة : من العصا والثوب ما شق طويلاً	اشتق
الأشَقَّ : الطويل والانتى شقاء	تشاقَّ الرجلان
	استشق بالجوالق : حزمه على أحدثقيه الشقيق

الأفعال

الاسماء

الشقيقة فرجة بين جبلين تنبت العشب

الشقوقة: طائر

الشُّقَّاق: شق في الجلد من داء

الشُّقَّاق: موضع

الشَّقِيقَةُ: للبعير شيء يخرج منه فيه كالرثة

فاذا عارضنا ما وجدنا من هذه الأفعال بالأوزان التي جمعها الصرفيون

للفعل ، وجدنا هذه المعاجم سككت عن الصيغ الآتية :

من مزيد الثلاثي : اشَقَّقَ ، اشقاق ، اشقوق ، اشقوقق .

من مزيد الرباعي : تشَقَّقَ ، اشققق ، اشققق .

ولئن كان حسنا اللغوي يميل الى اهمال مثل (اشقوقق ، اشققق)

لثقلها في النطق والسمع ، ان هذا الثقل اصاب هذه المادة خاصة لمكان

القافات المتتالية ، والقاف وحدها حرف فخم غير خفيف .

اما الاسماء فاذا نحن قابلناها مثلاً بما حشر لنا السيوطي في مزهره

من اوزان الاسماء والمصادر التي ذهب هو وغيره الى قصرها على السماع ،

وجدنا اكثر من سبعين صيغة لم يرد عليها من مادة (شق) ولا كلمة

من امثال (فَعُول ، فَعْلَال ، فَعْلَى ، أَفْعَلان ، أَفْعَل ، فُعاعيل ،

فَعْلُول ، فَعْلِيل ... الخ) (١) .

إن هذه الصيغ ضربت عليها الأسداد حتى ماتت ، فلنستعمل

(١) ارجع اليها مسرودة في المزهرة ٢/٤٩ - ٢٠٦٩/١١٧ - ١٠٦

منها في لغتنا اليوم الا قدراً ضئيلاً يستوي هو والعدم .
وما كثر ما نجد في دواوين اللغة وكتب القواعد مثل قولهم (ليس
في العربية على وزن كذا الا كلمتان او كلمات) ، ولما قال بشار
على هذا الوزن (الوجلي والغزلي) طعنوا عليه وقال الأخفش : « لم
يسمع من الوجلي والغزل : (فعلى) وانما قاسها بشار ؛ وليس هذا
بما يقاس انما يعمل فيه بالسماع »^(١) .

فيحار المرء ويتساءل : من جمع لهم العربية كلها في طبق فأحصوا
كلها عدداً ثم حكموا مثبتتين : « ليس في العربية من كذا الا كذا ؟ »
ولو قال قائلهم : « لا اعرف من كذا الا كذا » لكان اقرب الى النصفه
واصدق قليلاً . هذا وهم جميعاً موقنون انه ما وصل الى الرواة من
اللغة الا اقلها ، ولم تدون المعاجم كل ما روت الرواة .

وأبعد في الغرابة مما تقدم انهم نقلوا الحظر الى الاوزان المطردة في
الافعال ، فذهبوا الى انه لا يشترط في كل مجرد ان تكون له كل
الاوزان المزیدة ؛ وغالى الرمازي منهم فضرب في حظه الرقم القياسي
- كما يقولون - حين منع ما أجمعوا على قياسه ، وهو اشتقاق اسم المفعول
من الثلاثي المتعدي ، فقال : « لا يقاس من (نفع) اسم مفعول !! »^(٢) .
وبعد ، فالاعتدال أن نشق ما نحتاج اليه اليوم على أوزان العرب
وأساليبها في تشقيق الصيغ دلالة على تنويع المعاني ، فإذا أردنا أن ندل

(١) القياس في اللغة العربية ص ٥١ (٢) القياس في اللغة العربية ص ٦٤

على الثبوت مثلاً في صفة ما من مادة لم يرد فيها عن العرب صفة مشبهة
اشتقنا منها (فعيلاً) اذ كانت (فعليل) أكثر الصيغ دوراناً في الصفات
المسموعة ، وكذلك نفع في مزيادات الأفعال وصيغ الأسماء .

وقد خطا مجمع اللغة العربية خطاً مباركة في طرده القياس ، في
المصادر والصفات ، ورأيت نمطاً من قراراته في الاشتقاق آخر بحث
القياس فلا نعيد هنا منها شيئاً .

فإذا خطونا خطوة تالية فأجبنا للكتاب والشعراء اشتقاق المزيادات
والصيغ كلها في الأفعال والأسماء من كل مادة ، بشرط الحاجة والتوفيق
في الاشتقاق ، ومراعاة المعنى الذي أراده العرب من كل صيغة ، اذا تم
ذلك رجونا أن يكون على أيدي العبقرين من المطبوعين . استجابة
اللغة العربية لكل المطالب الحضارية في حياتنا المادية والوجدانية .

لا بد اذن من إعادة النظر في باب الاشتقاق ، والوقوف على استعداد
اللغة العربية فيه ، والإفادة من مراتها وطواعيتها وكنوزها المعطلة ،
لتلي حاجات عصرنا الحديث بل حاجات كل عصر ؛ فنطرد من قواعده
ما كان غير مطّرد ، ونكمل المواد الناقصة في المعاجم ، ونشتق من
من الأعيان وغيرها كل ما تدعو اليه حاجة ؛ فلا تزال لغتنا غنية بامكانياتها
تنتظر اقدام المقدمين من الواقفين على مزاياها وأسرارها بعد أن طال
بلاؤها من إحجام المحجمين أحقاباً طوالاً .

ومن ينعم النظر في هذه المشتقات التي أوردناها من أسماء المحسوسات

ومن اسماء الأصوات والحروف ... ويرد الفكر الى القواعد التي وضعوها بين ايدينا، يجد العرب والعربية قد سبقاتلك القواعد اشواطاً بعيدة جداً ، فقد افادوا من لغتهم اضعاف ما يتصور القاعديون .
للتنا غنى وافر وطبيعة مسعفة ^(١) يحسدها عليها كثير من اللغات
فهي كنز يطلب من يكتشفه ويحسن استخدامه والافادة منه . وعلى أن
يجمع اللغة العربية بمصر قد التفت قليلاً الى هذه الناحية ، لا تزال الشقة
— كما قلت سابقاً — بعيدة بين همته وأن يحسن الانتفاع بمزايا العربية
حق الانتفاع ^(١) .

(١) قرر الاستاذ ماسينيون في الدورة الثالثة عشرة لمجمع اللغة العربية في القاهرة أن « اشتقاق الاسماء في العربية واضح ، ولكنه في الفرنسية مهم »
مجلة مجمع اللغة العربية ٣٨/٧
« ٢ » ويتضح شرح ذلك في إهماله الاستفادة من الصيغ الآتية في جعلها
تطرد في الدلالة على الآلة :

فعال وفعالة مثل ضماد ، حزام ، خياط ، حمالة .. الخ
وفاعل مثل : خاتم ، قالب ، طابع
وُفعال وفعالة مثل : مُخطّاف ، نُشّاب ، مُدّاعة ، دُوامة
وفاعول مثل : راقود ، راووق ، طاحون ، ناقور
كما يمكن إغناء الصيغ الدالة على اسم الفاعل بمثل :
فِعْل وفِعِيل وفِعِيل « اسماء فاعلين من فاعل مفاعلة » مثل : قرن
وقرين ، شِبْه وشبيه ، مِثْل ومثيل ، قَسِمَ وشَيْع « مالك بالشيوع »
وكجعل وزن « فَعْلَة » مطرّداً في الدلالة على اسم المفعول مثل : ضحكة
'طعمة ، فرصة ، كسوة ، لقمة ، نقطة .

الخلوف

بين غاة البصرة والوفاء

المؤلف

لمحة تاريخية و مدرسة البصرة - مدرسة الكوفة ، ٢ - نشأة الخلاف ٣ -
الفرق بين المذهبين ٤ - أثر العصبية في الخلاف ٥ - كتب الخلاف ٦ - بعد
المذهب البصري والمذهب الكوفي .

(١)

لمحة تاريخية (مدرسة البصرة - مدرسة الكوفة)

ما مضى لك يباه من أحداث اللحن حمل القوم على الاجتهاد لحفظ
العربية وتيسير تعلمها للأعاجم . فشرعوا يتكلمون في الاعراب
وقواعده حتى تم لهم مع الزمن هذا الفن . والذي تجمع عليه المصادر
أن النحو نشأ بالبصرة وبها نما واتسع وتكامل وتفلسف ، وأن رؤوسه
بنزعتيه كلهم بصريون .

أول من أرسل في النحو كلاماً أبو الأسود الدؤلي (-٦٧) ، وقيل
ان علياً هو الذي ألقى على أبي الأسود شيئاً من أصول النحو ثم قال
له : (انح هذا النحو) ؛ وقيل ان أول من تكلم فيه : نصر بن عاصم (-٨٩) ،
وقيل : عبد الرحمن بن هرمز (-١١٧) ، وقيل لم يصل الينا شيء عن أحد
قبل يحيى بن يعمر (-١٢٩) وابن أبي اسحاق الحضرمي (-١١٧) . الخ .
ومن يقرأ يامعان ترجمة أبي الأسود في تاريخ دمشق لابن عساكر
مثلاً ، ثم يفكر في توارد أكثر المصادر على جعله واضع الأساس في

بناء النحو لا يستبعد ذلك ، فالأصل ذو ذكاء نادر وجواب حاضر ، وبديهة نيرة ، ثم هو بعدُ بليغ أريب مرن الذهن ، وحسبك اختراعه (الشكل) ^(١) الذي عرف بنقط أبي الأسود للدلالة على الرفع والنصب والجر والتنوين ، وهو ما أجمعوا عليه قديماً ولم يشك فيه حديثاً أحد . و (الشكل) أعود على حفظ النصوص من حدود النحو ؛ ولعله أعظم خدمة قدمت للعربية حتى الآن ، وكان الخطوة الأولى الى النحو كما ذهب اليه الأستاذ احمد امين ^(٢) .

وينص ابو الطيب اللغوي على أن ابا الأسود وضع النحو ليتعلم بنو زياد ^(٣) « واختلف الناس اليه يتعلمون العربية وفرع لهم ما كان أصله

(١) اختار ابو الاسود كاتباً وأمره أن يأخذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد وقال له : إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه فإن ضمنت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وان كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبعته شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين ، فهذا نقط أبي الاسود . - أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي « ص ١٦ ، « المطبعة الكاثوليكية في بيروت ، . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١٠٩/٧ . والفهرست لابن النديم ص ٦٠

وهذا سبب اطلاق الفتح والكسر والضم على الحركات المعروفة فيما أرى ، إذ كان أبو الاسود أول من استعملها . أما السكون في هذا المصحف فعلامته التجرد من العلامة .

(٢) ضحى الاسلام ٢٨٧/٢ وانظر مراتب النحويين ص ١٠

(٣) مراتب النحويين ١٠٤٨

فأخذ ذلك عنه جماعة .

وليس يعنينا هنا تحرير هذه الأولية فذلك بتاريخ النحو أشبه^(١) ،

(١) وما أقرب رواية أبي الفرج من الواقع والاعتدال حين سلسل لنا الخطوات في عبارة فيها كثير من الاقتصاد قال راوياً عن المدائني :
« أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف فنقطها ، ورسم من النحو رسوماً ثم زاد فيها بعده فنبهه بن معدان ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدي وكان صليبة فلعبه ، ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرمم للكوفيين رسوماً فهم الآن يعملون عليها . » - الأغانى ١١/١٠١ ، وسير بك بعض تفصيل عن هؤلاء الاعلام ، ولا بأس في تنبيهك الى أن أبا الفرج نص في أول ترجمته لأبي الأسود ، على أنه « كان الاصل في بناء النحو وعقد أصوله . »

وابن سلام يقول : اول من استن العربية وفتح بابها وانهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود ، طبقات فحول الشعراء ص ١٢ طبعة دار المعارف .

والزبيدي الاندلسي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ رواية مفيدة يسلسل فيها الخطوات الاولى في كتابه طبقات النحويين واللغويين ص ٢١٥ قال :

(ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن محمد الهاشمي قال : سمعت أبي يذكر قال : كان بدء ما وضع أبو الأسود النحو أنه مر به سعد وكان رجلاً فارسياً قدم البصرة مع أهله ، وكان يقود فرسه فقال : مالك يا سعد ؟ ألا تركب ؟ فقال « فرمي خالع » فضحك به من حضره . قال أبو الأسود : « هؤلاء الموالي قد رغبوا في الاسلام ودخلوا فيه وصاروا لنا إخوة » ، فلو علمناهم الكلام ، فوضع باب الفاعل والمفعول لم يزد عليه . قال أبي : « فزاد في ذلك الكتاب رجل من بني ليث أبواً ، ثم نظر فإذا في كلام العرب ما لا يدخل فيه فأقصر عنه ، فلما كان عيسى بن عمر قال : « أرى أن أضع الكتاب على الأكتروأسمى الأخرى لغات . فهو أول من بلغ غايته في كتاب النحو . »

ولكننا لا نرى بدأ من أن نشير الى أن اتفاقهم على أنه واضح (الشكل)
وأن شبه الاجماع على أنه أول من تكلم بالنحو وأنه كان يتصدر لإعراب
القرآن^(١)، وأن هؤلاء الذين تزعم لهم الأولوية في بعض الأقوال :
نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وعنبسة القليل ، وميمون الأقرون ،
كلهم تلميذ ابي الأسود او تلميذ تلميذه ، عنه أخذوا العربية والقراءة
بالبصرة ؛ كل اولئك مع ما عرف عن ابي الأسود من ذكاء وقاد ، وفكر
متحرك ، وعقل وروية ، .. يجعلنا نقطع بأنه وضع اساساً بني عليه من
بعده . ولكن ، ما هو هذا الأساس ؟

لسنا نجد لهذا السؤال جواباً يشفي الغليل ، فصحيفة ابي الأسود
تعرف عند النحاة بـ (التعليقة) ، فإذا أردنا معرفة محتوياتها لم نلاحظ بما
يطمأن اليه^(٢) ، بل فوات معرفتها العلماء منذ المئة الرابعة مع شدة حرصهم

(١) في ترجمة حر بن عبد الرحمن القاري النحوي أنه : سمع أبا الاسود وعنه
طلب لإعراب القرآن أربعين سنة . — بغية الوعاة ص ٢١٥

(٢) أما ابن الانباري فقد اطمأن الى خبر ذكره في أول كتابه « نزعة
الالباء في طبقات الأدباء ص ٥٠ » حين روى أن علي بن أبي طالب دفع الى ابي
الاسود رقعة فيها : « الكلام كله اسم وفعل وحرف » ، فالاسم ما أنبأ عن
المسمى ، والفعل ما أنبأ به ، والحرف ما أفاد معنى . واعلم ان الاسماء ثلاثة :
ظاهر ومضمر ، واسم لظاهر ولا مضمر ، وانما يتفاضل الناس فيما ليس
بظاهر ولا مضمر . . . ثم يذكر ابن الانباري ان ابا الاسود وضع ابواب
« العطف ، والذمت ، والتعجب ، والاستفهام » الى ان وصل الى باب « إن »

عليها فيروي ابن النديم خبراً طريفاً عن رجل جماعة للكتب له خزانة

واخوانها ما خلا لكن ، فلما عرضها على علي امره بضم (لكن) اليها ، وكلها وضع باباً من أبواب النحو عرضه عليه ، هـ ١ هـ

ولست ادري هل ابقت امور الخلافة والحروب والفتن لعلي وقتاً يفرغ فيه للتأليف في العلوم وتنقيحها واختراعها ؟ وامل الاستاذ أحمد أمين لم يكن بعيداً من الصواب حين روى هذا الخبر فعلق عليه بما يأتي :

« وكل هذا حديث خرافة فطبيعة زمن علي وابي الاسود تأبى هذه التعاريف وهذه التقاسيم الفلسفية ، والعلم الذي ورد الينا من هذا العصر في كل فرع يتناسب مع الفطرة ليس فيه تعريف ولا تقسيم ، انما هو تفسير آية او جمع لاحاديث ليس فيها ترتيب ولا تبويب ، فأما تعريف وأما تقسيم منطقي فليس في شيء ، بما صح نقله الينا عن عصر علي وابي الاسود واخشى ان يكون ذلك من وضع بعض الشيعة الذين أرادوا ان ينسبوا كل شيء الى علي واتباعه » — ضحى الاسلام ٢٨٥/٢

وانا مع عدم استبعادى كثيراً صدور كلام مثل هذا عن ابي الاسود بعد موت علي بسنين حين اعتزل العمل الرسمي وفرغ لمثل هذه الشؤون ، لأطمئن الى ماروى ابن الانباري

حتى ابن فارس الذي ذهب الى قدم النحو قبل زمن ابي الاسود بكثير لا ينكر امامته وتجديده فقد قال : « فإن قال قائل : لقد تواترت الروايات بان ابا الاسود اول من وضع العربية وأن الخليل اول من تكلم في العروض ، قيل له : نحن لا ننكر ذلك ، بل نقول : إن هذين العلمين قد كانا قديماً وأنت عليها الايام وقلا في أيدي الناس ، ثم جددهما هذان الامامان . » ، الصاحي في فقه اللغة ص ١٠ ونقله بنفسه السيوطي في المزهري ٣٤٥/٢

لكنني اقف عند قوله المبرد « قرأت اوراقاً من كتابي عيسى بن عمر فكان كالاشارة الى الاصول » واقول إذا كانت كتب الطبقة الثالثة هذه كالاشارة الى الاصول فما حال نحو ابي الاسود ؟ [توفي أبو الاسود سنة ٦٧ وعيسى بن عمر سنة ١٤٩ هـ] . — انظر نزهة الالباء .

لم يُرَ لأحد مثلها بما جمعت من خطوط العلماء الأولين ونوادير الكتب
والرقاع فهي متحف كل ما فيه نادر ثمين ، قال الذي شاهدها :

«... ورأيت عنده أمانات وعهوداً بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام وبخط
غيره من كتاب النبي ﷺ ، ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل أبي عمرو
ابن العلاء وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وابن الأعرابي وسيبويه والقراء والكسائي
ومن خطوط أصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري والأوزاعي وغيرهم
ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته : وهي أربع أوراق
أحسبها من ورق الصين ترجمتها : هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول عن أبي الأسود
رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط إعلان
النحوي ، وتحت : هذا خط النضر بن شميل .

ثم لما مات الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبراً... على
كثرة بحثي عنه ،^(١) .

فليسعنا من الأسف والحسرة على تعلية أبي الأسود ما وسع

(١) الفهرست ص ٦١

ثم تظهر فجأة بعد أكثر من مئة سنة عند إبراهيم بن عقيل القرشي - ٤٧٤ هـ
فيزعم لأصحابه من أهل الحديث أن عنده تعلية أبي الأسود التي القاها عليه علي
ابن أبي طالب ، ويعدم بها ويستنجزونه ويرجئهم فلا يظفرون منه بطائل ، ثم
يكتبها عنه - فيأرووا - ففيه ما لكي اسمه أبو العباس أحمد بن منصور ، وإذا
به قد ركب عليها إسناداً لاحقاً له... وهذه التي سماها التعلية هي في أول
أما لي أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي نحو عشرة أسطر
فجعلها هذا الشيخ إبراهيم قريباً من عشر أوراق . ، ١ هـ - انظر تهذيب تاريخ
دمشق لابن عساكر ٣٣١/٢ مطبعة روضة الشام ١٣٣٠ هـ .

قلت : ليس في أما لي الزجاجي المطبوعة من هذه التعلية أثر ما ، وابن عساكر
على حق حين يتوقف في توثيق إبراهيم بن عقيل بعد هذا التدليس .

العلماء قبلنا بألف عام اذ كان لا سبيل الى المعرفة الشافية .
اخذ عن ابي الأسود : يحيى بن يعمر ، وعنبسة الفيل ، وميمون
الأقرن ونصر بن عاصم وعطاء بن ابي الأسود ، وابو نوفل بن ابي
عقرب^(١) ، وعن هؤلاء اخذ علماء البصرة طبقة بعد طبقة ، ثم نشأ
بعد نحو مئة عام من تلاميذهم من ذهب الى الكوفة فعلم بها ، فكان
منه ومن تلاميذه ما يسمى بمدرسة الكوفة^(٢) .
وهذا جدول^(٣) يوضح لك تتابع هذه الطبقات الى المئة الثالثة للهجرة :

(١) إنباء الرواة ٣٨٢/٢

(٢) على أن هناك من ذهب الى وجود مدرسة ثالثة هي مدرسة المدينة ،
وأن رأسها عبد الرحمن بن هرمز الذي مر بك (ص ١٦١) أنه أحد الذين
نسبت اليهم أولية الكلام في النحو . وهذا شيء لم يشتهر ، لكن القفطي ذكر
في هذا كلاماً أنا مثبته لقائده فقد جاء في إنباء الرواة في ترجمته :
قال أهل العلم : إنه أول من وضع علم العربية والسبب في هذا القول أنه
أخذ عن أبي الاسود الدؤلي وأظهر هذا العلم بالمدينة ، وهو أول من أظهره
وتكلم فيه بالمدينة ، وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش ، وما أخذ
أهل المدينة النحو إلا منه ، ولا تقلوه إلا عنه ، وإليه أشار ابن برهان النحوي
في أول شرحه في (اللمع) بأن قال : « النحاة جنس تحته أنواع : مديون ،
بصريون ، كوفيون ، ... » و يروى أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة ترد إليه
لطلب النحو واللفة قبل إظهارهما . مات سنة ١١٧ هـ - إنباء الرواة ١٧٢/٢ .
هذا واحد وأما الثاني فبشكست الذي مر بك خبره ص ١٣

(٣) عن ضحى الاسلام ٢٨٤/٢ . وتكرر الاسم معناه تعدد مشايخ صاحبه
أما الاعلام المدرجة أسماءهم بخط رقي فهم كوفيون ، والباقيون بصريون .

أبو الأسود الدؤلي (٦٧ -)

عنتبة الليل ميمون الأقرن نصر بن هاشم (٨٩ -) يحيى بن يعمر (١٢٩ -)

أبو عمرو بن اللؤلؤ (٧٠ - ١٥٤) ابن أبي إسحاق الطبري (١١٧ -)

(
عيسى بن عمر اللقي (١٤٩ -)

عيسى بن عمر اللقي

الأخفش (١٧٧ -)

أبو زيد بونس (٩٠ - ١٨٢) أبو جعفر الرواسي

أبو جعفر الرواسي

أحمد الخليل بن (١٠٠ - ١٧٥)

سيويه أبو زيد

بونس

الكسائي (١٨٩)

أبو زيد (٢١٥ -)

سيويه (١٨٠ -)

الكسائي الفراء (١٤٤ - ١٠٧)

سيويه

الكسائي

أبو زيد

سيويه

الفراء

الفراء

فأنت ترى أن أعلام الكوفة كلهم أخذوا عن أئمة البصريين بأخرة .

الطبقة الأولى من البصريين

فأما عنبسة فقد تعلم النحو وروى الشعر وظرف^(١) حتى صار - على ما يروى عن الخليل - أبرع أصحاب أبي الأسود ،^(٢)

وأما ميمون فرأس الناس بعد عنبسة ويروون عن أبي عبيدة قوله : « أول من وضع العربية أبو الأسود ، ثم ميمون الأقرن ، ثم عنبسة الفيل ، ثم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي » ،^(٣)

وأما نصر بن عاصم الليثي فكان أحد القراء والفصحاء ، وأخذ عنه أبو عمرو ابن العلاء والناس ، قال عنه الزهري : « إنه ليفلق بالعربية تغليقاً » ، بل منهم من ذهب إلى أنه أول من وضع العربية ،^(٤)

وأما يحيى بن يعمر فقد عرفت علمه وفصاحته ، وعرفت شأنه مع الحجاج ، ووصفوه بالعلم والأمانة ، وقد روى عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما^(٥)

والذي يجب التنبيه إليه قبل الانتقال إلى الطبقة الثانية أن تلميذي أبي الأسود : نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر خطوا الخطوة الكبرى التي تلت خطوة أبي الأسود في ضبط الكتابة العربية ، إذ ابتكرا نقط الحروف أفراداً وأزواجا لتمييز الحروف المتشابهة كالباء والياء والنون ، فعلا بذلك بإشارة الحجاج على

(١) أخبار النحويين البصريين ص ٢٤ (٢) المزهر ٣٩٨/٢

(٣) أخبار النحويين البصريين ص ٢٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢١ ، ٢٠ والفهرست لابن النديم ص ٥٩ .

(٥) ص ٩ من هذا الكتاب وص ٥٢ من الفهرست وص ٢٢ من أخبار

النحويين البصريين .

ماذكروا ، وبعد تردد منها في أن يزيدا شيئاً على رسم مصحف عثمان ، ثم بان
لها صواب الإصلاح بعد روية ، فأقدهما عليه .

بل إن ليحيى هذا أولية في التأليف فقد ذكروا أنه اتفق هو وعطاء بن أبي
الأسود بعد موت أبيه « على بسط النحو وتعيين أبوابه وبيع مقاييسه .. ولما
استوفيا جزءاً متوفراً من أبواب النحو نسب بعض الرواة اليها أنها أول من
وضع هذا النوع . » (١)

ولكن المشهور أن نصراً هو الذي ميز بين الحروف المتشابهة بالنقط المتداول
حتى اليوم وغير ترتيب (الأبجدية) إلى الترتيب المعروف ، ثم ألغى نقط أبي
الاسود مستبدلاً به (الشكل الحالي) الذي هو أبعاض الحروف (اوي) .
فنقط أبي الاسود (إعراب) لإبانته عن حركة آخر الكلمة ونقط نصر (إعراب)
لإزالته العجمة عن الحروف وكان يلتبس بعضها ببعض (٢) .

الطبقة الثانية من البصريين

وفيهما أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي .
فأما الأول فمن أشراف مازن وأحد الأعلام في القرآن واللغة والنحو ، وهو
أحد القراء السبعة ، قال فيه أبو عبيدة : « أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام
العرب والشعر ، وكانت دفازه ملء بيته إلى السقف » كان مرجع الناس

(١) إنباه الرواة ٣٨٠/٢

(٢) جاءت امرأة إلى الفرزدق تستنجد به قائلة : « إن ابني مع تميم بن زيد
القيني بالسند ، وقد اشتقت إليه ، فإن رأيت أن تكتب إليه في أن يقفله إلي ،
فكتب إلي تميم :

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر فلا يخفى على جوابها =

في عصره ، وخير ما يعبر عن مكانته في عيون معاصريه حديث سفيان بن عيينة ، قال : « رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت . يا رسول الله لقد اختلفت علي القراءات فبقراءة من تأمرني ؟ فقال : بقراءة أبي عمرو بن العلاء . » (١) وأخذ عن نصر بن عاصم المتقدم ذكره ، وعن يحيى بن يعمر ، وعن قاريء مكة عبد الله بن كثير . وأقام بين البدو أربعين سنة كما قرر البيهقي [ص ١٧١ مجالس العلماء للزجاجي] .

« وأخذ عنه عيسى بن عمر ويونس بن حبيب وأبو الخطاب الاخفش فكان هؤلاء الثلاثة أعلم الناس وأنصحهم » (٢) وأما عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فقد مر بك أمره مع الفرزدق ، وهو في زمن أبي عمرو والناس يفاضلون بينها فيقدمون أبا عمرو في اللغة ويقدمون ابن أبي إسحاق في النحو وهو « أعلم أهل البصرة وأعقاهم » فرع النحو وقاسه ، وتكلم في الممز حتى عمل فيه كتاب بما أملاه (٣) ويذكرون أنه أول من علل النحو .

= أتني فعاذت ياقيم بغالب وبالخفرة السافي عليه تراها
فهب لي «خنيصاً» واتخذ فيه منه أمه لأم لابسوغ شرابها
فلما ورد الشعر على قيم أشكل عليه الاسم لفقدان النقط على الحروف [فقال : « أقفلوا كل من اسمه خنيس أو حبيش أو حنيش ، أو خشيش ، أو خشيش ، فعُدوا فكانوا ثمانين رجلاً . - الأضداد لابن الأنباري ص ٢٥٦ لا تكونن حاجتي بظهر = لا تطرحها]

(١) بغية الوعاة .

(٢) مراتب النحويين ص ٢٣

(٣) عن مراتب النحويين ص ٢٨ والمزهر ٢/٣٩٨ ، وشهادة يونس بن

حبيب فيه :

أنه « لو كان في الناس اليوم من له ذهنه ونفاذه كان أعلم الناس » - طبقات

ويمكن أن يلحق بهذه الطبقة عيسى بن عمر الثقفي مولى خالد بن الوليد ،
أخذ العلم عن أبي عمر بن العلاء وعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي ، وعد في
القراء البصريين وهو امام في العربية والنحو ، ولعله أول من ألف فيها كتاباً
جامعاً ، وقد اشتهر اسما كتابيه دون أن يصل اليها منهما خبر أو أثر ، والغريب
أن تلميذه الحليل بن احمد قرأهما ووعاها ، وأعجبا حتى جعل مؤلفهما مجددهذا
الفن والمعني على آثار من سبقه قال :

ذهب النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك (إكمال) وهذا (جامع) فهما للناس شمس وقمر
ثم وفقد الناس هذين الكتابين منذ المدة الطويلة ولم يقعا إلى أحد علمناه ، ولا
خبر أحد أنه رآهما ، وهذا السيرة في وليس بينه وبين زمين المؤلف إلا مشتان من السنين
يقول : لم يقعا اليها ولا رأينا أحداً ذكر أنه رآهما^(١) فان تكن نسبة البيتين إلى
الحليل صحيحة يكن اختفاء هذين الكتابين من أعجب الامور في تاريخ النحو .

* * *

فعول الشعراء ص ١٤ هذا وللزبيدي كلام يشير إلى نصيب عيسى بن عمر
في تدريج النحو يقول فيه « وضع أبو الاسود باب الفاعل والمفعول لم يزد
عليه ... فزاد رجل من بني ليث أبواباً ثم نظر فاذا في كلام العرب ما لا
يدخل فيه فأقصر عنه ، فلما كان عيسى بن عمر قال : « أرى أن أضع
الكتاب على الاكثر وأسمي الاخرى لغات فهو أول من بلغ غايته في كتاب
النحو ... وضع كتابين سمى أحدهما الجامع والآخر المكمل . » طبقات
النحويين واللفويين ص ١٥ .

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٦٢ وبغية الوعاة . اما ابن الانباري في
نزهة الالباء فقد نقل عن المبرد انه قال : قرأت اوراقاً من احد كتابي عيسى بن

إذا نحن انتقلنا الى الطبقة التي تلي هذه كنا ازاء ما سموه بالمذهب الكوفي، فقد تلمذ على عيسى بن عمر هذا: الجليل وسيبويه وأبو زيد الانصاري أئمة البصريين الأعلام، وأبو جعفر الرؤاسي الذي صار فيما بعد رأس الكوفيين وخلفه في ذلك تلميذه الكسائي والفراء.

ولسنا نفيض في الكلام عليهم فكلهم مشهور، ولكننا نذكر بالنواحي التي تعيننا منهم بكلمات:

فأما الجليل فقد كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه، هو أول من استخراج العروض وحصر أشعار العرب بها، وعمل أول (كتاب العين) المعروف المشهور الذي به نهياً ضبط اللغة^(١) الى نواح أخرى له مجيدة مشرفة ليس من غرضنا هنا الإشارة إليها. وقد مر بك غلط من آرائه في باب القياس. وهو استاذ سيبويه، وعامة الحكاية في كتابه عنه. وكلها قال سيبويه: سألته، اوقال «قال» من غير ان يذكر قائله فهو الجليل. «^(٢) ونفع الله به الناس وعاش من قناعته وعفته وترفعه في عزة دونها عزة الملوك، وصدق النضر بن شميل في قوله: اقام الجليل في خص بالبصرة لا يقدر على فلسين وتلامذته يكسبون بعماله الاموال»^(٣). واما ابو زيد الانصاري فقد كان ثقة صدوقاً راوية، وهو - وان قدم في

عمر، وكان كالاشارة الى الاصول». وبين هذه الحكاية الدالة على انه خطوة ابتدائية وتقريب الجليل بون كما ترى. هذا ويذكرون أنه كان فصيحاً ويتقعر أحياناً، أمر والي العراق بحمله اليه ودعا بالحداد فأمر بتقييده، فقيل له لا بأس عليك، إنما أرادك الأمير لتؤدب ولده. قال «فما بال القيد إذا؟!» فذهبت بالبصرة مثلاً. وله الحلة الماثورة في كتب البلاغة حين سقط عن حمارة فاجتمع عليه الناس فقال «مالكم تسكوا كما تم علي كنتكوا كتمكم علي ذي جنة، افرنقوا عني». - انظر بغية الوعاة وأخبار النحويين البصريين ص ٣٢.

(١) أخبار النحويين البصريين ص ٣٨. (٢) بغية الوعاة.

النحو على الاصمعي وابي عبيدة - غلبت عليه اللغة والنوادير والغريب ، وحولها
يدور اكثر مصنفاته^(١) .

مررسة الكوفة

وندع سيبويه - لشهرة امره و كتابه وشيوخه وتلاميذه - إلى أبي جعفر
الرؤاسي رأس الكوفيين :

طلب العلم في البصرة على أئمتها ، قرأ على أبي عمرو بن العلاء ، وعلى عيسى بن
عمر الثقفي ، لكنه لم يقارب أحداً من تلامذتهم فلم يذبه وعاش بالبصرة غير معروف^(٢)
وكان اول كوفي ألّف في العربية ، و كتابه «الفهمل» عرضه - فيما ذكرنا -
على اصحاب النحو بالبصرة فلم يلتفتوا اليه ولا جسر على اظهاره لما سمع كلامهم ،
اما هو فيزعم ان الخليل طلب الكتاب فأطلعه عليه ، «فكل ما في كتاب سيبويه
» قال الكوفي : كذا» فانما عني الرؤاسي هذا^(٣) اوزعم جماعة من البصريين ان الكوفي
الذي يذكره الأخفش في آخر المسائل ويرد عليه هو الرؤاسي ،^(٤)

ويعد من قراء الكوفيين وسترى من اسماء كتبه الموضوعات التي عني بها :
كتاب التصغير ، الافراد والجمع ، الوقف والابتداء ، معاني القرآن .
ولما رجع الى الكوفة وجد فيها معه معاذ بن مسلم الهراء « - ١٨٧ » مرجع
الناس في العربية وعني بالصرف ومسائله خاصة ، وتبعه في هذه العناية من قرأ عليه

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر معجم البلدان ١٨/١٢٣ . وأخذ عن زهير الفرقي « - ١٥٥ »
الذي تلمذ على ميمون الأقرن أحد اصحاب أبي الأسود - انباء الرواة ١٨/٣ و ١٩
(٣) بغية الوعاة . وذكره أبو الطيب اللغوي في عداد من أخذ عن أبي عمرو
فقال : « عالم أهل الكوفة ، وليس بنظير لهؤلاء الذين ذكرنا ولا قريب منهم ..
أخبرنا أبو حاتم قال : كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاسي ، وهو
مطروح العلم ليس بشيء . » - مراتب النحويين ص ٢٤ .

من الكوفيين ، حتى قيل لأنهم فاقوا البصريين فيها ، ومن هنا عدم بعض العلماء واضعي علم الصرف .

وتخرج بالرواسي تلميذاه المشهوران : الكسائي والفراء .

أما الكسائي فأنت تعرف أنه أعجمي الأصل وأخذ القراء السبعة وإمام الكوفيين في العربية ، أخذ عن يونس أحد أئمة البصرة وجلس في حلقة الخليل ، ثم خرج إلى بوادي نجد والحجاز ونهامة يأخذ عن الأعراب ، فأنقذ خمس عشرة قينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ . فقدم البصرة فوجد الخليل قد مات وفي موضعه يونس . فجبرت بينها مسائل أقر له فيها يونس وصدره في موضعه ،^(١) .

ثم انتقل إلى بغداد فعاش في قصر الرشيد مؤدباً للأمين والمأمون ، وقال الخطوة وأقبلت عليه الدنيا : يخدمه وليا العهد ، ويعني به ويعوده الرشيد نفسه . ولما خرج الرشيد إلى الري اضطرب معه الكسائي ومحمد بن الحسن الشيباني فاتفق أن ماتا سنة ١٨٩ في يوم واحد فقال الرشيد : « دفنت الفقه والنحو في يوم واحد »^(٢) .

وأما الفراء فقد قرأ بالبصرة على يونس بن حبيب ثم قرأ على الرواسي ، ثم لازم الكسائي في بغداد . والذي حثه على الخروج إلى بغداد شيخه الرواسي . ولندع الفراء نفسه يحدثنا بأول أمره ببغداد قال :

قال لي الرواسي : « قد خرج الكسائي إلى بغداد وأنت أسن منه ، فبحث إلى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل من مسائل الرواسي ، فأجابني بخلاف ما عندي ، فغضت قوماً من علماء الكوفيين كانوا معي ، فقال : « مالك قد أنكرت ؟ لعلك من أهل الكوفة ؟ » فقلت : « نعم » فقال : « الرواسي يقول كذا وكذا . وليس صواباً وسمعت العرب تقول كذا وكذا .. » حتى أتني على مسألي ، فلزمته ، اه^(٣) .

والطريف تشاد البصريين والكوفيين في قراءة الفراء على يونس بن حبيب

البصري أستاذ سيبويه تشاداً على غير المنتظر، فالكوفيون يزعمون أنه استكثروا عنه والبصريون يدفعون ذلك . ثم كان الفراء « زائد العصية على سيبويه و كتابه تحت رأسه ! » .

صنف « معاني القرآن » الذي قال فيه مادحه « لم يعمل أحد قبله مثله ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه »^(١) .

وكتبه التي تركها تدور حول مسائل من اللغة والنوادر والصرف والنحو والقرآن . أما كتابه الكبير في النحو المسمى بـ « الحدود » فقد ذكروا أنه يشتمل على ستة وأربعين حداً في الأعراب . ويعنيها منه هنا قصته فهي تدل على بدع عجيب عرف به بعض النحاة وأثر في سير هذا العلم أثراً سيئاً ، ذلك هو الأعراب والتعقيد ، قالوا :

كان السبب في إملائه الحدود أن جماعة من أصحاب الكسائي صاروا إليه وسألوه أن يملئ عليهم أبيات النحو ففعل ، فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض : « إن دام هذا على هذا علم النحو الصبيان ! والوجه أن يُقعد عنه ، فقعدها ، فغضب وقال : « سألوني القعود فلما قعدت تأخروا ، والله لأملين النحو ما اجتمع اثنان » فأملى ذلك ست عشرة سنة^(٢) .

وإنما حاز في التوفيق بين نزعة النسهل والتبسيط هذه التي في القصة وقولهم في ترجمته « كان يتفلسف في تأليفاته ومصنفاته ، يعني يسلك في ألفاظه كلام الفلاسفة »^(٣) . ونكفينا هذه الالامعة عن رجال المدرستين^(٤) محاولين تتبع الخلاف ومعرفة طبيعته

(١) الفهرست ص ٩٦ . (٢) المصدر السابق ص ٩٩ .

(٣) نشر بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب « مراتب النحويين » لأبي الطيب اللغوي المتوفى سنة ٣٥١ ، جاء فيه - بعد أن مرد تراجم أعيان البصريين ثم الكوفيين - قوله :

« والذين ذكرنا من الكوفيين فهم أنتمهم في وقتهم ، وقد بينا منازلهم عند أهل البصرة ، فأما الذين ذكرنا من علماء البصرة فروساء علماء معظمون غير مدافعين في المصرين جميعاً ، ولم يكن بالكوفة ولا في مصر من الأمصار مثل

(٢)

نشأة الخرف

اول ما يعرف من الخلاف بين البصريين والكوفيين ما اثبتته
سيبويه في (الكتاب) من حكاية اقوال (الكوفي) ابي جعفر الرؤاسي
على ما علمت آنفاً . والظاهر ان مرافقة الرؤاسي للخليل في القراءة على
عيسى بن عمر جعلت بينهما نوعاً من الأنس سمح للخليل ان يطلب
من الرؤاسي كتابه ، فروى منه بعض اقوال لتلميذه سيبويه ، فأثبتها
هذا في كتابه .

ولم يكن في هذا الخلاف ولا في غيره مما حدث بين البصريين
انفسهم يومئذ ، اكثر من المذاكرة وحكاية الاقوال المخالفة والرد عليها
احياناً فانت كثيراً ما تجد سيبويه يورد اشيعه يونس والخليل اقوالاً
يخالفها فيقول : (. . . وزعم الخليل) ، (. . . وزعم يونس) .

ولم تدخل الدنيا بين المشهورين من رجال هذه الطبقة ، فالخليل
والرؤاسي مثلاً كلاهما صالح عفيف ، ومتى خلت المناقشات العلمية مما
يؤثرها من حوافز المادة او الجاه بقيت هادئة جميلة صافية .

= اصغرهم في العلم بالعربية ، ولو كان لا فتخروا به ، وباهوا بمكانه أهل البدان ،
وأفرطوا في إعظامه كما فعلوا بحمزة الزيات ... يتخذونه إماماً معظماً مقدماً
وليس يحكى عنه شيء من العربية ولا النحو ، وإنما هو صاحب قراءة ، وأما
عند البصريين فلا قدر له . ص ٢٦ .

فلما قرَّب العباسيون الكسائي وتلاميذه وخصهم بترية اولادهم
وبالإغداق عليهم اذ كان اهل الكوفة بالجملة اخلص لهم واحسن سابقة
معهم على عكس اهل البصرة ، اجتهد المقربون في التمسك بدنياهم التي
نالوها ، ووقفوا بالمرصاد للبصريين الذين يفوقونهم علماً فحالوا بينهم
وبين النجاح المادي او المعنوي بكل ما يستطيعون من قوة ؛ واذا كان
لبصري كالاصمعي مثلاً حظوة عند خليفة ولم يقدروا على ابعاده مادياً ،
اجتهدوا في الغض من علمه .

وانا أعرض انماطاً من خلافهم في المجالس الرسمية تفصح عن العصية
والحدة وحب النيل من المنافس ، أعرض ذلك ليكون مدخلاً للكلام
على المذهبين بعد ان عرفنا رجالهما الاولين . ولا تستغربن ان تكون
الحدة والعصية أظهر على الكوفيين ، وحب الغلبة عندهم اشد ، فهم
عن دنياهم وجاههم يدافعون ، اذ علموا علم اليقين ان علمهم ازاء علم
البصريين قليل^(١) ، ولذا كان الخطر من هؤلاء ماثلاً امام الكوفيين ،

(١) قال أبو حاتم : « لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب » .
= ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره لم يكن شيئاً ، وعلمه مختلط
بلا حجب ولا علل إلا حكايات عن الأعراب مطروحة ، لأنه كان يلقنهم ما يريد ،
وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربية والقرآن ، وهو قدوتهم وإليه يرجعون .
مراتب النحويين ص ٧٤ .

هذا وقد علمت آنفاً أن الرؤاسي شيخ الكسائي أقام بالبصرة فلم يرتفع له فيها
ذكر ، ولا عد علمه شيئاً ازاء علم البصريين ومما جعلت للمبالغة نصيباً في قول =

ولعين الكسائي منهم خاصة ، ولم يرو عن كوفي عنف مثل عنف الكسائي هذا ، ولا حرص على الإجهاد على الخصم المنافس كما روي عنه ، واليك الشواهد :

١ - بين الكسائي والاصمعي :

حدث احمد بن يحيى ثعلب احداثة الكوفيين قال :
كان الكسائي والاصمعي بحضرة الرشيد ، وكانا ملازمين له يقيان بإقامته ويظعنان بظعنه ، فأنشد الكسائي :
أنى جزوا عامراً سوءى بفعلهم ام كيف يجزوننى سوءى من الحسن
ام كيف ينفع ما تعطي العلوقُ به رثمانُ انف اذا ما ضن بالبن
فقال الاصمعي « انما هو رثمانُ انف ، بالنصب ، فقال له الكسائي :
« اسكت ما انت وذاك ؟ يجوز بالرفع والنصب والخفض : اما الرفع
فعلى الرد على (ما) لانها في موضع رفع بـ (ينفع) فيصير التقدير (ام
كيف ينفع رثمانُ انف) ، والنصب بـ (تعطي) ، والخفض على الرد على
الهاء التي في (به) . » فسكت الاصمعي ولم يكن له علم بالعربية ،
وكان صاحب لغة ، لم يكن صاحب اعراب (١) .

= أي حاتم فانت مطمئن الى ستر الكوفيين قصورهم عن منافسهم بالشغب والسلطان الذي كان لهم .

(١) إرشاد الأريب ١٣ / ١٨٣ واملأ الزجاجي ص ٣٤ (المطبعة المحمودية التجارية بالازهر بمصر) . والبيتان لأفنون التغلبي (انظر المفضليات للضيبي ٦٣ / ٢ طبعة دار المعارف بالقاهرة) .

عدوا الكسائي فائزاً في هذه المناظرة، ولعل المجلس تقوض على ذلك . ولكننا الآن لانعدده كذلك . فالأصمعي راوية ثبت صدوق وهو في الرواية والاختبار أقوى من الكسائي ، والكسائي أورد وجوه الاعراب المحتملة ، اما الاصمعي فانما يرد صاحبه الى الرواية^(١) ، وشتان ما بين الأمرين . وللأصمعي مجلس آخر مع الكسائي أمام الرشيد كال فيه الصاع صاعين وحكم له الرشيد حكماً لزم الكسائي عاره :

قال له الأصمعي وهما عند الرشيد . « ما معنى قول الراعي :

قتلوا ابن عفات الخليفة محرماً ودعنا فلم أر مثله نحذولا ؟ »

العلوق : الناقة تفقد ولدها ينحر او موت ، فيسلخ جلده ويحشى تبناً ويقدم اليها لترأمة (اي تعطف عليه) ويدبر لبنها فينتفعوا به ، فهي تشبه وينكره قلبها فتعطف عليه ولا ترسل اللبن ، فشبه ذلك بهذا .

والبيت مثل يضرب لمن بعدك بلسانه كل جميل ولم يفعل منه شيئاً لأن قلبه منطو على ضده ، كأنه قيل له : كيف ينفعني قولك الجميل اذا كنت لاتقي به . - اه عن المصدر الأول بتصرف يسير .

هذا وقد علق ابن الشجري حين عرض هذه القضية بقوله :

« ولنعاة الكوفيين في اكثر كلامهم تهاويل فارغة من حقيقة » ٣٢/١ .

(١) بل إن المعنى لينصر رواية الاصمعي ويرفض رواية الرفع « وصوب ابن الشجري إنكار الأصمعي فقال : لأن رثانها للبو بأنفها هو عطيتها اياه لاعطيه لها غيره ، فإذا رفع لم يبق لها عطية في البيت ، لأن في رفعه إخلاء (تعطي) من مفعوله لفظاً وتقديراً ، والجرب أقرب إلى الصواب فليلاً ؛ وإنما حق المعنى والإعراب لنصب . » انظر مغنى اللبيب بحث (أم) .

وللكسائي مثل هذا التخطئ مع عيسى بن عمر ألقى عليه عيسى مسألة فذهب بوجه احتمالاتها فقال عيسى : « عافاك الله ، إنما أريد كلام العرب ، وليس هذا الذي تأتي به بكلامها . » - انباء الرواة ٣٧٧/٢ .

قال الكسائي : « كان محرماً بالحج ، قال الأصمعي : « فقله :
 قتلاوا كسرى بلبيل محرماً فتولى لم يتمتع بكفن
 هل كان محرماً بالحج ؟ » .
 فقال هارون للكسائي : « يا علي اذا جاء الشعر فإياك والأصمعي . » (١)

٢ - بين الكسائي وسيبويه

قال الفراء : « قدم سيبويه على البرامكة فعزم يحيى بن خالد ان يجمع بينه
 وبين الكسائي وجعل لذلك يوماً ، فلما حضر تقدمت وابن الاحمر (٢) ، فدخل فاذا بمثال
 في صدر المجلس فقعده عليه يحيى ، وقعد إلى جانب المثال جعفر والفضل ومن
 حضر بحضورهم ، وحضر سيبويه فأقبل عليه الاحمر فسأله عن مسألة فأجابها فيها
 سيبويه فقال له « أخطأت » ، ثم سأله عن ثانية وثالثة كل ذلك يقول له « أخطأت »
 فقال سيبويه : « هذا سوء أدب » .

فأقبلت عليه فقلت : « إن في هذا الرجل حدة وعجلة ، ولكن ما تقول
 فيمن قال : « هؤلاء أبون ، ومررت بأبين » كيف تقول على مثال ذلك من
 (وأيت) أو (أويت) فأجاب فأخطأ فقلت له : « أعد النظر ... ثلاث
 مرات نجيب ولا نصيب » (٣) . فلما كثر عليه ذلك قال : لست أكلهما أو يحضر

(١) اخبار النحويين البصريين ص ٥٩ - محرم اي لم يحل من نفسه شيئاً
 يوجب القتل ، وقوله (محرماً) في كسرى يعني حرمة العهد الذي له في أعناق
 اصحابه . هذا وقد سجلوا للكسائي طلبه الهدنة من الأصمعي ، قال الأصمعي :
 « أرسل إلي الكسائي بأبي نصر وقال : « لست أعرض لك في الشعر والغريب
 والمعاني فدعني والنحو » فوجهت اليه : « ما كلمتك قسط في النحو إلا بحجة
 أصحابي وقد تركت ذلك لك . » - إنباء الرواة ٢/٢٧٢ .

(٢) هو علي بن الحسن الاحمر تلميذ الكسائي وخليفته على تعليم اولاد الرشيد
 كما سيأتي . وفي المغنى وحاشية الدسوقي عليه (١٢٩/١) أنه خلف الاحمر
 وهذا سهو منها رحبها الله ، اذ ان خلفاً بصري ولا تعرف له تلمذة على الكسائي ،
 بل ابن هذا من هذا .

(٣) قال ابن هشام الانصاري بعد شرحه هذه المسألة : وليس هذا بما يخفى =

صاحبكما حتى أنظر . ،

فحضر الكسائي فأقبل على سيبويه فقال : « اتسألني ام أسألك؟ »
فقال : « بل سألني انت . » فقال له الكسائي : « كيف تقول : قد
كنت اظن العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي ، او (فاذا هو
اياها) ؟ » فقال سيبويه : (فاذا هو هي) ولا يجوز النصب . فقال له
الكسائي : « لحت . »

ثم سأله عن مسائل من هذا النوع : (خرجت فاذا عبد الله القائم)
أو (القائم) ؟ فقال سيبويه في ذلك كله بالرفع دون النصب ، فقال
الكسائي : « ليس هذا من كلام العرب ، العرب ترفع في ذلك كله
وتنصب . » فدفع سيبويه قوله ، فقال يحيى بن خالد : « قد اختلفتما وأنتما
رئيسا بلديكما ، فمن ذا يحكم بينكما؟ » فقال له الكسائي : « هذه العرب
في بابك قد جمعتهم من كل أوب ، ووفدت عليك من كل صقع وهم
فصحاء الناس ، وقد قنع بهم أهل المصرين وسمع أهل الكوفة وأهل
البصرة منهم ، فيُحضرون ويُسألون ، فقال يحيى وجعفر : « قد أنصفت »
فأمر بإحضارهم فدخلوا فهم : أبو فقعس وأبو دثار وأبو الجراح وأبو
ثروان فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه فتابعوا

= على سيبويه ولا على أصاغر الطلبة ولكنه كما قال أبو عثمان المازني : « دخلت بغداد
فألقيت علي مسائل فكنت أجيب فيها على مذهبي ومخطئوني على مذاهم »
وهكذا اتفق لسيبويه رحمه الله . ، مغني اللبيب (مادة إذا) .

الكسائي وقالوا بقوله ، فأقبل يحيى على سيويه فقال : «قد تسمع أيها الرجل .» فاستكان سيويه ^(١) .

ولم يختلف البصريون حتى اليوم في أن القول ما قال سيويه وأن الموضع ليس بموضع نصب ، وأن هؤلاء الأعراب أعراب الخطبة الذين كان الكسائي يقوم بهم ويأخذ عنهم . ثم جاء ثعلب فاحتال وجهاً للنصب فقال : « ولما أدخل الفاء في قوله (فإذا هو إياها) لأن (فإذا) : مفاجأة أي (فوجدته ورأيت ، فوجدت ورأيت) ينصب شيئين ويكون معه خبر فلذلك نصبت العرب .» ^(١) قلت : وهو وجه غير صحيح ولو صح ان (فإذا = وجدت) لوجب ان يقال (فإذا إياه إياها) ، ولم يدع ذلك حتى الكوفيون .

٣ — بين الكسائي والبربري

لقد سلط الله على الكسائي من يثار منه للأصمعي وسيويه ، فأذاقه على يد يحيى ابن المبارك اليزيدي ما كان كفاء لعصيته على البصريين . ويحيى هذا بصري

(١) إرشاد الأريب ١٣/١٨٥ - ١٨٨ ومغني اللبيب في بحث اذا . - وأقبل الكسائي على يحيى فقال : أصلح الله الوزير ، انه قد وفد عليك من بلده مؤملاً فبن رأيت ألا ترده خائباً ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج وصير وجهه نحو فارس فأقام هناك حتى مات ولم يعد إلى البصرة . اهـ
فيقال إن هؤلاء الأعراب رشوا فوافقوا الكسائي ، وقيل تملقوه لإرضاء للوزير ، ولم ينطقوا بالنصب ولما قالوا : القول قول الكسائي .

وقد ختم ابن الشجري هذا المجلس بأن الكسائي (انما قصد سؤاله مما علم أنه لا وجه له في العربية ، واتفق هو والفراء على ذلك ، ليخالفه سيويه فيكون الرجوع الى السماع ، فيقطع المجلس عن النظر والقياس) اهـ ابن الشجري ١/٢٠٦

قرأ على أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ، واتصل بخال المهدي يزيد بن منصور الحميري فأدب أولاده ، وإليه نسب فقيل (اليزيدي) . ولم يستطع الكسائي أن يغلبه بجاهه فعاش حياته تنزل عليه منه الضربات في المناظرة والمجاء بالأشعار . ثم كان مؤدب المأمون كما كان الكسائي مؤدب الأمين ، واليك مجلسين من مجالسها ، أولهما قبل مناظرة سيبويه وثانيها بعدها :

١ - قال اليزيدي :

« كنا في بلد مع المهدي في شهر رمضان قبل أن يستخلف بأربعة أشهر فتذاكروا عنده النحو والعربية ، وكنت متصلاً بخاله يزيد بن منصور والكسائي مع ولد الحسن الحاجب ، فبعث إلي وإلى الكسائي ، فصرت إلى الدار فإذا الكسائي بالباب قد سبقني فقال لي : « أعود بالله من شرك يا أبا محمد ، فقلت : « والله لا تؤتى من قبلي أو أوتى من قبلك . » فلما دخلنا على المهدي أقبل علي فقال : « كيف نسبوا إلى البحرين فقالوا : (بحراني) وإلى الحصنين فقالوا : (حصني) ؟ هلا قالوا حصناني كما قالوا بحراني ؟ فقلت : « أيها الأمير ، لو قالوا في النسب إلى البحرين (بحري) لالتبس فلم يدر : آلنسبة إلى (البحرين) وقعت أم إلى البحر ؟ فزادوا ألفاً للفرق بينهما كما قالوا في النسب إلى الروح : روحاني ، ولم يكن لـ (حصنين) شيء يلتبس به فقالوا : (حصني) على القياس . »

فسمعت الكسائي يقول لعمرو بن بزيع : « لو سألتني الأمير عنهما لأجبتهم بأحسن من هذه العلة . » فقلت : « أصلح الله الأمير ، إن هذا يزعم أنك لو سألته أجاب بأحسن من جوابي ، قال : « فقد سألته . »

قال : « كرهوا أن يقولوا (حصاني) فيجملهم ، إياهم نونين ، ولم يكن في
البحرين إلا نون واحدة فقالوا (بحراني) لذلك . »

قلت : « كيف تنسب إلى رجل من (بني جنان) ؟ إن لزمت قياسك
فقلت : (جنني) جمعت بينه وبين المنسوب إلى الجن ، وإن قلت (جناني)
رجعت عن قياسك وجمعت بين ثلاث نونات . »

ثم تفاوضنا إلى أن قلت له : « كيف تقول : إن من خير القوم
وأفضلهم أو خيرهم بته زيد ؟ فأطرق مفكراً وأطال الفكرة فقلت :
« أصلح الله الأمير ، لأن يجب فيخطئ ، فيتعلم ، أحسن من هذه الإطالة . »
فقال : « إن من خير القوم وأفضلهم أو خيرهم بته زيداً ، فقلت : « أخطأ
أيها الأمير ، » قال : « وكيف ؟ » قلت « لرفعه قبل أن يأتي باسمه ،
ونصبه بعد الرفع ، وهذا لا يجيزه أحد . »

فقال شيبه بن الوليد عم ذفاقة متعصباً له : « أراد بـ (أو) : بل ،
فقلت : « هذا لعمرى معني » ، فلقنه الكسائي فقال : « ما أردت غيره . »
فقلت : « أخطأتما جميعاً ! لأنه غير جائز أن يقال : إن من خير القوم
وأفضلهم ، بل خيرهم زيداً ، فقال المهدي : « يا كسائي ، ما مر بك مثل
اليوم . » قال : « فكيف الصواب عندك ؟ » فقلت : « إن من خير القوم
وأفضلهم أو خيرهم بته زيد ، على معنى تكرير ان . » فقال المهدي :
« قد اختلفتما وانتما عالمان ، فمن يفصل بينكما ؟ » قلت : « نصحاء العرب
المطبوعون . » فبعث إلى أبي المطوق ، فعملت آياتاً إلى أن يجيء ،

وكان المهدي يميل الى اخواله من اليمن (وابن منصور الحميري
حاضر) فقلت :

يا ايها السائي لا خبره عمن يصنعاء من ذوي الحسب
حمير ساداتها ، تقر لها بالفضل طراً ججاج العرب
فإن من خيرهم ، أفضلهم او خيرهم بته ابو كرب
لما جاء ابو المطوق أنشدته الأبيات وسأله عن المسألة ، فوافقتني^(١)

(١) أمالي الزجاجي ص ٤٠ ثم قال الزجاجي: المسألة مبنية على الفساد للمغالطة
فاما جواب الكسائي فغير مرضي عند احد . وجواب اليزيدي غير جائز عندنا لانه
أضمر (ان) وأعملها وليس من قوتها ان تضمر فتعمل والصواب عندنا في المسألة
ان يقال : « إن من خير القوم وأفضلهم أو خيرهم البتة زيد » فتضمر امم ان فيها
وتستأنف ما بعدها . اه - قلت : يريد ان اسمها ضمير شأن محذوف .
هذا والقصة في الاغاني (٧٦/١٨) وفيها ثمة اختلاف يسير وبعض نقص واختلال ،
أما الزيادة فيها فطريفة لدلائلها على أن العصية في النحو لم تقتصر على النحاة بل تناولت
كبار رجال الدولة وأغرثهم بالتحيز ، ولم ينج شعبة بن الوليد هذا وهو أحد قواد
المهدي من شرها ، واليك ثمة الخبر برواية الاغاني على لسان ابي محمد نفسه :
« فقال لي المهدي : كيف تشده أنت ؟ فقلت : « أو خيرهم بته أبو كرب » على
إعادة (إن) كأنه قال : (أو إن خيرهم بته أبو كرب) ، فقال الكسائي : « هو
والله قالها الساعة » فتبسم المهدي وقال : « انك لتشهدله وما تدري » ثم طلع
الاعرابي الذي بعث اليه فألقيت عليه المسائل فأجاب فيها كلها بقولي فاستغفرتني السرور
حتى ضربت بقلنسوتي الارض وقلت : « أنا أبو محمد » فقال لي شعبة : « أنتكني بامم
الامير » فقال المهدي . « والله ما أراد بذلك مكروهاً ، ولكنه فعل ما فعل للظفر ،
وقد لعبري ظفر » فقلت : « إن الله عز وجل أنطقك ايها الامير بما أنت اهله وانطق =

٢ - في مضرة الرئير :

سأل الرشيد اليزيدي والكساني عن قصر (الشراء) ومدّه فقال
الكساني : « مقصور لا غير » وقال اليزيدي : « يقصر ويمد » فقال
الكساني : « من أين لك ؟ » فقال اليزيدي : « من المثل السائر : لا يغترّ
بالحرة عام هداثها ولا بالأمة عام شرائها . » فقال الكساني : « ما ظننت
أن أحداً يجهل مثل هذا » فقال اليزيدي : « ما ظننت أن أحداً يفترى
بين يدي امير المؤمنين مثل هذا . »^(١)

٣ - في مضرة الرئير أيضاً

سأل اليزيدي الكساني بحضرة الرشيد قال : « انظر ، في هذا
الشعر عيب ؟ » وانشده :

ما رأينا خرباً نقرّ عنه البيض صقر^(٢)

= غيرك بما هو امله ، فلما خر جنا قال لي شبية : « أنخطئي بين يدي الامير ؟ أما لتعلمن ،
قلت : « قد سمعت ما قلت وأرجو أن تجد غيبها . » ثم لم أصبح حتى كتبت رقاعاً عدة ،
فلم أدرع ديواناً إلا دسست إليه رقعة فيها أبيات قلتها فيه ، فأصبح الناس يتناشدونها وهي :

عش مجد ولا يضرك نوك إنما عيش من ترى بالجدود
عش مجد وكن هبتقة القبسي نو كاً او شبية بن الوليد ! الغ

(١) قوله (مثل هذا) ساقط (من المصباح المنير) وعنه رويننا الخبر وهو موجود
في التاج نقلاً عن المصباح فلعل الكلمة سقطت من مطبوعة المصباح الاميرية .
(٢) ارشاد الاربيب ١٣ / ١٧٨ . - الحرب ذكر الجباري ، والمعنى لا يحاول
الصقر استخراج صقر من بيضة الجباري . و (يكون) الثانية التي في البيت الثاني
توكيد لفظي للاولى . واراد الكساني بـ (أقوى) التي بعد البيتين : لحن .

لا يكون العير مهراً لا يكون ، المهر مهر
فقال الكسائي: «قد أقوى الشاعر». فقال له اليزيدي: «انظر فيه».
فقال: «أقوى، لا بد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان». «
فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: «انا ابو محمد ، الشعر
صواب ، وانما ابتدا فقال : المهر مهر » .
فقال له يحيى بن خالد : « أتكتني بحضرة امير المؤمنين وتكشف
رأسك ؟ والله لخطأ الكسائي مع أدبه أحب الينا من صوابك مع
سوء فعلك . »

فقال : « لذة الغلبة أنستني من هذا ما احسن . »^(١)

٤ — بين المازني ونحاة كوفيين :

حضر المازني ونحاة كوفيون مجلس الوائق يوماً فقال الوائق — وهذه رواية
المازني نفسه — :

«يامازني هات مسألة.» قلت : « ماتقولون في قول الله تبارك وتعالى : « وما
كانت أمك بغية » [سورة مريم الآية ٢٨] : لم يقل : (بغية) وهي صفة لمؤنث ؟

(١) المصدر السابق ، هذا ولليزيدي كلمة في المقابلة بين أبي عمرو بن العلاء
والكسائي لا يحسن إخفاها فقد جمع الفضل بن الربيع بينه وبين علي الأحمر الكوفي
وسألها : « من كان أعلم بالنحو الكسائي أو أبو عمرو بن العلاء ؟ » فكان بما قال
اليزيدي وكان تلميذ أبي عمرو : « لم يكن أحد بالنحو اعلم من أبي عمرو ..
لأنه جاور البدو أربعين سنة ولم يقم الكسائي بالبدو أربعين يوماً !! » — مجالس
العلماء للزجاجي ص ١٧١ طبعة حكومة الكويت .

فأجابوا بمجوابات غير مرضية، فقال لي: «هات» قلت: «لو كان (بقي) على تقدير (فعل) بمعنى (فاعلة) للحقها الماء مثل كريمة وظريفة، وانما تحذف الماء اذا كانت في معنى مفعولة في نحو (امرأة قتيل، وكف خضيب)؛ و (بقي) هاهنا ليس بفعل انما هو (فعل) لا تلحقه الماء في وصف التأنيث نحو (امرأة مشكور وبشرطون اذا كانت بعيدة الرشاء)، وتقدير (بقي): (بغوي) قلبت الواو ياء، ثم ادغمت الواو في الياء فصارت ياء ثقيلة نحو (سيد وميت) فاستحسن الجواب.»^(١)

٥ - بين المازني وابن السكيت

قال المازني:

حضرت يوماً مجلس المتوكل وحضر يعقوب بن السكيت؛ فقال المتوكل: «تكلما في مسألة نحوية.» فقلت له: «اسأل» فقال: «اسأل انت» فقلت له:

— ما وزن (نكتل) اللفظة الواردة في الآية المذكورة فيها قصة

اخوة يوسف؟

فتسرع وقال: — وزنها (نفع). .

فقلت له: «اتد وانظر.» فأفكر ثم قال:

— وزنها (نفتعل). .

فقلت: — (نكتل) اربعة احرف و (نفتعل) خمسة احرف،

فكيف تقدر الرباعي بالخماسي؟ فبهت ولم يجبر جواباً.

فقال المتوكل: فما تقول أنت ياما زني؟

قلت: — وزنها في الأصل (نفتعل) لأنها (نكتيل) فلما تحرك

حرف العلة وهو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فصارت (نكتال)، ولما دخل الجازم صارت (نكتل). [ووزنها فقتل]

فقال المتوكل: هذا هو الحق وانخزل ابن السكيت ووجع، وظهر ذلك عليه. فلما خرجنا قال ابن السكيت في الطريق: «بالت اليوم في أذاي»، فقلت له: «ولم أقصدك بشيء»، ما جرى، وإنما مسألة كانت قريبة من خاطري، فذكرتها.»^(١)

٦ - بين المبرد وتعلب

هذا مجلس يرويه ثعلب نفسه وأنا اشك فيه كل الشك، قال: «دخلت يوماً إلى محمد بن عبد الله بن طاهر وعنده أبو العباس محمد ابن يزيد (المبرد) وجماعة من أشباهه وكتابه، وكان محمد بن عيسى وصفه له فلما قعدت قال لي محمد بن عبد الله: «ما تقول في بيت امرئ القيس:

لها متنان خظاتا كما أكب على ساعديه النمر؟»

فقلت: «... خظابظا إذا كان صلباً مكتنزاً، ووصف فرساً، وقوله (كما أكب على ساعديه النمر) أي في صلابة ساعدي النمر إذا اعتمد على يده. والمتن الطريقة الممتدة عن يمين الصلب وشماله؛ وما فيه من العربية أنه قال (خظاتا) فلما تحركت التاء أعاد الألف من أجل الحركة والفتحة...»

(١) انباء الرواة ١/ ٢٥٠ وطبقات النحويين واللغويين ص ٩٤

فقال محمد بن يزيد : « أعز الله الأمير ، أراد في (خطا) الاضافة
أضاف (خطا) إلى (كا) » .
فقلت له : « ما قال هذا أحد . »

فقال محمد بن يزيد : « بل سيويه يقوله . »
فقلت لمحمد بن عبد الله : « لا والله ما قال هذا سيويه قط ؛ وهذا
كتابه فيحضر . » ثم أقبلت على محمد بن عبد الله فقلت له : « وما حاجتنا
الى كتاب سيويه ؟ أيقال (مررت بالزيد بن ظرني عمرو) فيضاف
نعت الشيء الى غيره ؟ » فقال محمد بن عبد الله بصحة طبعه : « لا والله ،
ما يقال هذا . »

ونظر الى محمد بن يزيد فأمسك ولم يقل شيئاً وقت ونهض المجلس^(١)

٧ - بين المبرد و ثعلب ايضاً

« حكي ان بعض الأكابر من بني طاهر سأل ابا العباس ثعلباً ان يكتب له
مصحفاً على مذهب اهل التحقيق ، فكتب (والضحى) بالياء ، ومذهب الكوفيين
انه اذا كان كلمة من هذا النحو او لها ضمة او كسرة كتبت بالياء وان كانت من ذوات
الواو ، والبصريون يكتبون بالألف . فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال : « ينبغي
ان يكتب (والضحا) بالألف لانه من ذوات الواو ، فجمع ابن طاهر بينهما :

فقال المبرد لثعلب : « لم كتبت (والضحى) بالياء ؟ » فقال : « لضمّة
أوله . » فقال له : « ولم اذا ضم أوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء ؟ »

(١) طبقات النحويين اللغويين ص ١٦٠

فقال : لأن الضمة تشبه الواو ، وما أوله واو يكون آخره ياء ، فتوهموا أن أوله واو ، فقال المبرد : « أفلا يزول هذا التوهم الى يوم القيامة ١١١٢ » (١) .

وفي كتاب « مجالس العلماء » للزجاجي عدد من المجالس بين المبرد و ثعلب تظهر الفارق الكبير بين سداد المبرد وعلمه ذي الملكة ونخب ثعلب في نقله وقياسه ، ويفيد الاطلاع على هذا الكتاب جملة ، وبين ص ١١٩ و ١٢٦ شيء من هذه المجالس بينهما (طبعة حكومة الكويت سنة ١٩٦٢) .

٨ - بين ثعلب والزجاج

قال الزجاج :

(١) ارشاد الارب ١٩/١١٨

هذا وقد تمثلت في الحصومة بينهما الحصومة بين البصريين والكوفيين عامة واشترك فيها الشعر على هوى قائله : فحب للوفاق يقول :

أيا طالب العلم لا تجهلن
وبصري يقول :
وعذ بالمبرد أو ثعلب

رأيت محمد بن يزيد يسمو
وكان الشعر قد أودى فأحيا
وقالوا ثعلب رجل عليم
وقالوا ثعلب يفتي ويملي
الى الخيرات في جاه وقدر...
ابو العباس دأثر كل شعر
وابن النجم من شمس وبدر
وابن الثعلبان من المزير . الخ
والظاهر أن حيوية هذه الحصومة جلبت اليها الوقود الكافي من المتعصبين حتى =
ذهبت مثلاً في الأدب فقال أحد المحبين يمين ويتشوق :

فأبداننا في بلدة والتقاؤنا
عسير كأننا ثعلب والمبرد
- انظر بغية الوعاة ص ١١٦ -

دخلت على أبي العباس ثعلب في أيام المبرد وقد أملى شيئاً من (المقتضب)
فسألت عليه وعنده أبو موسى الحامض وكان يحسدني شديداً ويجاهرني
بالعداوة وكنت ألين له وأحتمله لموضع الشيخوخة .

فقال لي ثعلب : « قد حمل الي بعض ما أملاه هذا الخلدي (يعني
المبرد) فرأيت لا يطوع لسانه بعبارة فقلت له : « إنه لا يشك في حسن
عبارته اثنان ، ولكن سوء رأيك فيه يعيبه عندك . » فقال : « ما رأيته
إلا ألكن متغلقاً » .

فقال أبو موسى : « والله إن صاحبكم (يعني سيبويه) ألكن ،
فأحفظني ذلك ثم قال :

« بلغني عن الفراء أنه قال : « دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه
فسمعتهم يذكرون سيبويه بالحفظ والدراية وحسن الفطنة ، فأتيته فإذا
هو أعجم لا يفصح ، سمعته يقول لجارية : « هات ذيك الماء من ذاك
الجرة » فخرجت من عنده ولم أعد إليه » .

فقلت له : « هذا لا يصح عن الفراء ، وأنت غير مأمور في هذه
الحكاية ، ولا يعرف أصحاب سيبويه من هذا شيئاً ، وكيف تقول هذا
لمن يقول في أول كتابه : (هذا باب علم ما الكلم من العربية) ؟ وهذا
يعجز عن إدراك فهمه كثير من الفصحاء فضلاً عن النطق به » فقال
ثعلب : « قد وجدت في كتابه نحواً من هذا : يقول : (حاشا) حرف
يخفض ما بعده كما تخفض (حتى) وفيها معنى الاستثناء . »

فقلت : هذا كذا في كتابه ؛ وهو صحيح : ذهب في التذكير الى الحرف ، وفي التانيث الى الكلمة .

قال : « والأجود أن يحمل الكلام على وجه واحد » .

قلت : كلٌ جيد ، قال الله تعالى : « ومن يقنت منكن لله ورسوله ويعمل صالحاً »^(١) .

وقرىء : « وتعمل صالحاً » وقال عز وجل : « ومنهم من يستمعون اليك . »^(٢) ذهب الى المعنى ، ثم قال « ومنهم من ينظر اليك .. »^(٣) ذهب الى اللفظ ، وليس لقائل أن يقول : لو حمل الكلام على وجه واحد في الاثنين كان أجود ، لأن كلا جيد .

فأما نحن (يريد البصريين) فلا نذكر (حدود) الفراء لأن صوابه فيه أكثر من أن يعد ؛ ولكن هذا أنت (يا ثعلب) عملت كتاب (الفصيح) للمبتدي المتعلم وهو عشرون ورقة أخطأت في عشرة مواضع منه ٠٠٠ الخ .

وفصل هذه المواضع مستشهداً بكلام العرب فانظرها في مظنتها^(٤) ، ثم قال الزجاج : « فما قرىء عليه كتاب (الفصيح) بعد ذلك عالمي ، ثم بلغني أنه ستم ذلك ، فأنكر كتاب (الفصيح) أن يكون له »^(٥) .

(١) سورة الاحزاب ٣٣ الآية ٣١

(٢) سورة يونس ١٠ الآية ٤٢ (٣) الآية التالية ٤٣/١٠

(٤) ارشاد الارب ١٣٧/١ - ١٤٣ وانظر انباء الرواة ١٤١/٣

وهم يصفون ثعلباً بغزارة الحفظ لكنه • لم يكن مع ذلك موصوفاً بالبلاغة وإذا كتب كتاباً الى بعض اصحاب السلطان ما خرج عن طبع العامة»^(١).

* * *

في اكثر هذه الاخبار مجال لمن شك فيها او توقف ، فما فاز فيه الكسائي على خصمه عرفناه من رواية أنصاره الكوفيين ، فراوي خبر الأصمعي والكسائي: ثعلب وهو من أئمتهم ، وراوي خبر سيبويه والكسائي: الفراء تلميذ الكسائي ، وراوي خبر اليزيدي والكسائي: اليزيدي نفسه ولم نسمع رواية الطرف الآخر ممن شاهد الوقائع ؛ ومع هذا نستطيع اعتبارها واقعة كما رووها لنا ونمضي في بحثنا ، جاعلين عدم نقض البصريين لهذه الروايات - فيما علمنا - إقراراً منهم بمضمونها. وفلاحظ بعد ذلك الأمرين الآتين :

١ - لا يحتاج القارئ الى كثير روية حتى يطمئن الى أن الحق في كل هذه المناظرات كان بجانب البصريين : الأصمعي ، وسيبويه ، واليزيدي والمبرد ، وأن حجج الكوفيين في هذه المسائل واهية .

٢ - لم تكن اكثر هذه المجالس عادلة ، فإل السلطان الى احد الخصمين وتقريبه له ومكاته عنده ، كل ذلك قوى نفسه فاستطال على خصمه بدالته ولسانه وجاهه في القصر وعند الشهود ، وتحدثت هذه

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ١٥٧

المجالس بغلبته ، الى ان مضت الأيام وانقضت تلك الاعتبارات وحكم التاريخ فرد الحق الى اهله .

. . .

وبعد ، فقد بلغ هذا الخلاف اجله ، ودرج العلماء والمؤرخون على ان هناك مذهباً بصرياً وآخر كوفياً ، فما معالم كل من المذهبين وما اهم الميزات لهذا وذاك ؟

ابادر قبل بسط هذه المعالم الى تسجيل امرين لا بد منهما اذا اردنا الدقة في البحث والاحتياط في الأحكام :

١ — نحن اليوم نملك من كتب البصريين عدداً صالحاً يساعدنا في إرسال الاحكام بشيء من الاطمئنان ، فقد راجت في الاقطار منذ تأليفها حتى اليوم ، وشرح منها الشيء الكثير ، وتداولته الطلبة على مر السنين ثم كان الذين ألفوا في طبقات النحويين واخبارهم ممن طبعت كتبهم ينصرا اكثرهم المذهب البصري ، وكان النحو في الشام ومصر والمغرب والأندلس .. بصري الطابع في اكثر مسائله اغلب الأزمان . وهذا كله قد خدم كتب البصريين ونحوهم خدمة لم يحظ ببعضها المذهب الآخر .

اما الكوفيون فلم يطبع من كتبهم النحوية حتى الآن شيء فيما اعلم^(١)

(١) بل لاني سردت تراجم النحاة في (بغية الوعاة) فلا أذكر أنه مر بي كتاب في النحو الكوفي بعد أئمنه الاولين غير ما جاء في ترجمة ابي جعفر التنوخي (-٣١٨) =

وانما اطلعنا على اقوالهم في كتب المتأخرين منشورة على المسائل، اي ان آراءهم وردت في كتب خصومهم - مع شيء من التجوز^(١) - للرد عليها ؛ فان نحن اعتمدنا على ذلك في اصدار الأحكام ؛ لم نكن الى العدل في شيء . والحق يقضى الانرسل حكماً بين فريقين الا بعد الاستماع الى حجج كل من فيه، وهذا مع الأسف ليس ميسوراً الآن.

٢ - هذه الميزات والمعالم الآتية بعد ، ليست جامعة مانعة ؛ فليست هناك قاعدة أجمع عليها نخاة البصرة وتوارد على معارضتها نخاة الكوفة او قال بها الآخرون جميعاً وعارضها الأولون جميعاً . بل كثيراً ما نجد العالم الواحد من اهل الكوفة مثلاً يذهب الى احكام يوافق فيها مذهب خصومه ويخالف اهل مصره . وطالما نجد هذه الظاهرة في كتاب (الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري^(٢)) وفي كتب النحو

= من ان له مؤلفاً في النحو على مذهب الكوفيين ، إلا ان يكون مرثياً وغفلت عنه .

(١) وقفني قول الزجاجي - وهو ممن خلط المذيعين - في كتاب الإيضاح (ص ٨٠) : « أكثر ما أذكر من احتجاجات الكوفيين إنما أعبر عنها بالفاظ البصريين ، حتى إذا مضيت في مطالعة الكتاب وجدت علة ذلك ص (١٣١) في قوله : « إذ لو تكلفنا حكاية الفاظ الكوفيين بأعيانها لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير زيادة في الفائدة ، بل لعل أكثر ألفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم ، وكثير منها قد هذبنا من نحكي عنه مذهب الكوفيين مثل ابن كيسان وابن شقير وابن الحياط وابن الأنباري .. » اهـ . قلت وهذا فارق هام بين المدرستين حين لا يتضح مراد الواحدة إلا باستعارة عبارات الاخرى .

(٢) انظر مثلاً المسألة الثالثة (١٩/١) في خلاصهم حول الألف والواو =

الأخرى^(١). وما أكثر ما تقرأ فيها : « قال البصريون الافلانا وافلانا
كذا ، وذهب الكوفيون الافلانا الى كذا^(٢) » .
ولم يطرد الصواب في احد المذهبين اطراداً ، بل تجده تارة مع
هؤلاء وتارة مع اولئك ، وحيناً وسطاً بينهما .

(٣)

الفروق بين المذهبين البصري والكوفي

بعد الاحتياط المتقدم نحصر الكلام على المذهبين في ناحيتين
اثنتين اليهما مرد الامر كله ، وهما السماع والقياس .

امر السماع

تقع البصرة على سيف البادية ، واكثر عريبها من قيس وتميم ، وقد

= والباء في الثنية والجمع : هل هي إعراب كالفتحة والضم والكسرة أو هي حروف
إعراب ، فتجد الكوفيين قالوا بالأول ، والبصريين بالثاني ، ووافق قطرب
(البصري) مذهب الكوفيين . وانشق المازني والمبرد والافخش عن البصريين
برأي ثالث .

(١) انظر مثلاً مغنى اللبيب : مادة (كلا) فقد اختلف في معناها الكسائي
والفراء وكلاهما كوفي : قال الاول هي بمعنى حقاً وقال الثاني : هي بمعنى (ألا)
الاستفتاحية .

(٢) وأطرف مفارقة اطاعت عليها أمر نحوي اسمه علي بن الحسن الهنائي
المعروف بكراع النمل مات بعد سنة ٣٠٧ فقد كان بصرياً اخذ عن البصريين
وكان نحوياً على مذهب الكوفيين - انظر الفهرست لابن النديم ص ١٢٤ .

عرفت شأنها في الاحتجاج ، وتحف بها قبائل عربية سليمة السليقة لم تفسد لغتها بمخالطة الاعاجم ، فكانت هذه القبائل ترد سوق البصرة المشهورة (المربد) . وأنت تعلم أن المربد كانت عكاظ الاسلام ، ففيها تناشد وتفاخر كما فيها تجارة وبيع ^(١) ، وذلك له أثره في فصاحة أهل البصرة وسلامة لغتهم . ثم كانت هناك رحلات متبادلة ، فعلماء البصرة دائمو الترحال الى البادية والجزيرة يتلقون عن أعرابها ، والاعراب دائمو الورود الى البصرة لشؤون معاشهم ، فقد ضرب في بوادي الجزيرة الأصمعي وابوعبيدة ويونس وابوزيد والحليل وغيرهم ، ثم كانوا يتحرون في الاخذ : أما العربي فيتحرون فيه سلامة لغته وسليقته ^(٢) واما الراوي فالصدق والضبط ، ثم كانوا لا يعتدون بالشاهد اذا لم يعرف قائله أو لم يروه عربي يوثق بلغته ^(٣) ، ومن هنا عجت بلدم بفصحاء الأعراب المعروفين في كتب الأدب ، الذين كانوا من مفاخر البصرة التي يعتدها البصريون .

(١) انظر بسط ذلك في كتابنا (اسواق العرب في الجاهلية والاسلام) .

(٢) استضعف ابو عمرو بن العلاء فصاحة ابي خيرة الاعرابي لما سأله : كيف تقول استأصل الله عرقاتهم ؟ ففتح ابو خيرة التاء ، فقال له ابو عمرو : « هيئات ابا خيرة ، لان جلدك » . - الخصائص ١٣/٢ .

(٣) في كتاب سيبويه (١٠٥٠) شاهدأ ، خمسون منها لم يعرف قائلوها ، فاعتذروا بأن سيبويه وثق برواتها . ومع هذا كان بين هذه الخمسين ما وضع وضعاً . وهو نزر يسير لا يعتد به .

اما الكوفة فهي أدخل في العراق واقرب الى الاختلاط بالاعاجم
ولغة أعرابها ليست لها سلامة لغة أعراب البصرة ، فأكثرهم يمن وبها
قليل من قبائل أخرى ، واليمن - كما رأيت في بحث الاحتجاج - لا يحتاج
بلغتها لتغيرها بالاختلاط بالفرس والاحباش ، ثم بين الكوفة وجزيرة
العرب صحراء السهابة الشاسعة فلذا لم تكن رحلات علمائها الى الجزيرة
كرحلات علماء البصرة ، والكسائي الذي ارتحل لم يرتحل الالماتلمذ
على الخليل وسأله فأرشدته الى الرحلة ، وقد مر بك « ان اباعمرو جاور
البدو اربعين سنة ولم يقم الكسائي بالبدو غير اربعين يوماً^(١) » ، بل نقلوا
ان الكسائي « حمل الى الاخفش خمسين ديناراً وقرأ عليه كتاب
سيبويه سرّاً^(٢) » . نعم كان للكوفة سوق ارادوا بها أن تحاكي مريد
البصرة وهي (سوق كناسه) ، لكن لم يكن لها ذلك الشأن ، وهي الى
ان تكون داعية إفساد اللغة اقرب منها الى ان تكون عاملا في صيانتها
لان الاعراب الذين يؤمنونها غير سليمي السلائق^(٣) . كل هذه العوامل

(١) مجالس العلماء للزجاجي (ص ١٧١) طبعة حكومة الكويت .

(٢) انظر مثلاً مراتب النحويين ص ٧٤ .

(٣) في تاريخ آداب العرب للرحوم مصطفى صادق الرافعي فصل مفيد
جمع فيه ما وصل اليه من اسماء الأعراب الذين كان يحتكم الى فصاحتهم علماء العربية ،
عنوانه (المحاكمة الى الأعراب ٣٤١/١) وفيه نقل عن الجاحظ أن « عكيم
ابن عكيم الحبشي كان أفصح من العجاج ، وكان علماء أهل الشام يأخذون عنه
كما أخذ أهل العراق عن المنتجع بن نبهان ؛ وكان المنتجع سندياً وقع الى البادية =

صرفت الكوفيين الى رواية الشعر ، فذلك هو الميسور لهم ، وزعموا أن سبب علمهم بالشعر وسبقهم فيه أهل البصرة : أن المختار بن أبي عبيد لما خرج بالكوفة قيل له : « أن تحت القصر الأبيض الذي كان للنعمان كنزاً » ، فاحتفر فوجد الطنوج التي كان النعمان امرأان ينسخ فيها اشعار العرب فأخرجها ، قالوا : فمن ثم كان أهل الكوفة أعلم بالشعر ، هذه رواية حماد الراوية الكوفي^(١) .

هذا حال من ينقلون عنه من حيث السليقة وسلامة اللغة ، وأما الجهة الثانية وهي صدق الراوي وضبطه فلم يعنوا بها ، ولذا كثر الموضوع المصنوع في أكثر رواياتهم ، قال أبو الطيب اللغوي : « الشعر بالكوفة أكثر واجمع منه بالبصرة ، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب الى من لم يقله ، وذلك بين في دواوينهم »^(٢) . وابعده من ذلك في الدلالة قصة خلف بن الأحمر راويتهم الكبير فقد قال :

= وهو صبي فخرج أفصح من روبة ، اه - وإقبال العلماء على هؤلاء الأعراب جعل لهم سوقاً رائجة حتى صار ينتحل الأعرابية بعض المرتزقة فذكروا أن أبا خالد النميري من أهل البصرة خرج الى البادية فأقام أياماً يسيرة ثم رجع الى البصرة يتبادى ويتقعر ، فرأى الميازيب فأنكرها قائلاً : « ما هذه الحراطم التي لا نعرفها في بلادنا .. !! » لكن هؤلاء المنتحلين لم يكونوا يخفون على العلماء .

(١) انظر الخصائص ١/ ٣٨٧ . الطنوج : الكراريس . والخبر كله اسطورة من الصعب تصديقها ولعله وضع كما توضع اشباهه من الاخبار النافعة في العصبية للبلدان .

(٢) عن مراتب النحويين ٧٤ .

« اتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر فبخلوا علي به فكنت اعطيهم المنحول وأخذ الصحيح ، ثم مرضت فقلت لهم : « ويلكم ، انا نائب الى الله تعالى ؛ هذا الشعر لي » فلم يقبلوا مني وبقي منسوباً الى العرب لهذا السبب .^(١)

اما راويتهم الاكبر «حماد» فهو الشمس شهرة في كذبه ووضعه ، وقد ساط على الشعر من حماد الرواية ما افسده فلا يصلح ابداً ... فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل من الاقدمين ويدخله في شعره ويحمل عنه ذلك في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ،^(٢) ولا تنس استشهاده باللحن أيضاً حتى امتنع الكميت الشاعر عن إملاء شعره عليه وقد طلب ذلك منه وقال له : « أنت لحن ولا أكتبك شعري »^(٣) .

وقد عجب يونس « كيف يأخذ الناس عن حماد وهو يلحن ويكسر الشعر ويكذب ويصحف ؟ ! »^(٤) ولا تنس أنه ديلامي من السبي .

(١) وفيات الاعيان ١/٣٩٣ .

(٢) كلمة المفضل الضبي - ارشاد الارب ١٠/٢٦٥ . وعلى ان المفضل الضبي هذا « أعلم من ورد علينا من غير اهل « البصرة » بتعبير ابن سلام (انظر طبقات الشعراء ص ٢١) فقد وقع هو نفسه فيما خاف منه ، فذكر ابن سلام في كلامه على عدي بن زيد انه « حمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد واضطرب فيه خاف وغلط فيه المفضل فأكثر !! » ص ١١٧ .

(٣) الموشح للمرزباني ص ١٩٥ . (٤) مراتب النحويين ص ٧٣ .

كان من الطبيعي اذاً أن يطرح الثقات روايات أهل الكوفة وقد
ملأها حماد وخلف وغيرهما بالمصنوع ، وصار ذلك مما يميز مدرسة
الكوفة ^(١) من مدرسة البصرة ، وعرف ذلك الخاص والعام ، حتى أتى
من ألف في طبقات النحويين فسجل الظاهرة الآتية :

« لا يعلم أحد من علماء البصريين بالنحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة
إلا أبا زيد الأنصاري البصري ، فقد روى عن المفضل الضبي الكوفي ^(٢)
وحتى كانوا اذا بالغوا في الثناء على علم كوفي شبهوا روايته برواية أهل
البصرة فقالوا في ترجمة ابن الاعرابي تلميذ المفضل الضبي : « ولم يكن
أحد من الكوفيين أشبه رواية برواية البصريين منه » ^(٣) .

(١) قال أبو عكرمة اللبورد : « ما يساوي نخوك عند ابن قادم الكوفي
شيئاً ... لأن له لغة بخلاف هذه وشواهد من الشعر عجيبة » فجعل ينشدني ويحدثني
ويضحك ، فكان من ذلك أن قال لي : « سمعته يقول : « أرز ورتزه » ثم أنشد :
قرباً يا صاح رتزه واجعل الاصل اوزة
واصف القينات حقاً ليس في القينات عزه

فقلت له : « من يقول هذا ؟ » فقال : « بعض العرب المتحضرة » فقلت :
« بل بعض النبط المتقدرة » - تاريخ آداب العرب للرافعي ٣٧١/١ وابن قادم
هذا من أعلام الكوفيين من أعيان أصحاب الفراء ومن تلاميذه ثعلب وقد
مرت بك قصته في باب الاحتجاج .

(٢) نزهة الالباء لابن الانباري ص ١٧٥ .

(٣) بغية الوعاة ٤٢ . سأله ثعلب عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح
في مجلس واحد فقال في كلها : « لا ادري ولم اسمع ، فأحدث لك برأيي ؟ » =

ومثل ذلك قيل في شيخه المفضل الضبي .

أما أهل الكوفة فيروون عن أهل البصرة اذ كانوا أساتذتهم ، حتى الكسائي الذي قرأ على الخليل ويونس وعيسى بن عمر ، ورأى تحريمهم فيما ينقلون وفيمن يشافهون ؛ زایل التحري حين انتقل الى بغداد^(١) وكان أمره كما قال أبو زيد الانصاري : « قدم علينا الكسائي البصرة فلقي عيسى والخليل وغيرهما ، وأخذ منهم نحواً كثيراً ، ثم صار الى بغداد فلقي أعراب الحطمية فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن ، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله »^(٢).

= هذا مع وصفهم له بالاتساع في العلم جداً وأنه « لم ير احد في علم اللغة والشعر كان اغزر منه » انظر الصفحة نفسها وفي امالي الزبيدي (ص ٩٠ طبعة حيدر آباد ١٣٦٧ هـ) ان ابن الاعرابي قال :

أصير في كل شهر الى أبي الوليد محمد بن ابي أحمد بن ابي دؤاد أربعة مجالس وآخذ منه ألف درهم وأصرفها الى الاعراب الفصحاء لاستفيد منهم . قال ثعلب : « ما رأيت أعطى للأعراب الفصحاء من ثلاثة : إسحاق الموصلي وأحمد بن ابراهيم الكاتب ، وابن الاعرابي ».

قلت : وفي هذه الصفات كلها التي اسبغت على هذا العالم الكوفي ما فيها من الدلالة على شأن مدرسة البصرة في صحة الرواية .

(١) انظر ص ١٤٩ .

(٢) ارشاد الاريب ١٨٢/١٣ . الحطمية قرية على فرسخ من شرقي بغداد . وذكر الاصمعي « ان الكسائي يأخذ اللغة عن اعراب الحطمية ينزلون بقطر بل (قرية بين بغداد وعكبرا) وغيرها من قرى سواد بغداد ، فلما ناظر سيديوه استشهد بكلامهم واحتج بهم وبلغتهم على سيديوه » ١٨١/١٣ . وانظر فيما وقع =

كل ما تقدم مشهور متعارف عند أهل العلم قديماً ، حتى ان ابن سلام لما نقل قول المفضل الضبي : « للأسود بن يعفر ثلاثون ومئة قصيدة » ، عقب عليه بقوله : « ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريباً منه ؛ وقد علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروي ويتجاوزون في ذلك بأكثر من تجوزنا . »^(١)

ولا تظنن هذا الطابع طبع مدرسة الكوفة في علوم العربية فحسب ، بل هو ستمهم في كل ما يعتمد السماع واليك حكم الخطيب البغدادي على مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة في الحديث قال :

« ولأهل البصرة من السنن الثابتة بالأسانيد الواضحة ما ليس لغيرهم مع إكثارهم ، والكوفيون مثلهم في الكثرة غير أن رواياتهم كثيرة الدغل قليلة السلامة من العلل »^(٢) .

هذا فرق ما بين المدرستين في أمر السماع وصحته والتحري فيه .

= له من لحن حتى في قراءة القرآن انباء الرواة ٢/٢٦٢، ٢٦٣ وهو - وإن كان سهواً - دلائل على ضعف ملكته .

(١) طبقات الشعراء ص ١٢٣ . هذا وكان ابو حاتم السجستاني يقول مريداً البصريين : « فاذا فسرت حروف القرآن اختلف فيها ، او حكيت عن العرب شيئاً فانما أحكيه عن الثقات عنهم مثل ابي زيد والاصمعي وابي عبيدة وبونس وثقات من فصحاء الأعراب وحملة العلم ؛ ولا أتفت الى رواية الكسائي والاحمري والاموي والفراء ونحوهم ، وأعوذ بالله من شرهم » . - مراتب النحويين ص ٩٠ . (٢) نقله المرحوم جمال الدين القاسمي في كتابه قواعد =

أمر القياس :

رسم البصريون خطتهم في النحو بعد أن جعلوا نصب أعينهم الهدف الذي اليه يرمون ، وهو عصمة اللسان من الخطأ وتيسير العربية على من يتعلمها من الأعاجم . ولذا تحروا ما نقلوا عن العرب ثم استقروا أحواله فوضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب من هذه الأحوال ، فإن تناثر هنا وهناك نصوص قليلة لا تشملها قواعدهم سلكوا بها - بعد التحري من صحة نقلها عن العرب المحتج بكلامهم - إحدى طريقتين : إما أن يتأولوها حتى تنطبق عليها القاعدة ، وإما أن يهملوا أمرها لقلتها فيحفظوها ولا يقيسوا عليها ، جاعليها من الصنف الذي سموه مطرداً في السماع شاذاً في القياس ، وقد مر بك هذا (ص ٦٢) . وذلك مثل (استحوذ واستصوب) والقياس فيها الإعلال مثل (استقال ، استجاد ، استطال ٠٠ الخ) فقالوا : تحفظ الكلمات النادرة التي وردت عن العرب في هذا الباب ولا يقاس عليها ، بل منهم من ذهب الى أن اتخاذ القياس فيها (استحاذ ، استصاب) غير خطأ .

وهم الذين أمعنوا في أحوال الكلام العربي ، واستنبطوا علله ، وحكموا فيها المنطق والعقل حتى جاءت قواعدهم في القياس والنحو

= التعديت ص ٥٨ . ولها كم كلمة قريبة من هذه قال : « وأكثر المحدثين ندلبساً أهل الكوفة ونقر يسير من أهل البصرة » - انظر « معرفة علوم الحديث » ص ١١٢ .

الذي بني عليها متاسكة متناسقة في الجملة ، ولا بد في كل تنسيق من تشذيب يخرج بعض التواء من الهيكل المشذب . ولم يكن الى الصواب من عاب عليهم من المحدثين أنهم بتعميم هذه القواعد قد أهدروا شيئاً من اللغة ، فهم حين يختارون بين اللغتين أشيعهما وأقربهما الى القياس ، قد قاموا بخير ما يمكن أن يقوم به من يريد حفظ اللغة ، ومع أن الكوفيين جمعوا ما هب ودب ولم يفرطوا في شيء مما وصل اليهم ، لم يدعوا ولم يدع لهم أحد أنهم لموا اللغة من أطرافها وأحوصوها ، وأن نجد عندهم كل لغات العرب بلهجات قبائلها ؛ بل نحن أخرى أن نجد عند البصريين المنظمين المنسقين ما لا نجد عند غيرهم ، فالنظام يحفظ في نسق ما لا يستطيع غيره ان يحفظه .

أما الكوفيون فلم تكن لهم أصول يبنون عليها غير ما أخذوه عن أساتذتهم البصريين ولم يحسنوه ، ثم جعلوا من عدم المنهج في سماعهم منهجاً خاصاً لهم ، فسمعوا الشاذ واللحن والخطأ ، وأخذوا عن فسدت لغته من الأعراب وأهل الحضر ؛ فلما اقتضت المنافسة ان يكون لهم قياس كما لأولئك بنوه على ما عندهم مما يتنزه عن روايته البصري ، ثم جعلوا كل شاذ ونادر قاعدة لنفسه ، فانتشرت عليهم قواعدهم ولم يعد لها ما يسكنها من نظام او منطق ، وضاعت الغاية من وضع النحو فلم يعد - في ايديهم - أداة تيسر لتعلم العربية ، بعد أن اصبحت له قواعد بعدد ما جمعوا من شواهد ، وهذا شيخهم وكبيرهم الكسائي : « كان يسمع الشاذ

الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة، والضرورات،
فيجعل ذلك أصلاً ويقيس عليه حتى أفسد النحو،^(١) وحتى ضاق به
وبقياسه وبسماعه اليزيدي فقال :

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول
فجاءنا قوم يقيسونه على لغى أشياخ قطر بل
فكلهم يعمل في نقض ما به يصاب الحق لا يأتي
ان الكسائي وأشباعه يرقون بالنحو الى اسفل^(٢)
وغلب هذا الانحراف على الكوفيين حتى قال الاندلسي شارح
المفصل : «الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول
جعلوه أصلاً وبوبوا عليه»^(٣)

أما قياسهم نفسه ومقدار جودته فقد مريبك في المناظرات نمط منه
وعرفت وهبه حين يعللون بالتوهم مرة في رسم (والضحى)، وبتسليط
فعل مقدر على أحد المتعاطفين دون الثاني في قضية (فاذا هو أياها).

* * *

اتجه بعض الباحثين المحدثين الى عد المذهب الكوفي مذهب سماع

(١) ارشاد الارب ١٨٣/١٣ . ويقول ابن درستويه . «كان الكسائي
يسمع الشاذ الذي لا يجوز الا في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه فأفسد النحو
بذلك - بغية الرعاة ص ٢٣٦ .

(٢) أخبار النحويين البصريين ص ٤٤ وبغية الرعاة ص ٣٣٦ وإرشاد
الارب ٣١/٢٠ . (٣) الاقتراح ١٠٠ .

على حين عدوا المذهب البصري مذهب قياس ؛ فذهب الاستاذ احمد امين الى أن الكوفيين «يحترمون كل ما جاء عن العرب ويحيزون للناس ان يستعملوا استعمالهم»^(١)، وبالغ المرحوم الاستاذ طه الراوي فقال : «أما مذهب الكوفيين فلواؤه بيد السماع ، لا يخفر له ذمة ولا ينقض له عهداً . ويهون على الكوفي نقض أصل من أصوله أو نسف قاعدة من قواعده ، ولا يهون عليه اطراح المسموع على الاكثر .»^(٢)

وأود هنا — بعد ما مر بك — أن أحرر هذا الأمر فأفرق بين القياس ذي الأصول المقررة ، والقياس المشوش الذي لا ضابط له . فالصحيح أن الفريقين كانا يقيسان ، وربما كان الكوفيون أكثر قياساً إذا راعينا (الكم) فهم يقيسون على القليل والكثير والنادر والشاذ ، ولم نعلم لهم مناهج محررة في القياس . أما البصريون فهم أقيس إذا راعينا (الكيف) — والحق مراعاته — فهم لا يقيسون إلا على الأعم الأغلب ، ولهم في القياس اصول عامة يراعونها . والزمن حكم لعلمهم بالبقاء إذ كان الأنسب والأضبط ، فكان نحو الناس حتى هذا اليوم بصرياً في أغلبه . تصرف الحياة في هذا الأمر بما لا يشعر به البصريون ولا الكوفيون ، إذ أن لها اختيارها الخاص الملائم : تقبل ما يروقها

(١) ضحى الاسلام ٢/ ٢٩٥ .

(٢) نظرة في النحو : مجلة المجمع العلمي العربي ١٤/ ٣١٩ .

وتحبيه غير آبهة لما يقول هؤلاء ولا ما يقول أولئك ، وإنما السليقة
اللغوية الخفية في نفوس المتكلمين هي التي احتفظت بما كان أقرب لروح
العربية الأولى : فمات بل لم يولد ما جانف هذه السليقة ، فما احد قال
ولا يقول اليوم (الرجال قام) وإن قال المذهب الكوفي بتقديم
الفاعل على الفعل .

اما السماع فهل كان الكوفيون (يحترمونه) حقاً كما قال الأستاذ
احمد امين ؟ ، (وهل كان لواؤه يدهم لا يخفرون له ذمة) كما قال
المرحوم الاستاذ طه الراوي ؟ لعلك بعد ما سبق لك موقن معي ان
السماعيين هم البصريون لا الكوفيون ؛ فمن احترام السماع صيانه
وحفظه من كل موضوع ، ومن احترامه تحري حال المسموع منه ، فلا
فلا يُدس فيه كلام الذين فسدت لغتهم من أعراب الحطمية وأشياخ
قطر بل ، ومن احترامه ألا نساوي فيه بين القليل النادر والاكثـر
الشائع فنغمط حق هذا الاخير . وإن حشرنا فيه الضعيف والشاذ
واللحن والخطأ بما يقع فيه أعراب السواد ، والشعر المصنوع مما دسه
حماد وخلف الكوفيان ؛ خفر لذمته ونقض لعهد^(١)ه .
الحق أن البصريين عنوا بالسماع فحرروه وضبطوه (واحترموه) ،

(١) كان يونس بن حبيب يقول : إن لم يكن بُزرج النعوي (الكوفي)
أروى الناس فهو اكذب الناس . كان كذاباً ، كثيراً ما يحدث بالشيء عن
رجل ثم عن غيره . - انظر ترجمته في الفهرست وفي إنباء الرواة .

على حين زيفه الكوفيون وبلبلوه ، والامر في القياس على هذه الوتيرة ،
نظمه وحرر قواعده وأحسن تطبيقه البصريون ، على حين هو في يد
الكوفيين مشوش غير واضح المعالم ولا منسجم في أجزائه ، ولا
مطرد . بل تجد فيه ظاهرة غريبة جداً ، وهي إطلاقهم - وهم المتقيدون
بالسمع - الاشتقاق فيما لم يسمع عن العرب ، فقد ذهبوا الى قياس
(مفعّل وفعل على نحو مثني وثلاث) من خمسة الى تسعة على حين لم
يسمع عن العرب ذلك إلا من واحد الى اربعة ، والبصريون أنفسهم
- وهم القياسيون - منعوه (إلا المبرد منهم) لعدم السماع ، ولأن
يكون ذلك من البصريين أخرى اذ هو بمذهبهم أشبه وعن مذهب
الكوفيين أبعد . وهذا يؤكد لك ما ذهبت اليه من أنه مذهب
غير منسجم الأجزاء .

أميل اذاً الى أن المذهب الكوفي لا هو مذهب سماع صحيح ولا
مذهب قياس منظم . لكن التاريخ يؤيد وجود المذهبين مذهب
السمع ومذهب القياس وهما حقاً وجداً ولكن في البصرة لا في
الكوفة . أما القياس فليست بصريته موضع خلاف ، وأما السماع
الصحيح فإني أوتر أن أنقل فيه كلام الاستاذ احمد امين نفسه في أن
هذه المدرسة مدرسة بصرية ، قال :

« كانت هاتان النزعتان في البصرة في أيامها الاولى ، فهم يقولون :
إن ابن أبي اسحاق الحضرمي وتلميذه عيسى بن عمر كانا أشد ميلاً للقياس

وكانا لا يأبهان بالشواذ ولا يتحرجان من تخطئة العرب ؛ وكان أبو عمرو بن العلاء وتلميذه يونس بن حبيب البصريان أيضاً على عكسهما : يعظمان قول العرب ويتحرجان من تخطئتهم ، فغلبت النزعة الأولى على من أتى بعد من البصريين ، وغلبت النزعة الثانية على من أتى بعد من الكوفيين ولا سيما الكسائي الكوفي .

وهذا حق مع استدراك واحد ، هو أن أبا عمرو ويونس يعظمان قول العرب بعد التحري والتثبت من أنه كلام العرب المحتج بهم ، أما الكوفيون فلا يتحرون ، ولو قال الأستاذ (فغلبت النزعة الثانية مشوهة الخ .) لطبق المفصل ، وجميل ما حكم به بعد ذلك بين المذهبيين : « ونرى في هاتين النزعتين أن البصريين كانوا أكثر حرية وأقوى عقلاً ، وأن طريقتهم أكثر تنظيماً وأقوى سلطاناً على اللغة ، وأن الكوفيين أقل حرية وأشد احتراماً لما ورد عن العرب ولو موضوعاً (كذا) ، فالبصريون يريدون أن ينشئوا لغة يسودها النظام والمنطق ، ويميتوا كل أسباب الفوضى من رواية ضعيفة أو موضوعة أو قول لا يتمشى مع المنطق والكوفيون يريدون أن يضعوا قواعد للموجود حتى الشاذ ، من غير أن يهتموا شيئاً حتى الموضوع »^(١)

(١) ضحى الاسلام ٢/٢٩٦ .

هذا للقاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة) الذي ألفه الدفاع عن المتنبي الكوفي والحكم بينه وبين خصومه ، حكم يسرني إثباته له لما فيه من توضيح =

وبهذا لا يكون من الدقة - في رأيي - إطلاق النزعة السماعية على المذهب الكوفي والنزعة القياسية على المذهب البصري . والدقة التي يؤيدها التاريخ والإمعان فيه وفي أقوال الكوفيين والبصريين ألا يكون مذهب بصري يقابله مذهب كوفي بل نزعة سماعية يقابلها نزعة قياسية يختلف حظ كل منهما صحة وحالاً ومقداراً بين البلدين ، بل بين نحاة كل بلد على حدة . على ذلك الأساس يصح أن نعيد النظر في النحو وتاريخه ورجاله بهذا التصنيف الجديد ، بعد أن علمنا أن النزعتين تمثلان على حقهما بالبصرة لا بالكوفة .

...

وبعد فهذه أحكام تقريبية لا مطردة ، إذ أن في المذهب الكوفي مسائل جيدات تختار على مثيلاتها في المذهب البصري ، كأعمالهم مثلاً اسم المصدر عمل المصدر ، فحكمهم في ذلك صحيح واضح تؤيده روح القواعد والمنطق ، وشاهداهم عليه صحيحان قويان^(١) وما اتجهوا إليه

= الأمر هنا على رغم سوقه مساق الدفاع عن الكوفيين قال :
ولا هل الكوفة رخص لا تكاد توجد لغيرهم من النحويين غير أنهم لا يبلغون بها مرتبة « الإهمال » للقواعد العامة . انظر الوساطة ص ٤٦٦ .

(١) قول القطامي بمدح زفر بن الحارث الكلابي :
أكفراً بعد رد الموت عني وبعد عطائك المنة الرثاء
والحديث الشريف : « من قبل الرجل امرأته الوضوء » . =

في اعراب مخصوص (نعم وبئس)^(١) أيسر وأقرب الى الفطرة اللغوية من مذهب اخوانهم البصريين، وكذهاب بعضهم في قضية (أشياء) وانها جمع لشيء، منعت من الصرف لشبه ألفها بألف التأنيث^(٢)، ولهم أشباه هذه المسائل. وبذلك تدرك صواب الظاهرة التي قدمت بها هذا الكلام من ان الحق يصيبه هؤلاء تارة وهؤلاء تارة .

ونختتم هذه الفقرة بمثل صغير من الخلاف بين المدرستين ننتزعه من كتاب (الانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري) نموذجاً لقضايا جاوزت المئة في هذا الكتاب ، يبسط في كل منها رأي الكوفيين وحججهم ثم رأي البصريين وحججهم مع ردودهم على حجج الكوفيين غالباً .

= ففزع البصريون في رد القاعدة الى أن الحديث مروي بالمعنى ، ولم الى ان البيت فيه ضرورة .

لكن الزمن حكم للكوفيين فصحت قاعدتهم وسار عليها الناس وقبلها النحاة حتى يومنا هذا . ونحو من هذا : القاعدة التي وضعها البصريون في وجوب إعادة الجار قبل المعطوف على المجرور وقد عرفت أمرها ص ٣٩ .

(١) انظرها في كتاب (الانصاف في مسائل الخلاف) ص ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٢ فقد ركب البصريون في هذه المسألة متعدياً واضطروا الى الاستغاثة بأرضي العلل حتى بانعزاف اللسان وكان من حججهم قول بعض العرب (ما أيطبه) بدل (ما أطيبه) !

٩٢ - مسألة سوف

ذهب الكوفيون الى ان السين التي تدخل على الفعل المستقبل نعو (سأفعل) أصلها (سوف) ، وذهب البصريون الى انها أصل بنفسها .
أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن سوف كثرة استعمالها في كلامهم وجريها على السنتهم ، وهم أبدأ يحذفون لكثرة الاستعمال كقولهم :
« لا أدري ، ولم أبطل ، ولم يك ، وخذ ، وكل ، وأشباه ذلك ، والأصل :
« لا أدري ، ولم أبطل ، ولم يكن ، وأخذ ، وأكل ، فحذفوا في هذه المواضع وما أشبهها لكثرة الاستعمال فكذلك ها هنا : لما كثرة استعمال (سوف) في كلامهم حذفوا منها الواو والفاء تخفيفاً .

والذي يدل على ذلك انه قد صرح عن العرب انهم قالوا في (سوف أفعل) :
(سو أفعل) فحذفوا الفاء ، ومنهم من قال (سف افعل) فحذف الواو واذا جاز ان يحذف الواو تارة والفاء اخرى لكثرة الاستعمال جاز ان يجمع بينهما في الحذف مع تطرق الحذف اليهما في اللغتين لكثرة الاستعمال . والذي يدل على ذلك أن السين تدل على ما تدل عليه سوف من الاستقبال ، فلما شابهتها في اللفظ والمعنى دل على انها مأخوذة منها وفرع عليها .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الأصل في كل حرف يدل على معنى ألا يدخله الحذف وان يكون أصلاً في نفسه ، والسين حرف يدل على معنى ؛ فينبغي ان يكون أصلاً في نفسه لا مأخوذاً من غيره .

وأما الجواب عن كلمات الكوفيين : اما قولهم « ان (سوف) لما كثرة استعمالها في كلامهم حذفوا الواو والفاء لكثرة الاستعمال ، قلنا هذا فاسد ؛ فإن الحذف لكثرة الاستعمال ليس بقياس ليجعل أصلاً محل الخلاف ، على ان الحذف ولو وجد كثيراً في غير الحرف من الاسم والفعل فقلما يوجد في الحرف ، وان وجد الحذف في الحرف في بعض المواضع فهو على خلاف القياس فلا يجعل أصلاً يقاس عليه .

وأما ما روه عن العرب من قولهم في: (سف أفعل)، (سوف أفعل)
و (سف أفعل) فالجواب عنه من ثلاثة أوجه :

الوجه الاول: ان هذه رواية تفرد بها بعض الكوفيين؛ فلا يكون فيها حجة
والوجه الثاني ان صحت الرواية عن العرب فهو من الشاذ الذي لا يعاب به لقلته .
والثالث : ان حذف الفاء والواو على خلاف القياس ؛ فلا ينبغي ان يجمع
بينهما في الحذف لأن ذلك يؤدي الى مالا نظير له في كلامهم ؛ فانه ليس في
كلامهم حرف حذف جميع حروفه طلباً للخفة على خلاف القياس حتى لم يبق منه
الا حرف واحد ، والمصير الى مالا نظير له في كلامهم مردود .

وأما قولهم : إن السين تدل على الاستقبال كما ان (سوف) تدل على الاستقبال ،
قلنا : هذا باطل ؛ لانه لو كان الامر كما زعمتم لكان ينبغي أن يستوي في الدلالة
على الاستقبال على حد واحد ، ولا شك أن (سوف) أشد تراخياً في الاستقبال
من السين ، فلما اختلفا في الدلالة دل على أن كل واحد منهما حرف مستقل بنفسه
غير مأخوذ من صاحبه والله اعلم .^(١)

(٤)

أثر العصبية في الخوف

جرى بعض الباحثين قديماً وحديثاً على رد الخلاف النحوي بين
هذين المصرين العرييين الى السياسة ، وهو رأي سطحي لا يثبت عند
التدقيق : فأهل النظر في كل فن تتباين أنظارهم كثيراً دون ان يكون
للسياسة او غيرها في ذلك أثر ، وانما هو الاجتهاد المحض ، وهؤلاء
أئمة البصريين يختلفون — فيما بينهم — اتجاهات واجتهادات في مسائل

(١) الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ص ٣٧٩ (مطبعة الاستقامة

في القاهرة) .

كثيرة من مسائلهم . نعم ربما كان للسياسة أثر ما في ميل الأمراء العباسيين الى الكوفيين ، لكن هذا شيء وتوجيه الفن الى اتجاه خاص شيء آخر .

اما هذه الاحداث التي كانت تكون بين كوفي وبصري في قصور الحكم فنوع من الدفاع عن القوت اولاً وميل الى العصية البلدية^(١) آخرأ . ولا تظن ان ما مر بك من مشاحنات بينهم كان يصرف بعضهم عن الانتفاع بعلم بعض ، وحسبك ان تعلم أن الفراء مات « وتحت رأسه كتاب سيويوه » وأن الكسائي وهب للأخفش خمسين ديناراً لقراءته كتاب سيويوه عليه وانه « سأل كتابه في معاني القرآن من كتاب الأخفش »^(٢) ، وأن الجاحظ لما عدد مفاخر البصرة على الكوفة قال : « وهؤلاء يأتونكم بفلان وفلان وبسيويوه الذي اعتمدتم على كتبه وجحدتم فضله » ولما اشترى الجاحظ كتاب سيويوه من ميراث

(١) لما نعى الاحمر الى الفراء وكلامهما كوفي (وكانت بينهما وحشة) ، ذكره بخير واثني عليه ، فقال اهل زمانه : « لم يذكره لمحبته له ، وإنما ذكره ليكثر اهل البصرة بأهل الكوفة - إنباء الرواة ٣١٧/٢ .

(٢) بغية الرواة ص ٣٥٨ وانظر إنباء الرواة ٣٧/٢ حيث قول الاخفش : سألت الكسائي ان يؤلف له كتاباً في معاني القرآن ، فألفت كتابي في المعاني فجعله اماماً ، وعمل عليه كتاباً في المعاني ، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما ، هذا وذكروا ان (معاني الكسائي) لو قرئ عشر مرات لاحتاج من يقرؤه أن يقرأه - إنباء الرواة ٢٦٥/٢ .

الفراء رآه أثنى ما يهدى الى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما دخل عليه وقد اقتصد سألته : « ما أهديت لي يا ابا عثمان ؟ » قال « أطرف شيء : كتاب سيبويه بخط الكسائي وعرض الفراء !! » .. الى غير ذلك من الأخبار التي ان صدقتها فدلالتها على العصية البلدية ظاهرة ، وان ذهبت الى وضعها أو التزيد فيها فالدلالة أظهر .

لم يختلف نحاة المصريين تبعاً لاختلاف سياسة بلديهما ، فليس للسياسة تأثير مباشر في ذلك ، وانما كان التكتل استجابة للعصية ليس غير : أنشئت البصرة والكوفة على عهد عمر بن الخطاب ، وانقضت سنون من عهد عثمان والمصران كالبلد الواحد ولبعض القبائل جماعات في كل منهما ، فلما كان الشغب أيام عثمان أسهم العراقيون فيه ، وآلت الأمور الى قتل الخليفة والفتن المتلاحقة بعد . وكان أن انضم البصريون في وقعة الجمل الى عائشة وطلحة والزبير ، وانضم الكوفيون الى علي ، وكانت الملاحمة بينهما ، واستحر القتل ، وكان لكل فريق مجزرة هائلة في الفريق الآخر .

فن ثم العداوة والتخاصم والتنافس بين البلدين . فلما انقضى عهد القلاقل خلف في أذهان الفريقين قصصاً وأدباً وشعراً ووقائع تذكر بالفخر تارة وبالوجيعة تارة أخرى^(١)

(١) انظر اخبارها في معجم البلدان لياقوت ، وفي كتاب البلدان للهمداني ففيها طرائف ، وانظر على سبيل التمثيل ابيات اعشى همدان ينتصر =

فهذا ما ولدت العصبية والتنافس بين وفود الفريقين ورجالاتهم في
الأسفار ومجالس الأمراء.

ولئن كانت أحداث سياسية خاصة هي المفرقة قديماً ، أنها تطورت
مع الزمن وتحول اتجاهها ، حتى تبلورت في عصية للبلد ^(١) وثبتت عليه
كما نجد انماطاً من ذلك في مثل كتاب البلدان للهمداني ، بل ان بعضهم
كان يؤلف في مفاخر بلده كما فعل الهيثم بن عدي الكوفي (٢٠٩ —)
فألف كتابه (فخر أهل الكوفة على أهل البصرة) ^(٢) .

= للكوفة على البصرة :

اكسع البصري إن لا قبته	إنما يكسع من قل وذلل
واجعل الكوفي في الحيل ولا	تجعل البصري إلا في النفل
وإذا فاخرتموا فاذكروا	ما صنعنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عثونه	وفى أبيض وضاح رِفْل
جاءنا بخاطر في سابعة	فدبحناه ضحى ذبح الجمل
وعفونا فنسيتم عفواً	وكفرتم نعمة الله الاجل

كسعه : ضربه به صدر قدمه على مؤخره - الرفل : المتبختر ، الكثير
اللحم - السابعة : الدرع الطويلة . وانظر في ذلك كتابنا (عائشة والسياسة) .

(١) قال الجاحظ في كتاب (البلدان) وقد ذكر فضل البصرة ورجالها :

وفينا اليوم ثلاثة رجال لغويون ليس في الارض مثلهم ، ولا يدرك مثلهم -
يعني في الاعتلال والاحتجاج والتقريب - ابو عثمان المازني والثاني العباس بن
الفرج الرياشي ، والثالث ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن الزبادي . وهؤلاء
لا يصاب مثلهم في شيء من الأمصار .! وكتب كتابه هذا في شهر ربيع
الاول سنة ٢٤٨ هـ - من انباء الرواة ٢٤٨/١ .

(٢) إرشاد الأريب ٣١٠/١٩ .

المدافعة عن اسباب العيش أولاً وقبل كل شيء ثم العصبية للبلد لا للسياسة (عاملاً ثانوياً) هما اللذان لوتنا الخلاف النحوي ولم يوجداه ، لوتناه بشيء من العنف رأيت أنماطاً منه في المناظرات التي مرت بك ؛ وفي مثل قول اليزيدي يمدح نحوي البصرة ويهجو الكسائي واصحابه :

باطال النحو ألا فابكه	بعد ابي عمرو وحما
وابن ابي إسحاق في علمه	والزين في المشهد والنادي
عيسى وأشياء لعيسى ، وهل	يأتى لهم دهر بأنداد
هيئات ، إلا قائلًا عنهم	أرسوا له الاصل بأوتاد
فهو لمنهاجهم سالك	لفضلهم ليس يجحد
ويونس النحوي لاتنسه	ولا (خليلًا) حية الوادي
وقل لمن يطلب علماً : ألا	ناد بأعلى شرف ناد :
وياضعة النحو به مغرب	عنقاء أودت ذات إصعاد
افسده قوم وأزروا به	من بين أغتام واوغاد
ذوي مرأ وذوي لكنة	لثام آباء واجداد
لهم قياس احدثوه هم	قياس سوء غير منقاد
فهم من النحو - ولو عمرتوا	اعمار عاد - في (ابي جاد)
اما الكسائي فذاك امرؤ	في النحو حار غير مرتاد
وهو لمن يأتيه جهلاً به	مثل مراب البيد للصادي ^(١)

(١) أخبار النحويين البصريين ص ٤ - رجل أغتم من قوم أغتام : لا يفصح . الحار : الحائر . (ابي جاد : أنجد ، هوزالغ) يريد أنهم لا يتجاوزون أول العلم لضعف استعدادهم كما أن الصبي في الكتاب أول ما يتعلمه حروف (أنجد هوز) .

وهجا المبرد البصري ثعلباً الكوفي بقوله :

أقسم بالملتسم العذب ومشتكى العصب الى العصب
لو أخذ النحر عن الرب ما زاده إلا مى القلب

فتمثل ثعلب :

بشتني عبد بني مسع فضنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتماري له من ذا يعص الكلب إن عضا^(١)

وأراد ثعلب هذا أن يقرأ على المبرد البصري، فأنكر عليه أصحابه الكوفيون وقالوا : « مثلك لا يصلح أن يمضي الى بصري فيقال غداً : إنه تلميذه^(٢) » ، فاستجاب لهم عصية وحرّم نفسه الخير .

لكن ختته (زوج ابنته) أحمد بن جعفر الدينوري لم يبال ذلك ، فكان يخرج من منزل ثعلب وهو جالس على باب داره ، فيتخطاه ويتخطى أصحابه ، ويتوجه الى المبرد ومعه محبرته ودفتره ليقرأ عليه كتاب (سيبويه) ، وكان ثعلب يعاتبه في ذلك ويقول : « اذا رآك الناس تمضي الى هذا الرجل وتقرأ عليه ، يقولون ماذا؟ » فلم يكن يلتفت الى قوله^(٣) .

(١) ترجمة ثعلب في بغية الوعاة ص ١٠٣ .

(٢) إرشاد الأريب ١١٥/٥ ، ثم ذكر ياقوت أن ابن الأنباري أورد هذه القصة ليرفع من ثعلب والكوفيين عصية ، فوضع منهم .

(٣) انظر ترجمته في إنباء الرواة للقفطي (٣٣/١) وبغية الوعاة للسيوطي .

وما بلغت العصية والنضال عن أسباب الرزق بين الفريقين مدى
سافراً هذا السفور الذي تراه في الخبر الآتي :

« لما أصاب الكسائي الوضع (البرص) كره الرشيد ملازمته وأولاده
فأمره أن يختار لهم من ينوب عنه ممن يرضاه ، وقال : « إنك كبرت ،
ولسنا نقطع راتبك ، فدافعهم خوفاً أن يأتيهم برجل يغلب على موضعه ،
إلى أن ضيق الأمر عليه وشدّد ، وقيل له : « إن لم تأت برجل من
أصحابك اخترنا لهم من يصلح » ، وكان بلغه أن سيبويه يريد الشخص
إلى بغداد والأخفش ، فقلق لذلك ، وعزم على أن يدخل عليهم من
لا يخشى غائلته ، فقال لعلي الأحمر : « هل فيك خير ؟ » قال : « نعم »
قال « قد عزمت على أن أستخلفك على أولاد الرشيد » فقال الأحمر :
« لعلي لا أفي بما يحتاجون إليه ! » فقال الكسائي : « إنما يحتاجون كل
يوم إلى مسألتين في النحو ، وثلثتين من معاني الشعر وأحرف من اللغة ،
وأنا ألقنك (ذلك) كل يوم قبل أن تأتيهم فتحفظه وتعلمهم »
وكذلك كان ^(١) .

هذا ومن الخير ألا نغفل هنا خبراً يرد الأمور إلى نصابها فيما عرف

(١) بغية الوعاة ص ٣٣٤ عن إرشاد الأريب . وقد اعترض أصحاب الرشيد
وقالوا (إنما اخترت رجلاً من أهل التوبة (الجند) وليس متقدماً في العلم) ،
فدافعهم وشهد له . ولم يزل الأحمر يتعلم من الكسائي ويعلم أبناء الرشيد حتى
صار مع طول الأيام محوياً وقد اتحفنا هذا الخبر بنموذج من برامج التعليم
الخاص يومئذ .

عن بعض الكوفيين من أعمال علمية ، فقد قال سعيد بن مسعدة الأخفش
« سألني الكسائي أن أؤلف له كتاباً في (معاني القرآن) فألفت كتابي
في المعاني ، فجعله إماماً لنفسه ، وعمل عليه كتاباً في المعاني ، وعمل
الفراء كتابه في المعاني عليهما »^(١) وقد مر بك الخبر آنفاً . وتحفظ
كتب الأخبار حادثاً صريحاً في استغلال نفوذ الحكم لنصرة الكوفة على
البصرة يرويه أبو حاتم ، قال :

« قدم علينا (بالبصرة) محمد بن مسلم الكوفي عاملاً على الخراج والصدقات ،
فصرت إليه مسلماً فقال لي : « من علماءكم بالبصرة ؟ » فقلت :
« المازني من أعلمهم بالنحو ، والرياشي من أعلمهم باللغة ، وهلال الرأي من
أفقههم ، وابن الشاذكوفي من أعلمهم بالحديث ، وابن الكلبي من أعلمهم بالشروط ،
وأنا أنسب إلى علم القرآن . » فقال لكتابه : « اجمعهم في غد » .
فلما اجتمعنا قال : (أيكم المازني ؟) فقال أبو عثمان : (هأنذاك أصلحك
الله) فقال : (ما تقول في كفارة الظهار : يجوز فيه عتق غلام أعور ؟)
فقال له : (أصلحك الله ، وما علمي بهذا ؟ [هذا] يحسنه هلال الرأي .)
فالتفت إلى هلال الرأي فقال : (أرايت قول الله عز وجل : (يا أيها الذين
آمنوا عليكم أنفسكم^(٢)) بم انتصب هذا الحرف ؟) فقال : (اعزك الله ، أنا
لا أحسن هذا ، إنما يحسنه الرياشي) .

فقال : (يا رياشي كم حديثاً روى ابن عون عن الحسن ؟) فقال :
(أصلحك الله ، هذا يحسنه ابن الشاذكوفي) .

فالتفت إلى ابن الشاذكوفي فقال : (كيف تكتب كتاباً بين رجل وامرأة

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ٧١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ١٠٥ .

أرادت مخالفته على إبرائه من صداقها ؟) فقال : (اعزك الله ، هذا يحسنه ابن الكلبي) .

فقال لابن الكلبي : (من قرأه ألا انهم تَشْتَنُونِي صدورهم^(١)) ؟ فقال : (اعزك الله هذا يحسنه ابو حاتم) .

فقال لأبي حاتم : « كيف تكتب كتاباً الى امير المؤمنين نصف فيه خصاصة اهل البصرة وما جرى عليهم العام في ثمارهم ؟ » فقلت له : « اعزك الله ، لست صاحب بلاغة وكتب ، إنما أنسب الى علم القرآن » .

فقال : « انظر اليهم قد افنى كل واحد منهم ستين سنة في فن واحد من العلم حتى لو سئل عن غيره لساوى فيه الجاهل ؛ لكن عالمنا بالكوفة لو سئل عن هذا كله اصاب » يعني الكسائي « ١٠١ - المصون للعسكري ص ١٣٢ .

أثرت العصية ما رأيت فيما كان بينهم ، اما النحو نفسه فلم يتأثر بشيء من ذلك ، وإنما حمل طابع العلماء انفسهم في التفكير والتنسيق سعة وضيقة ونظاماً ولبلة .

ولما تقدم الزمن ، واستوى عند الحكام نحويو البصرة ونحويو الكوفة ، غاب السبب الأول ، وبقيت العصية للبلد تخالط بعض النفوس حتى صرت ترى العالم الذي ينبغي أن يتزهد عن العصية في العلم - ولو بعد ذهاب أسبابها المادية على الأقل - تداعبه هذه النزعة ،

(١) سورة هود الآية ٥ . وهذه هي قراءة ابن عباس وعلي بن الحسين وولديه زيد ومحمد ، وبجاهد وابن يعمر ، ونصر بن عاصم ، والجدري ، وابن ابي اسحاق وغيرهم . والكلمة مضارع اثبتوني على وزن (افعلعل) ، وقراءة الامصار اليوم : (يَشْتَنُون) .

فيجمع بين شيئين متنافرين لا لسبب الا أنها نبتا في بلد يعزه . وأنا أقدم لك نموذجاً لهذه الظاهرة: الخليل بن احمد السجزي القاضي المتوفى سنة (٣٧٨ هـ) ، فقد كان حنفياً في الفقه و كوفياً في النحو ، وفاخر بذلك يقول :

سأجعل لي النعمان في الفقه قدوةً وسفيان في نقل الأحاديث سيّداً
وأجعل في النحو الكسائي قدوةً ومن بعده الفراء ما عشت سرمداً
وان عدت للحج المبارك مرة جعلت لنفسي كوفة الخير مشهداً^(١)
ومن كان حنفياً فأشبهه مذاهب النحو بالمذهب الحنفي مذهب البصرة
لإحكام القياس فيه، ولكنه الميل النفسي الشديد الى الكوفة، والولوع
بكل ما أنتجت حدّوا القاضي على ان يكون كوفياً في النحو والفقه
والحديث مهما تنافرت اصول هذه الفنون في الكوفة .

وقد كان لهذه العصبية شيء من (رد الفعل) عند العلماء جعلهم يشكون في كل ما ينقل من علم كوفي : هذا ابو حاتم السجستاني يسمع تغالي الكوفيين في حمزة الزيات - احد قراء الكوفة - فيسأل عنه ابا زيد والأصمعي ويعقوب الحضرمي وغيرهم من العلماء ، فيُجمعون على انه لم يكن شيئاً ، ولم يكن يعرف كلام العرب ولا النحو ولا كان يدعي ذلك قال ابو حاتم : « وانما اهل الكوفة يكابرون فيه ويباهتون ، فقد صيره الجهال من الناس شيئاً عظيماً بالمكابرة والبهت ،

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر (مطبعة روضة الشام) ١٧٣/٥ .

وقول ذوي اللحي العظام منهم : « كانت الجن تقرأ على حمزة ،
وكيف يكون رئيساً وهو لا يعرف الساكن من المتحرك ، ولا
مواضع الوقف والاستئناف ، ولا مواضع القطع والوصل والهمز؟
وانما يحسن هذا اهل البصرة ، لأنهم علماء بالعربية ، قراء رؤساء »^(١).
وكان يكفي أن يشوب علم العالم أو تأليف الكتاب أخذ عن
الكوفيين حتى ينبز بذلك عند النقاد^(٢) .

والظاهر أنه كان بين أهل البلدين فيما بعد ، تنكيت وإرسال قصص
وأخبار يحمل فيها أهل البلد على أهل البلد الآخر ، وراجت هذه
النكات — على نحو ما نرى اليوم بين بلدين متجاورتين كحمص وحماة
في الشام — وزاد هذا الأمر حتى استحق أن تؤولف فيه المؤلفات ،
فهذا ابن حبان البستي (٣٥٤ -) على جلالة قدره يؤلف كتاباً في عشرة
أجزاء في (ما أغرب الكوفيون عن البصريين) ، وكتاباً في ثمانية
أجزاء في (ما أغرب البصريون عن الكوفيين)^(٣)
تستطيع بعد هذا البيان أن تطمئن الى شيئين :

(١) مراتب النحويين ص ٢٧ .

(٢) انظر كلامهم على أبي عبيد القاسم بن سلام وعلى كتابه المشهور
(الغريب المصنف) — مراتب النحويين ص ٩٣ .

(٣) معجم البلدان : (مادة بست) . ولم أطمئن الى كون هذين الكتابين
في الخلاف النحوي ، اذ لم ينقل عن ابن حبان تأليف في النحو ولا تصديره لتدريسه ،
أما الاخبار فله بها ولوع وله فيها تأليف .

١ - ليست السياسة عاملاً في تكوين النحو الكوفي على ما كان عليه .

٢ - إن الصورة التي في نفوس الناس قديماً وحديثاً عن حدة التجاذب والتدافع بين النحو الكوفي والنحو البصري مبالغ فيها .

٥ - كتب المنهرف

عرفت أن النحاة - والبصريين منهم خاصة - قد انتزعوا علل النحو من كتب محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة بالملاطفة والرفق (ص ١٠٠) . فاعلم الآن أن منهم من ألف في الخلاف بين النحاة ، على نمط ما صنع الفقهاء في كتبهم التي ألفوها في الخلاف بين الحنفية والشافعية ، وهذا ابن الأنباري يقول في مقدمة كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف) بصراحة :

«... سألوني ان ألخص لهم كتاباً لطيفاً يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة ، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة ، ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب ، وألف على هذا الأسلوب ، لأنه ترتيب لم يصنف عليه احد من السلف ، ولا ألف عليه احد من الخلف ... واعتمدت في النصرة على ما أذهب اليه من مذهب اهل الكوفة او البصرة ، على سبيل الإنصاف لا التعصب والإسراف ...»

ومكذا تجد تأثير العلوم الدينية واضحاً بارزاً في علوم اللغة كلها
مادتها ومنهجها . وإذا رجعت الى كتاب الاقتراح للسيوطي وجدتهم
يصرحون تصريحاً سافراً ايضاً بأنهم وضعوا للخلاف في النحو وللمناقشات
مسائله أصولاً كأصول الخلاف بين الشافعية والحنفية .

أقدم من ألف في الخلاف ، فيما علمت ، احمد بن يحيى ثعلب الكوفي
(- ٢٩١ هـ) ، ولم نعرف هل أداره على أصول الخلاف الفقهي أو لا ،
وأي كان فإليك ما عثرت عليه من أسماء الكتب التي ألفت في الخلاف ،
مرتبة على وفیات أصحابها :

١ - اختلاف النحويين - ثعلب (- ٢٩١) .

٢ - المسائل على مذهب النحويين بما اختلف فيه البصريون
والكوفيون^(١) - لابن كيسان (- ٣٢٠) وقد ردّ فيه على ثعلب .

٣ - المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين - لأبي جعفر النحاس
(- ٣٣٨)^(٢) . وقد ردّ فيه على ثعلب .

٤ - الرد على ثعلب في (اختلاف النحويين) لابن درستويه
(- ٣٤٧) .

(١) في بغية الوعاة : (ما اختلف فيه البصريون والكوفيون) فأثبتنا
الامم كاملاً من الفهرست لابن النديم .

(٢) بغية الوعاة وإرشاد الأريب ٢٢٨/٤ ، وفي بغية الوعاة : (المبتج في
اختلاف البصريين والكوفيين) .

- ٥ - كتاب الاختلاف لعبيد الله الأزدي (٣٤٨) .
- ٧،٦ - الخلاف بين النحويين للرماني (٣٨٤) . وله كتاب آخر
أخصر هو (الخلاف بين سيبويه والمبرد) .
- ٨ - كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين لابن فارس (٣٩٥)^(١) .
- ١٠،٩ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين
لأبي البركات الأنباري (- ٥٧٧) وقد طبع . وله كتاب آخر في
الخلاف، اسمه : (الواسط) ، ذكره ابن الشجري في أماليه ونقل منه .
(انظر ٢/١٢٠، ١٤٨، ١٥٤) من الأمالي لابن الشجري .
- وقد استدرك ابن إياز على ابن الأنباري مسائل خلافة كثيرة فاتته
في كتابه (الإسعاف) الآتي ذكره قريباً .
- ١١ - التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين^(٢) لابي
البقاء العكبري (- ٦١٦) .

(١) ارشاد الارب ٨٤/٤ وذكر في بغية الوعاة بامم (اختلاف النحاة) .
(٢) في بغية الوعاة (التعليق في الخلاف) . وقد رأيت هذا الكتاب
مخطوطاً في دار الكتب المصرية وهو رسالة صغيرة في ١٨ ورقة ضمن مجموع رقمه
(نحوش ٢٨) أوله : هذا كتاب مسائل خلافة في النحو تكلم فيها باختصار
على ١٤ مسألة .

١٢ - الإسعاف في مسائل الخلاف - لابن إياز (- ٦٨١)^(١)
والظاهر أن هناك كتباً كثيرة في الخلاف ، وأنه كانت له ضجة في
المجالس والبيئات العلمية ، وكان التعصب على أحد الفريقين بادياً في بعض
هذه الكتب ، ولذا استدرك صاحب (الإنصاف) الذي قدمت لك فقرة
من مقدمته محترساً بقوله (على سبيل الإنصاف لا التعصب والإسراف) .
٦ - بعد المذهب البصري والمذهب الكوفي

كانت بغداد حاضرة الخلافة العباسية هي السوق التي كان يروج فيها
العلم والأدب ، فكان يرتحل إليها العلماء من الأقطار كافة ، كل يحمل
إليها طابع بلده الخاص ، أو بتعبير آخر مدرسة بلده في الفن المختص به ،
فالتقت لكل علم وفن ألوان وطوابع مختلفات ، احتكت وتمازجت
وكان منها ألوان جديدة مطبوعة بالسمة البغدادية العامة . وذلك
ما كان في النحو ، فقد نشر الكوفيون فيها نحوهم وقصدها نخبة بصريون
أيضاً ، ونشأت طبقة جديدة في بغداد اختارت من المذهبين وكونت
ما عرف بالمذهب البغدادى الذي أرخه ووصفه أبو الطيب اللغوي
بهذه الكلمات الموجزات :

(١) ومن تكلم على الخلاف ولم يخصص له كتاباً مستقلاً أحمد بن جعفر
الدينوري (- ٢٨٩ هـ) ختن ثعلب وقد مر ذكره ص ٢٢٠ فذكروا أنه ألف
كتاباً في النحو سماه « المذهب » وذكر في صدره اختلاف الكوفيين والبصريين
وعزا كل مسألة إلى صاحبها ، ولم يعقل لواحد منهم ولا احتج لمقائلته ، فلما أمعن
في الكتاب ترك الاختلاف ونقل مذهب البصريين - إنباء الرواة ٣٤/١ وبذلك
يكون أول الخائضين في هذا الموضوع وفاة من ذكرناهم .

« فلم يزل أهل المصرين على هذا حتى انتقل العلم الى بغداد قريباً ،
وغلب أهل الكوفة على بغداد ، وحدثوا الملوك ، فقدموهم ، ورغب
الناس في الروايات الشاذة ، وتفاخروا بالنوادير ، وتباهوا بالترخيصات ،
وتركوا الأصول ، واعتمدوا على الفروع ، فاختلط العلم »^(١)

وما أصدق ما قال هذا اللغوي الحلبي في تصوير الحال . ولما عرض
أبو الطيب لأشهر أعلام المذهب البغدادي ، وهو ابن قتيبة ، نقده بما
لا يخرج عما تقدم فذكر الذين أخذ عنهم ، ثم قال : « إلا أنه خلط
بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات . وكان يتسرع في
أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو ، و كتابه في تعبير
الرؤيا ، و كتابه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله و(عيون
الاخبار) و(المعارف) و(الشعر والشعراء) ونحو ذلك مما أزرى به
عند العلماء ، وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له »^(٢)

وقد عقد ابن النديم لهذه الطبقة باباً عنوانه (من خلط بين المذهبين)
عد منهم ابن قتيبة (- ٢٧٠) وأبا حنيفة الدينوري (- ٢٩٠) وابن كيسان
(- ٣٢٠) ومحمد بن أحمد بن منصور الوراق (- ٣٢٠) ونفطويه

(١) مراتب النحويين ص ٩٠ وانظر فيه أيضاً ص ١٠١ حيث يقول :
« بغداد مدينة ملك وليست بمدينة علم . وما فيها من العلم فنقول اليها .. الخ » .
(٢) المصدر السابق ص ٨٥ .

(٢٢٣-) ^(١) . وتستطيع ان تزيد على هؤلاء : سليمان الحامض (٣٠٥-)
وأبا علي الأصفهاني الملقب بـ (لغدة) ، وابن السراج (٣١٦-) ،
وأبا بكر بن الحياط (٣٢٠-) وأبا عبد الله الكرمانى (٣٢٩-) وكلاب
ابن حمزة العقيلي وغيرهم . وللكشي كتاب (تخليط المذهبين) . والطابع
البصري أغلب على المذهب البغدادي في الجملة كما هو الشأن في بقية
الأمصار . ولا عجب في ذلك فإن الأصالة التي فيه فرضت نفسها كما
يقولون ، وكان ما أخذ من المذهب الكوفي مسائل اتجهوا فيها اتجاهاً
أصح وأيسر .

وكان للنحو في الأندلس نشاط ملحوظ مرَّ بشبه الخطوات التي
سارها في المشرق ، بدأ علماء العربية يدرسون النصوص الأدبية شعراً
ونثراً دراسة فيها لغة وأدب ونحو وحديث وقرآن ، ثم بدأت
الفنون تتميز مع الزمن ، وكان أول كتاب دخل الأندلس من كتب

(١) الفهرست ص ١١٥ وقال ابن النديم : كان ابن قتيبة يغلو في البصريين
إلا أنه خلط بين المذهبين ، وحكى في كتبه عن الكوفيين وكان صادقاً فيما
يرويه عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه ، والشعر والفقه ، كثير
التصنيف والتأليف وكتبه في الجبل مرغوب فيها . هـ .

وما أصدق ما قال مقدم كتابه (المعاني الكبير) : ابن قتيبة أول من جمع
بين مذهبي الكوفيين والبصريين ، ولا يقوم لذلك إلا من اتقن المذهبين وعرف
الاصول التي تبني عليها العلل والمقاييس عند الفريقين . هـ - (هـ) مقدمة الكتاب
(طبعة حيدرآباد . وانظر في فهرست ابن النديم ترجمة نبطويه أيضاً .

النحو كتاب الكسائي^(١)، ثم كتاب سيويه ؛ فلما دخل كتاب سيويه عكف عليه الأندلسيون دراسة وحفظاً ، واشتهر بحفظه عدد منهم ثم تولوه تدريساً وشرحاً وتعليقاً . فطبع نحو الأندلس بالطابع البصري في أغلب مسائله ثم بدأ الأندلسيون محاولاتهم في التأليف وعرف من أعلامهم أبو علي القالي مؤلف (الأماي) و (البارع) و (فعلت وأفعلت) و (المقصور والممدود) ، ثم ابن القوطية صاحب كتاب (الأفعال) ، وكانت أذيع كتب النحو على أيام ابن حزم في المئة الخامسة تفسير الحوفي لكتاب الكسائي « وتتابع علماء الاندلس من شرح كتب المشرق المشهورة وشرح شواهداها ، واشتهر من نحاتهم في المئة السابعة ابن خروف (٦٠٢-) وابن عصفور الإشبيلي (٦٦٢-) والإشلويني ، بعد البطليوسي (٥٢١-) وابن الطراوة والسهيلى (٥٨٣-) من أعلام المئة السادسة .

وكان خاتمة علماء الأندلس اثنان رزقا الشهرة ورحلا الى المشرق فبنا علمهما فيه وكثرت تواليتهما وكتب لها الذبوع حتى عصرنا هذا ، عنيت الإمام ابن مالك الجباني صاحب الالفية والإمام ابا حيان الغرناطي صاحب التفسير الكبير (البحر) و (الارتشاف) في النحو .

(١) انظر تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٨٥ وما بعدها. أدخله جودي بن عثمان العيسى الموروري الطليطل الأصل، رحل الى المشرق وأخذ عن الكوفيين الرياشي والفراء والكسائي ، مات سنة ١٩٨ هـ - بغية الوعاة ص ٢١٤ .

عكف علماء الاندلس إذاً وطلابهم على كتب البصريين والكوفيين
فدرسوها واختاروا منها ، وتكون لهم مذهب خاص^(١) كانوا فيه
الى مذهب البصريين أميل ، وكذلك كان أكثر العلماء الوافدين عليهم
من المشرق^(٢) او النازحين اليه منهم لطلب العلم . وهكذا كان رأس
العلوم عندهم النحو والشعر . ويتحدث عن نزعتهم هذه ابن سعيد فيقول
« النحو عندهم في نهاية من علو الطبقة »^(٣) .

فلما نزح متأخروهم بعد النكبة ، بعضهم الى المغرب وبعضهم الى
الشام ومصر ، نشروا علمهم في هذه الأقطار ، وكان مذهبهم كذلك
بصرياً في أكثره . الى أن جاء ابن مالك ثم ابن هشام الانصاري
فجددا في النحو بعض التجديد ، وكانا يميلان الى التوسعة ، فرجحا في
بعض المسائل أقوال الكوفيين حين رأيا الرواية الصحيحة تؤيدهم . ولم
يتعبدا بأقوال البصريين^(٤) ، واستشهدا بالحديث ، فكانا مجتهدين الى حد ما ،

(١) انظر تراجم اعلامهم ، مثلاً ابن الوزان القيرواني (- ٣٤٦) ذكروا
أنه اعلم من المبرد وثعلب وأنه بصري المذهب مع علمه بمذهب الكوفة ،
وأن له أوضاعاً في النحو واللغة . - انظر ترجمته في (إنباء الرواة للقفطي)
١٧٢/١ - ١٧٥ .

(٢) في ترجمة ابي علي القالي الوافد على الاندلس والذي أملى في جامع
الزهراء بقرطبة كتابه العظيم « الامالي » أنه أظهر فضل البصريين على الكوفيين
ونصر مذهب سيبويه على من خالفه من البصريين . انظر إنباء الرواة ٢٠٥/١ .

(٣) تاريخ آداب العرب للرافعي ٣/ ٣٣٠ .

(٤) كلمة ابي حيان - الاقتراح ص ١٠٠ .

ذوي أثر بالغ في الدراسات النحوية ، وما زالت كتبها تدرس حتى الآن في معاهد العلم ، وخدمت بشروح وحواش وتقارير كثيرة . وكانت تضم البلدة الواحدة نخاةً من منازع مختلفة ، يطغى عليها أحياناً مذهب أهل البصرة ، وأحياناً مذهب الكوفة ، تبعاً لنزعة العالم ذي الأثر فيها ، فهذه حلب ضمت عالمين في زمن واحد : ابن جني رأس مدرسة القياس الذي كان لمدرسة البصرة إمامها الأعظم ، وابن خالويه الكوفي المنزع صاحب كتاب (ليس في كلام العرب) ، الذي اتبع فيه السماع نافعياً من اللغة ما جوزه (فلسفة) نخاة البصرة ، وبعدهما كان في الشام المعري الذي كان واسع الرواية سماعياً الى أبعد حدود السماع ، يضيق بنحو البصرة الذي كان في أيامه ممتلئاً بالجدل والقياس والتعليل ^(١) وهذه النزعة ظاهرة في كتبه كل الظهور ، وحسبك أن تلم برسالة الغفران لترى نقمته على البصريين خاصة ^(٢) .

هذه سطور موجزة ألمت فيها بحركة الخلاف بعد البصريين والكوفيين ، لا مجال فيها لتفصيل ما ، لأن ذلك من تاريخ النحو لا من أصوله .

(١) انظر في ذلك بحثاً قيماً للاستاذ ابراهيم مصطفى نشره في المهرجان الالفي لابي العلاء المعري من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ص ٦٣٢-٣٧٤ .
(٢) الظاهر أن مذهب الكوفة انتعش في الشام حيناً من الدهر ، وعله ذلك عندي اعتماده على كثرة الرواية والسماع . والشاميون « أثريون » الى حد بعيد يحترمون السماع عن العرب كثيراً ، فيهم أنحصب علم القراءات وهو =

.....

= سماع محض ، ولا تنس أن أكثر أئمة البصرة والكوفة هم قراءه أيضاً ، وعندما
أخصب فن الحديث وهو أيضاً سماع محض وبقي حياً نشيطاً الى زمن قريب ،
عنوا عناية بالغة به وبسماعاته وطبقات رجاله وإحصاء طرقة ، ونبغ فيهم كبار
الأئمة فيه ، ولا تزال دار كتبهم الظاهرية بدمشق أغنى مكتبات الدنيا اليوم
في فن الحديث ، وكثير من مخطوطاتها بمخطوط مؤلفيها المحدثين أنفسهم لا يداينها
في ذلك مكتبة في العالم . وفيها عدة دور « مدارس » للحديث والقراءات
القرآن . نزعة عرفوا بها ، واستأنس اذا شئت بهذه الجملة قرأتها أخيراً في كتاب
(تاريخ العرب قبل الاسلام) للباحث الفاضل جواد علي :

« يغلب على التلمود الفلسطيني طابع التمسك بالرواية والحديث ، وأما
التلمود البابلي فيظهر عليه الطابع العراقي الحر وفيه عمق التفكير وتوسع في
المحاكمة وغنى في المادة ، وهذه الصفات غير موجودة في التلمود الفلسطيني ، ٢٤/١ .
ومهما نظن من أثر حلب البلد في هذا الكلام فما ذلك بمانعك الاستئناس به الى
حد ما ، ولولا عزوفي عن التعميم وإطلاق الاحكام لشدت به ما أذهب اليه
من أثرية الشاميين بعد التثبت من صحة الحكم .

الخاتمة

في صدور المشتغلين بالعربية وعلومها اليوم يقين بأن في قواعدها شيئاً من البلبلة والتداخل والتطويل ، وفي آرائهم إجماع على وجوب الإصلاح والتنسيق ، وفي قلوبهم إيمان بإمكانه بل بيسره وسهولته .

ويحق لقارئ هذا الكتاب بعد أن ألم بطرف من صنيع الاقدمين أن يتساءل : ما صنعنا نحن لأنفسنا وللفتنا بعد أن مهدوا لنا الطريق ؟ ، هل تقدمنا بها الى الامام ولدينا من موافاة الاحوال ما لم يكن لديهم ؟ ،

مكتبات عامة وخاصة تزخر بالكتب مخطوطة ومطبوعة ، ووسائل للنشر والتعميم واسعة مختلفة ، ولجان في كل بلد ، فنية رسمية ذات فروع في كل ميدان من ميادين الاختصاص ، ومجامع تسمى علمية ، وجامعات ونواد وجمعيات ، وحكومات تمد جميع هذا بالمال والسلطان ... ثم لاشيء

ذا بال وراء ذلك كله ، حتى الرسم الاملائي وهو اصطلاح محض ما استطعنا
الاتفاق فيه على وجه من الوجوه المتعددة الجائزة ، لتتخذ قاعدة في مدارسنا
الابتدائية على الاقل (١) .

(١) كنا عشرين عضوا في لجنة امتحان الشهادة الابتدائية سنة ١٩٣٠ ،
وكان النظام يقضي بحسم علامتين من عشر على كل حرف يرسم خطأ ، فاذا أخطأ طالب
في خمس كلمات قال صفراً وحرم الشهادة عامه ذلك ، ومع ان هذا النظام أثمر
أطيب الثمرات في حمل الطلاب ومعلمهم على العناية بقواعد الاملاء ، كان عيبه
الفادح أن القواعد نفسها عند المعلمين غير حاسمة على وجه واحد ، وأن روح
التنظيم كانت تلقى من كثير منهم عداء مرأ : فاذا رسم طالب (مصطفى)
هكذا بالألف واراد مصصح حسم المعلمين انبرى له زملاء يحتجون لها بمذهب
الفارسي ، واذا رسم همزة (يقرأون هكذا على ألف اعتذروا له بأن المطابع
المصرية ترسمها كذلك ، وإذا أسقط ألف (ابن) في غير موضع الاسقاط نبشوا
قولا يسوغ فعلته ، الخ فكان المرء الفطن الطارىء عليهم يحار بينهم في أمر
الرسم : ما الصواب فيه وما الخطأ ؟ ولا يجد القوم على بصيرة من أمرهم فيه .
وقل نحواً من هذا في أخطاء النحو والصرف .

ولم يؤث هؤلاء الشيوخ - رحمهم الله فقد مات اكثرهم - من كسل
أو جهل ، وإنما من انطباع على البلبلة وولوع بها الى حد الجنون : فقد ربوا على
حفظ الأقوال المختلفة في كل مسألة وعزوها الى أصحابها من غير الفكر فيها ومحاكمتها
بغية الوصول الى الحكم الفصل الذي تطمئن اليه النفس .

ونحو سنة ١٩٤٠ ألفت لجنة عليا لحسم النزاع الذي كان يحدث كل عام عند
تصحيح أوراق الامتحان ، وللإعتماد على وجه واحد في كل مسألة : فما أنصرف وضع
الخطئة على الانتهاء بعد نقاش طويل حتى قضى على المشروع كله قول قائل :
« وما سلطتنا نحن على بقية الاقطار العربية ؟ وأي جدوى في انفرادنا بهذا
الاصطلاح وحدنا ومطبوعات جيراننا تغزو طلابنا بما يخالفه ؟ »

وهكذا ترى حتى البلد الواحد لا يستطيع حزم أمره اذا أراد ، لأن اللغة
العربية ملك شائع بين البلاد كلها ، بل بين الازمان أيضاً اذا جاز هذا التعبير .

وصرفاً - ونحن أحوج مانكون الى الوقت في عصر الذرة والتأميم والعالمية
في كل شيء - نبدد أوقات الصغار والكبار في مناقشات طويلة لمسائل خلافية
ننتهي منها الى أن لكل وجهاً سائناً !! . وبذلك لم يحظ الرجل العادي ببعض
ما يجب أن يعود عليه من خير لقاء الاموال الطائلة التي تنفق على تلك المؤسسات



وبعد ، فاذا اردنا اليوم إعادة النظر في بناء القواعد العربية ، وجب ان
تجافى المآخذ التي أخذناها في مباحثنا السابقة على الاقدمين ، علينا أولاً أن نحدد هدفنا
من القواعد ، فاذا حددناه وضعنا أخصر المناهج وأوضحها وأسرعها في ابلاغنا إياها .
لا جرم أن الاحاطة بكلام قبائل العرب القديمة أمر لاسيل اليه اليوم ،
وأن تنسيق ما وصل إلينا منه على القبائل بدقة أمر متعذر الآن ^(١) ، ولا شك

(١) ولو أن الاقدمين فعلوا في اللغة ما فعله أبو عمرو الشيباني في الشعر لخدموا
خدمة جلي وأراحوا من بلبلة كثيرة ؛ فقد جمع أشعار العرب مصنفة على قبائلهم
وكانت نيفاً وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها الى الناس كتب مصحفاً
وجعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه - الفهرست ص ١٠١
ويظنون أن حماداً الراوية كان عنده شعر كل قبيلة ، يروي أبو الفرج
الاصفهاني أن حماداً قال :

« أرسل الوليد بن يزيد الي بئتي دينار وأمر يوسف بن عمر بمجلى اليه على
البريد ، فقلت : لا يسألني الا عن طرفيه قريش وثقيف ، فنظرت في كتابي
قريش وثقيف ، فلما قدمت عليه سألتني عن اشعار بللي فأنشدته منها ما أحسنه
النخ .. ، الاغاني ١٦٥/٥ .

والظاهر أن الادباء والعلماء ألفوا هذا النمط من الدواوين فلم يكن غريباً
عنهم ؛ فهذا شيخ المعرة في المئة الخامسة يكتب الى صاحبه وتلميذه ابي القاسم
التنوخى وكان استعار منه ديوان تيم اللات ثم أعاره ببغداد ، عبد السلام بن
الحسين البصري وطلب اليه رده الى صاحبه التنوخى - يقول من قصيدة :
سألته قبل يوم السفر مبعثه اليك ديوان تيم اللات ماليتا

في أننا اليوم نصطنع لغة فصحي يفهمها الرجل العادي فيما بين المغرب الاقصى
وخليج البصرة ، بل يفهمها كل من تعلم العربية من الاعاجم ، وأن لنا تراثاً
علمياً وادبياً ضخماً تحفل به المكتبات الخاصة والعامة في ديار الغرب والشرق ،
هذه واحدة ؛ أما الثانية فان لغة القرآن والحديث النبوي بوجه خاص ولغة
قريش بوجه عام هي الغالبة الشائعة ، نقرأها في الكتب قديمها وحديثها ، وفي
صحف اليوم ومجلاته وجميع إذاعاته العربية الصادرة في بلاد العرب او في البلاد
الاجنبية ، يستوي في ذلك أبناء العربية والذين شدوا منها شتياً من الاجانب
عنها . وأظن بعد ذلك ان الطريق واضح ، فعلياً اهدار كل لغة لانستعملها
نحن اليوم ولم تستعملها اللغة الشائعة في القرآن الكريم والحديث وكتب الادب
والتاريخ وسائر الفنون الحضارية التي خلفها أسلافنا ، ثم نؤسس قواعدنا على هذا
التراث الموثوق به والذي كفلت له اصالته الحياة ، نستقصي مفردات القرآن
وتراكيبه في جميع قراءاته ، ونعمن النظر فيما اطماننا الى صحة صدورهِ عن أهل
الصدر الاول من الحديث ، ثم فيما نظمنا اليه من نثر الأقدمين ثم نبني بعد هذا
الاستقصاء قواعدنا على ذلك كله متوخين أقصر الطرق وأسهلها ، والأشيع ثم
الاقبس فيما فيه لغتان فصيحتان ، وأنا واثق بعد ذلك أننا سنهدر ركاماً ضخماً
من قواعد وتقريعات واستثناءات بنيت على شاهد مجهول او لغية محرفة ، او
ضرورة شعرية ، ونهدر إزاءه مقداراً ضئيلاً لا يعتد به من خلاف اللهجات .
وتكون القواعد هذه اقرب الى روح العربية من القواعد القديمة التي أفقدها
انسجامها حشر النحاة فيها ما هب ودب بما لا يرجع الى نظام ولا يجمعه نسق .
وأكبر دليل على قولي انك تجد كثيراً من الأحكام التي ضخمت النحوي لم
يستعمله احد منذ دونت تلك الاحكام حتى الآن ، ولم يستعمله أحد قبل ذلك
الا نادراً في الشواهد التي أثبتوها إن صحت .

إعادة نظر في أسس النصوص الشائعة الموثوقة ، ومنهج علمي سهل في بناء
القواعد عليها كفيلاً بابلغا الهدف المنشود ، وربما أهدرت في سبيل ذلك بعض
لهجات عربية فصيحة هنا وهناك ، إلا أن ذلك إذا قيس الى مانستريح منه من
اكوام القواعد القديمة بدا غير ذي بال .

هذا ما نقتصره خدمة للفصيح وتيسيراً لنشرها اليوم ، فاذا تم ذلك اقتصدنا أكثر من نصف الوقت الذي يقضيه الطالب في المدارس لدراسة النحو، وانتفعنا به في الإكثار من دراسة النصوص الأدبية المختارة ، فذلك أعود على إحياء الفصيح ومملكة الطالب .

أما النحو الحاضر بطولاته وشروحه وحواشيه ، بقديمه وحديثه وتاريخه وطبقات أهله فيبقى موضوع الدرس والتثقف في المعاهد والكليات والجامع وعند أهل الاختصاص : يدرس مادة وتاريخاً وتطوراً ، على شرط تنسيقه على أساس الروح العلمية التي أملت إليها آتقاً : تحقق نصوص شواهد ، وتطبق بدقة أسس الاحتجاج بها ، ثم تدرس بعد استقراء الموجود منها على ما قدمت من تصنيفها ، ثم يبنى عليها أحكام صحيحة تستند إلى إحصاء الأحوال في هذه النصوص ، فتأخذ الأحكام المطردة من الأحكام الغالبة ، والأحكام القليلة من الأحكام النادرة ، وتنسب الالتهجات إلى أصحابها على قدر الامكان ، وتفرد ما أُلجأت إليه الضرورة الشعرية فلا يبعث بين الشواهد والأحكام بلبلة واضطراباً ، بل يعصف على حدة فللشعر رخصه الخاصة ، أو بعبارة أدق : نحوه الخاص ، كما له لغته الخاصة ووزنه الخاص .

★ ★ ★

الحاجة إلى الإصلاح ماسة ، والطريق إليه سالكة ، والأمور مواتية ، والشعوب العربية تنفق بسخاء ، والعاملون الأكفيا كثيرون ، وأكثر منهم الغير المخلصون .. ولكن فقدنا في الذين وضعهم الزمن أمام الاحتلال القذر في أعلى الحرم و وكل اليهم الخطوة الأخيرة ، أموراً ثلاثة : الوعي والإخلاص والمضاء ، فضاءت بذلك كل الجهود المبذولة ، شأنهم في ذلك شأن الحلقة العليا في السياسة وفي الدين وفي الاقتصاد .. الخ فحرمت الأمة ببلادة هؤلاء كل خير ، وذمبت جهودها وأموالها وأعمارها وحتى بعض بلادها أدراج الرياح ، وقد كانت على قاب قوسين من النجاح .

نسأل الله أن يمن عليهم جميعاً بهذه الثلاث : الإخلاص والوعي والمضاء .

مسرد الاعلام^(١)

للأفراد والجماعات والأماكن والكتب

أ	ابن الأثير ٣٥
آدم متز ٩٨ ١٣٦	، الأحمر = علي بن الحسن الأحمر
الآريون ١٤٢	، الأعرجي ١٤٧ ١٦٥ ٢٠٢ ٢٠٣
آل عمرو ٣٤	، الأنباري (أبو بكر) ٧ ١٢ ١٤
أئمة العربية ٢٠ ٢٣ ٢٩	٤٠ ٤١ ٦٠ ١٧٠ ١٩٦ ٢٢٠
إبراهيم بن عبد الرحمن الزبدي ٢١٨	ابن الأنباري (انظر: أبو البركات)
، ، عقيل القرشي ١٦٥	، إياز ٢٢٩
، ، هرمة ١٩ ٦٤	، برهان النحوي ١٦٦
، الحربي ١٥	، بري ٤٩
، الزجاج ٣٧ ١٣٩ ١٥٢	، جابر ١٧
١٩٣-١٩١	، جني ٧ ٨ ١٥ ١٧-٢٦ ٢٧
، مصطفى ٧٠ ١١٧ ٢٣٤	٣٣-٣٥ ٤٥ ٤٩ ٨١-٩٨
إبن أبي إسحاق = عبد الله بن أبي	١٠٠ ١٠٣ ١٠٤ ١١٢ ١١٣
إسحاق	١١٨ ١٢٨ ١٣٢ ١٣٦-١٣٨
إبن أبي عتبة ٣٥	١٤٤ ١٤٩ ٢٣٤
، ، عروبة ٥١	ابن الحاج ٥٤

(١) لا اعتبار لـ (ال) التعريف في هذا المسرد فابحث عن الحرف الذي بعدهما .
واشارة (=) تعني انظر .

ابن الطراوة ٢٣٢
 ، الطيب ٤٩ ٥٤
 ، عامر الدمشقي = عبد الله بن عامر
 ، عباس = عبد الله بن عباس
 ، عساكر ٨ — ١٣ ٥٦ ٥٧ ١٦٠
 ٢٢٤ ١٦١
 ، عصفور ٢٣٢
 ، عفان = عثمان بن عفان
 ، عون ٢٢٢
 ، فارس ٢١ ٤٩ ٦١ ٦٣ ١٣٤
 ١٦٤ ٢٢٨
 ، قادم الكوفي ١٤ ١٥ ١١٦
 ٢٠٢
 ، القاصح ٣٠
 ، قتيبة ٩ ١٠ ٧٤ ٨١ ٢٣٠
 ٢٣١
 ، القرية ١٠
 ، القوطية ٢٣٢
 ، الكلبي ٢٢٢ ٢٢٣
 ، كيسان ١١٧ ١٩٦ ٢٢٧ ٢٣٠
 ، مالك ٢٤ ٣٩ ٤٨ ٥٠ ٦٤ ٧٤
 ١٠٧ ٢٣٣ ٢٣٢
 ، معطي ٥٤
 ، مقسم العطار ٤٣

ابن حبان البستي ٢٢٥
 ، حجر ٦٧
 ، الحداد المصري ١٠٥
 ، حزم الاندلسي ٣٢ ١٠٧ ٢٣٢
 ، حيان = ابو حيان
 ، خالويه ١٢٨ ١٥٢ ٢٣٤
 ، الحجاز ٥٤
 ، خروف ٤٩ ٢٣٢
 ، خلكان ١٠٥
 ، الحياط = ابو بكر بن الحياط
 ، درستويه ١٠٩ ٢٠٧ ٢٢٧
 ، دريد ١٥٢
 ، الزبير الاسدي ٧٤
 ، السراج = ابو بكر السراج
 ، سعيد الاندلسي ٢٣٣
 ، السكيت = يعقوب بن السكيت
 ، سلام = عبد الله بن سلام
 ، سيد ٤٩
 ، سيرين ٥٦
 ، الشاذكوفي ٢٢٢ ٢٢٣
 ، شبرمة ٦١
 ، الشجري ٤٣ ١٧٩ ١٨٢ ٢٢٨
 ، شقير ١٩٦
 ، شنبوذ ٤٣

أبو جعفر التنوخي ١٩٥
 ، ، الرؤامي ١٦٧ ١٧٢-١٧٥
 ٢٧٧
 أبو جعفر المنصور ١٤
 ، ، النحاس ١٠٥ ١٥٢ ٢٢٧
 ، حاتم السجستاني ١٧٣ ١٧٥-١٧٨
 ٢٠٢
 أبو الحسن البوراني ١٠٣
 أبو الحسن الضائع ٤٩
 ، الحصين العنبري ٧
 ، حمزة الشاري ١٣
 ، حنيفة الدينوري ٢٣٠
 ، ، النعمان ٨٤ ١٠٠ ١٠٥
 ٢٢٤ ٢٢٦
 ، حيان (النحوي المفسر) ٢٤ ٣٧
 ٤٧-٤٩ ٥٠ ٥٤ ٦٤ ١٠٦
 ١٠٧ ٢٣٢ ٢٣٣
 أبو حيوة ٣٥
 أبو خالد النميري ٢٠٠
 ، خيرة الأعراي ١٩٨
 ، دثار ١٨١
 ، دواد (الابادي) ٢٥
 ، زرعة = روح بن زنباع
 أبو الزناد ١٢

ابن المنير الإسكندري ٤٤
 ، النديم ١٣٧ ١٥٣ ١٦١ ١٦٤
 ١٧١ ١٩٧ ٢٢٧ ٢٣٠ ٢٣١
 ، هرمة = إبراهيم بن هرمة
 ، هشام الانصاري ٥٠ ٦٢ ٦٥
 ٦٧ ٦٨ ٧٤ ١٨١ ٢٣٣
 ، الوارق ١١٧
 ، الوزان القيرواني ٢٣٣
 ، يعمر = يحيى بن يعمر
 ، الأبناء (الفرس) ١٤٧
 ، أبو الأسود الدؤلي ٨ ٩ ٣٣ ٣٤
 ١٦٠-١٧١ ١٧٣
 ، أبو البقاء المكبري ٢٢٨
 ، البركات بن الانباري ٧٨ ١٠١
 - ١٠٣ ١٤٠ ١٦٣ ١٦٤
 ١٦٦ ١٧١ ١٩٦ ٢٠٢ ٢١٣
 ٢١٥ ٢٢٦ ٢٢٨
 ، أبو بكر بن الانباري = ابن الانباري
 ، ، بن الحياط ١٩٦ ٢٣١
 ، ، السراج ١٥٢ ١٥٣ ٢٣١
 ، ، الصديق ٧
 ، أبو تمام = حبيب بن أوس
 ، أبو ثروان ١٨١
 ، الجراح ١٨١

أبو عمرو بن العلاء ٩ ٢٤ ٢٥ ٢٨ ٤٣
 ٤٨ ٤٩ ٥٩ ٦١ ٧٣ ٨٣ ٩٣
 ٩٩ ١٦٢ ١٦٥ ١٦٧ ١٧٣
 ١٨٣ ١٨٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢١١
 ٢١٩
 د عمرو الداني ٣٠
 د د الشيباني ١٦٥ ٢٣٨
 د الفرج الاصفهاني ٩ ١٦٢ ٢٣٨
 د فقص ١٨١
 د القاسم = الزجاجي
 د د التنوخي ٢٣٨
 د كرب ١٨٥
 د مسجل ٥٩
 د المطوق ١٨٤ ١٨٥
 د المغوار (أخو كعب الغنوي)
 ٦٦
 د موسى الأشعري ٧
 د د الحامض = سليمان الحامض
 د نصر الباهلي ١٥٢ ١٨٠
 د د الفارابي ٢١ ٢٢ ٢٤
 د نوفل بن أبي عقرب ١٦٦
 د مريرة ١٥
 د الوليد = محمد بن أبي أحمد
 الإتيان للسيوطي ٣٠

أبو زيد الانصاري ٩٣ ٩٩ ١٦٧
 ١٧٢ ١٩٨ ٢٠٢ - ٢٠٤ ٢٢٤
 د سعيد = الحسن البصري
 د سعيد السيرافي ٥٤ ٩٩ ١٦١
 ١٧١
 د الطيب = المتنبي
 د د اللغوي ١٦١ ١٧٣ ١٧٥ ٢٠٠
 ٢٢٩ ٢٣٠
 د العباس المبرد = محمد بن يزيد
 د د الناشء ١١٥
 د عبد الله الكرمانلي ٢٣١
 د عبيد البكري ١٥٢
 أبو عبيدة ١٦٨ ١٦٩ ١٧٣ ١٩٨
 ٢٠٤
 د عثمان المازني ٣٧ ٨٠ ٨٧ ١٨١
 ١٨٧ - ١٨٩ ١٩٧ ٢١٨
 ٢٢٢ ٢٢٣
 د عكرمة ٢٠٢
 د علي الاصفهاني ١١٦ ١١٧ ٢٣١
 د د الشلوين ٥٤ ٢٣٢
 د د الفارسي ٨٠ ٨٥ - ٩٢ ٩٦
 ١٠٣ ١٠٤ ١١٦ ١١٨ ١٣٧
 ١٤٣ ١٤٧
 د علي القالي ٢٣٢ ٢٣٣

الأدب المفرد (للبخاري) ٣٦ ٧

١٣٠

الاربعين النووية ٥١

الارتشاف (لأبي حيان) ١٠٦

٢٣٣

لرشاد الأريب ١٤ ١٢ ١١ ٨ ٧

١٧٨ ١٣٩ ١١٥ ٩٢ ٧٦

٢٠١ ١٩٣ ١٩١ ١٨٦ ١٨٢

٢٢١ ٢٢٠ ٢١٨ ٢٠٧ ٢٠٣

٢٢٨ ٢٢٧

الأزرق ٦٩

الأزد (القيلة) ٢٢

أزد شنوءة ٦٨

الأزهر ١١٩

الأزمري ٤٩

إسحاق المصمبي ١٥ ١٤

د الموصل ٢٠٣

أسد (القيلة) ١٦٢ ٥٩ ٢٤ ٢١

إسرائيل ولفسون ١٤١ ٧٦

الإسعاف (لابن إياز) ٢٢٩

الإسلاميون ٦٤ ٢٠ ١٩

إسماعيل (جد عدنان) ١٥٣

أسواق العرب في الجاهلية والإسلام

(للمؤلف) ١٩٨

الأحباش ١٩٩

أحمد أمين ١٤٦ ١٠٤ ٨٢ ٧١

٢١٠ - ٢٠٨ ١٦٤ ١٦١

د بن إبراهيم الكاتب ٢٠٣

د د بكر العبدي ٩٩

د د جعفر الدينوري ٢٢٨ ٢٢٠

د د حنبل ٢٦

د د منصور ١٦٥

د د يحيى ثعلب ١٨٢ ١٧٨ ٨٥ ١٥

١٨٩ - ١٩٤ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٢٠

٢٣٣ ٢٢٨ ٢٢٧

أحمد محمد شاكر ٨١ ٧٤ ٦٠

الأحمر ، الأحمري = علي بن الحسن
الأحمر

إحياء النحو (لإبراهيم مصطفى) ٧٠

أخبار النحويين البصريين (للسيرافي)

٢٠٧ ١٨٠ ١٧٢ ١٦٨ ١٦١

٢١٩

الاختلاف (للزودي) ٢٢٨

اختلاف النحويين (لثعلب) ٢٢٧

الأخطل ٦٩ ٦٠

الأخفش ١١٠ ١٠٩ ٩٣ ٧٣ ١٥

١٩٧ ١٧٣ ١٧٠ ١٦٧ ١٥٢

٢٢٢ ٢٢١ ٢١٦ ١٩٩

الأغاني ٩ ١٣ ٢٦ ١٦٢ ١٨٥

٢٣٨

الأفراد والجمع (للرواسي) ١٧٣

الأفعال (لابن القوطية) ٢٣٢

أفنون التغلبي ١٧٨

الاقتراح (للسيوطي) ١٩ ٢٠

٢٢ - ٢٦ ٣٨ ٣٩ ٤٨ ٥٠

٦٢ ٧٥ ٧٨ ٨٠ - ٨٢ ١٠١

١٠٢ ١٠٨ ١١٣ ٢٠٧ ٢٢٥

٢٢٧ ٢٣٣

الإكليل (للهداني) ١٤٧

الإكمال (لعيسى بن عمر) = المكمل

ألف باء (للبلوي) ٨ ٢١ ٥٣

الألفاظ والحروف (للفارابي) ٢٢

ألفية ابن مالك ٢٣٣

د د معطي ٥٤

الأمالي (لابن الشجري) ٤٣

١٨٢ ٢٢٨

د (للزجاجي) ١٠ ١٦٥ ١٧٨

١٨٥

د (للقالي) ٢٣٢ ٢٣٣

د (لليزيدي) ٢٠٣

أمرؤ القيس ٣٢ ١٨٩

الأموي (رار) ٢٠٤

الأسود بن يعفر ٢٠٤

الاشتقاق (المبرد) ١٦

د الصغير (الرواسي) ١٣٧ ١٥٢

د الكبير ١٣٧ ١٥٢

د المستخرج ١٥٢

د والتعريب (للمغربي) ١٣٢

١٣٥ ١٥٣

الاصمعي ١٠ ٢٠ ٢٥ ٢٦ ٤٩ ٥٦

٥٧ ٦١ ٦٣ ٧٣ ٨٢ ٩٣

١٢٨ ١٥٢ ١٦٥ ١٧٣ ١٧٧ -

١٨٠ ١٩٤ ١٩٨ ٢٠٣ ٢٠٤

٢٢٤

الاصفهاني = أبو الفرج

الأصوليون ٢٩

الاضبط بن قريع ٦٧

الأضداد (لابن الأنباري) ٧ ١٢

١٤ ١٧٠

الاعاجم = المعجم

الأعراب ٢٤ ٢٧ ١٢١ ١٩٨

١٩٩ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٦

الأعرج ٣٧

الأعشى ٢٥

أعشى ممدان ٢١٧

الأمش ٣٧ ٥٢

الأمويون ، أمية ١٠ ١٣

أمية بن أبي الصلت ٢٥

د د د عائد ٨٢

الأمين (الخليفة) ١٧٤ ١٨٣

إنباء الرواة (للقطبي) ٩ ١٣ ١٥

٤٣ ٦١ ٧٨ ٧٤ ١٠٣ ١٠٥

١١٥ ١١٦ ١٥٢ ١٥٣ ١٦٦

١٦٩ ١٧٣ ١٧٩ ١٨٠ ١٩٣

٢٠٤ ٢٠٩ ٢١٦ ٢١٨ ٢٢٠

٢٢٩ ٢٣٣

الأندلس ٤٨ ١٩٥ ٢٣١ - ٢٣٣

الأندلسيون ٤٨ ٥٤ ٢٣٢

أنس بن زعيم ٣٣

مالك ٥١

الانتصاف (على هامش الكشف) ٤٤

الإنصاف في مسائل الخلاف ٤٠

١٠٣ ١٤٠ ١٩٦ ٢١٣ ٢١٥

٢٢٦ ٢٢٨ ٢٢٩

الأوزاعي ٥٣ ١٦٥

أوضح المسالك لابن هشام ٧٤

إباد (القبيلة) ٢٢

الإيضاح للزجاجي ٧٨ ١١٧ ١٩٦

ب

البادية ٢٠ ١٩٧ ١٩٨ - ٢٠٠

البارع (للقالبي) ٢٣٢

البحري ١٨

البحر (لأبي حيان) ٣٧ ١٠٧ ٢٣٢

البحرين ٢٢ ١٨٣ ١٨٤

البخاري ٨ ٣٦ ٥٧ ١٣٠

بديعة ابن جابر ١٧

البوامكة ١٨٠

برجسترامر ٧٥

البزار ٧٤

بزرج النحوي ٢٠٩

بست (بلد) ٢٢٥

بشار بن برد ١٩ ٢٠ ٢٦ ٦٤ ٨٢

١٥٦

بشكت (القاري والنحوي) ١٣ ١٦٦

البصرة ٨ ٩ ١١ ١٢ ١٥ ٢٢ ٢٣

٣٧ ١٦٠ ١٦٢ - ١٦٨ ١٧٠

١٧٢ ١٧٣ - ١٧٧ ١٨١ ١٨٢

١٩٢ - ٢٠٨ ٢١٠ ٢١٦ - ٢١٨

٢٢٢ - ٢٢٦ ٢٣٤ ٢٣٦ ٢٣٩

البصريون ٢٤ ٣٧ ٤٠ ٤١ ٤٥ ٤٨

٧٢ ١٠٣ ١٤٠ ١٤١ ١٦٠

١٦٦ ١٦٨ - ١٧٧ ١٨١ ١٨٢
 ١٩٠ - ٢٣٤ ٢٣٦
 البطليوسي ٢٣٢
 بغداد ٤٨ ٨٦ ٩١ ١٧٤ ١٨١
 ٢٠٣ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣٨
 البغدادي = عبد القادر البغدادي
 بغية الرعاة (للسيوطي) ٤٣ ٥٠
 ٦٠ ٨٣ ٩٩ ١١٦ ١١٧ ١٦٣
 ١٧٠ - ١٧٤ ١٩١ ٢٠٢ ٢٠٧
 ٢١٦ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٧ ٢٢٨
 ٢٣٢
 بكر (القبيلة) ٢٢
 بلال بن أبي بردة ١٥
 البلدان (للجاحظ) ٢١٨
 ، (للهمداني) ٢١٧ ٢١٨
 البلوي ٨ ٢١ ٥٣
 بُليّ (القبيلة) ٢٣٨
 بنت أبي الأسود ٨
 بنو جنان ١٨٤
 ، حرب ٧٤
 ، رشدان ٩٥
 ، زياد ١٦١
 ، سعد ٧
 ، شهاب ١٤٧

بنو قيان ٩٥
 ، كامل ١٦٢
 ، ليت ١٦٢ ١٧١
 ، مسمع ٢٢٠
 البيان والتبيين (للجاحظ) ٩ ١٢
 البيت العتيق = الكعبة
 بيروت ١٦١
 اليباضي ١٣٣
 ت
 تابعو التابعين ٢٩
 التابعون ٢٨ ٢٩ ٤٣ ٤٦ ٥٦
 تاج المروس (للزبيدي) ٢٠ ٣٣
 ٩٠ ١٤٨ ٢٠٢ ٢٣٣
 تاريخ آداب العرب (للرافعي) ٦١
 ١٣٣ ١٩٩ ٢٠٢ ٢٣٣
 تاريخ بغداد (للخطيب البغدادي) ٧٨
 ، دمشق (لابن عساكر) ٩ - ١٣
 ٥٦ ١٦٠ ١٦١
 ، الطبري ١٤٨
 ، العرب قبل الإسلام ٢٣٦
 ، الفكر الأندلسي ٢٣٢
 ، اللغات السامية ٧٦ ١٤٢
 التبيين (للمكبري) ٢٢٨
 التعرید الصريح لأحاديث الجامع

تقيف (القبيلة) ٢٢ ٢٤ ١١٠ ٢٣٨

ج

الجاحظ ٩ ١٢ ١٠٤ ١٩٩ ٢١٦

٢١٨

الجامع (لعيسى بن ممر) ١٧١

جامع الزهراء ٢٣٣

الجامع الصحيح (للبخاري) ٤٨ ٦٧

الجامع الصغير (للسيوطي) ٧

الجامعة السورية ١٢٧

، المصرية ٧٥ ١٤١

الجاهلية ١٥ ١٩ ٢٠

الجاهليون ١٩ ٢٥

الجاحدري ٢٢٣

جذام (القبيلة) ٢٢ ٢٤

الجرجاني (عبدالقاهر) ٢٥ ٢٦ ٢١١

الجرمي ١٠٥

جرير ٣٢ ٦٠ ٦٨

الجزيرة (جزيرة ابن عمرو) ٢٢

جزيرة العرب ١١ ٢١ ١٩٨ ١٩٩

جعفر بن يحيى البرمكي ١٨١

جمال الدين الأسنوي ١٠٦

، الشريشي ١٥٢

، القاسمي ٥٣ ٢٠٤

جميل بثينة ٦٧ ٧٣

الصحيح ٤٨

تخليط المذهبين (للكشي) ٢٣١

تذكرة داوود ٨٠

التسهيل (لابن مالك) ٤٨ ٥٠

التصغير للرؤامي ١٧٣

التطور النحوي ٧٥

تعبير الرؤيا (لابن قتيبة) ٢٣٠

التعليق في الخلاف ٢٢٨

تغلب (القبيلة) ٢٢

التفتازاني ٤٢

تفسير أبي حيان = البحر

، الحوفي لكتاب الكسائي ٢٢٠

، الفخر الرازي ٣٢ ٤٠

التعود البابلي ٢٣٦

، الفلسطيني ٢٣٦

نعم (القبيلة) ٢١ ٢٤ ٥٩ ٦٣ ١٩٧

نعم بن زيد القيني ١٦٩ ١٧٠

نهامة ٨٥

تهذيب (تاريخ دمشق لابن عساكر)

٨ - ١٣ ١٦١ ١٦٥ ٢٢٤

التهذيب (للأزهري) ٤٩

نعم اللات (القبيلة) ١٣٥ ٢٣٨

س

ثعلب = أحمد بن يحيى

الجن ١٨٤

جواد علي ٢٣٦

الجواليقي ٨٠

جوادي بن عثمان ٢٣٢

الجوهرى ٤٩

ح

حابس (أبو الأفرع) ٦٩

الحارث بن منذر الجرمي ١١١

حاشية الامير على مغني اللبيب ٤٢

« الليضاوي (للفخاجي) ٣٧

« الدسوقي على مغني اللبيب ١٨٠

حاضر اللغة العربية في الشام ١١٩

الحاكم (المحدث) ٢٠٥

الحاوي (للماوردي) ١٠٧

الحبشة ٢٢

حبيب بن أوس الطائي ١٦ ١٨

الحجاج ٩ - ١١ ١٣ ١٦٨

الحجاز ٢٢ ٢٤ ١٧٤

الحجازيون ٦٣

الحدود (للفراء) ١٧٥ ١٩٣

حر بن عبد الرحمن القاري ١٦٣

الحريري ٥٧

الحسن البصري ٢١ ٦١ ٢٢٢

« بن علي الحلواني ٥٣

الحسن الحاجب ١٨٣

الحسين بن علي ١١١

حصن « أبو عيينة » ٦٩

الحصنين ١٨٣

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع

(لآدم متز) ٩٨ ١٣٦

الخطبة (قرية) ١٨٤ ٢٠٣ ٢٠٩

الخطبة ٢٥ ٣٢

حفص بن غياث ١٥

حلب ٨٦ ٩١ ٢٣٤

حاة ٢٢٥

حامد بن سلمة ٥٣ ٢١٩

حامد الراوية ٥٥ ٢٠٠ - ٢٠٢ ٢٠٩

٢١٩ ٢٣٨

حمزة الزيات (القاري) ٣٩ ٤٠

١٧٦ ٢٢٤ ٢٢٥

حص ٢٢٥

حمير (القبيلة) ١٨٥

الحنفية (أنباع أبي حنيفة) ١٠٠

٢٢٦ ٢٢٧

حنيفة (القبيلة) ٢٢

حيدر آباد ٢٠ ٢٠٣ ٢٣١

خ

خالد بن صفوان ١٥

دار الكتب الظاهرية = الظاهرية
 دار الكتب المصرية ١٠٦ ١٥٣ ٢٢٨
 دار المأمون ٧
 دار المعارف (مطبعة) ٥٩ ١٦٢
 ١٧٨
 الدسوقي ١٨٠
 دمشق ٨ ١١ ٣٨ ٤٣ ١١٨ ٢٣٤
 ٢٣٦
 ديوان قيم اللات ٢٣٨ .
 ديوان جرير ٦٨
 ديوان جبل ٧٣
 ديوان المتنبي ٩١
 ز
 ذفاقة ١٨٤
 ذو الرمة ٦١
 /
 الرازي = فخر الدين الرازي
 الراعي النميري ١٧٩
 الرافعي (صاحب الشرح الكبير في
 الفقه الشافعي) ١٠٦ ١٠٧
 الرافعي مصطفى صادق ٦١ ١٣٣
 ٢٣٣ ٢٠٢ ١٩٩
 الرؤاسي = أبو جعفر الرؤاسي
 رؤبة بن العجاج ٦١ ٨٧ ١٤٧ ٢٠٠

خالد بن الوليد ١٧١
 خراسان ١٠
 خزانة الأدب (للبغدادى) ١١
 ١٧-١٩ ٦٠ ٧٤
 الخصائص (لابن جني) ٨ ١٧ ٢٧
 ٨٠ ٣٣ - ٩٨ ١٠١ ١١٢
 ١٣٦ ١٣٨ ١٤٤ ١٤٦-١٤٨
 ١٩٨ ٢٠٠
 الخطيب البغدادي ٢٠٤
 الحفاجي ٣٧
 الحلاف بين سيويه والمبرد (للرمانى)
 ٢٢٨
 الحلاف بين النحويين (للرمانى) ٢٢٨
 خلف الأحمر ٩٣ ١٨٠ ٢٠٠ ٢٠٢
 ٢٠٩
 خليج البصرة ٢٣٩
 الخليل بن احمد السجزي ٢٢٤
 الخليل بن احمد الفراهيدي ٤٨ ٥٢
 ٧٢ ٧٣ ٨١-٨٥ ٩٣ ١٢٨
 ١٦٢ ١٦٤ ١٦٧ ١٦٨ ١٧١
 ١٧٤ ١٧٦ ١٨٣ ١٩٨ ١٩٩
 ٢٠٣ ٢١٩
 د
 دار إحياء الكتب العربية ٧

الربيع بن صبيح ٥١

رجاء بن حيوة ٥٦

الرد على ثعلب (لابن درستويه) ٢٢٧

الرد على من زعم الاشتقاق ١٥٣

رسائل الجاحظ ١٠

رسالة الغفران ٢٣٤

الرسول ﷺ ٧-٩ ١٢ ٢٨ ٢٩

٣٤-٣٧ ٤٠ ٤٥-٤٨ ٥١

٥٣-٥٨ ٩٥ ١٠٠ ١٦٥

١٧٠ ١٩٣

الرشيد (الخليفة) ١٤ ١٠٥ ١٧٤

١٧٨-١٨٠ ١٨٦ ٢٢١

الرعيبي الأندلسي ١٧

الرماني ١٠٣ ١٣٧ ١٥٢ ١٥٦ ٢٢٨

رواة الحديث ٤٧ ٤٨ ١٠٤

روح بن زنباع ١٢

الروض الأنف (للسبلي) ٣٦

الروضة (للنوي) ١٠٦

الروم ١٥

الري ١٧٤

الرياشي = العباس بن الفرغ

ز

زبيد (بلد) ٢٠

الزبيدي ٩ ١٥ ١٠٥ ١٦٢ ١٧١

الزجاج = إبراهيم الزجاج

الزجاجي ٧٨ ١١٧ ١٦٥ ١٧٠

١٨٥ ١٨٧ ١٩٦ ١٩٩

الزواجب ٢٠

زفر بن الحارث الكلبي ٢١٢

الزحشري ٢٠ ٣٤ ٤٢ ٤٤ ٤٩

١٠٣ ١٠٤

الزهمري ٨ ٤٦ ٥١ ١٦٨

زهير بن أبي سلمى ٣٢

زهير الفرقي ١٧٣

زياد بن أبيه ٧-٩ ١٦١

زيد بن علي ٣٧ ٢٢٣

سى

السخاوي ١٠٢

سر الصناعة (لابن جني) ٩١

سراج القاري (لابن القاصح) ٣٠ ٤٤

سعد (فارسي) ١٦٢

سعيد بن مسعدة = الأخفش

سعيد بن مسلم ١٤

سعيد بن المسيب ٣٦

سفيان بن عيينة ١٦٥ ١٧٠

سفيان الثوري ١٦٥ ٢٢٣

السكندري (احمد) ١٢٥

سليم (القبيلة) ١١٠

الشافعي ٢٦ ٥٦ ٧٥ ٧٦ ٢٢٦
 ٢٢٧
 الشافعية (أتباع الشافعي) ١٠٦
 ١٠٧ ٢٢٦ ٢٢٧
 الشام، أهل الشام ١٤ ٢٢ ٢٦ ٣٧
 ٣٨ ٤٣ ٥٣ ٦٠ ٨٠ ٨٥ ٨٦
 ١٩٥ ١٩٩ ٢٢٥ ٢٣٣ ٢٣٤
 شبيب (الخارجي) ٦٩
 الشجري ٩٤
 الشراء ١٣
 شرح ألفية ابن معطي ٥٤
 التسهيل (لأبي حيان) ٢٤
 ٤٩ ١٠٦
 - تصريف المازني ٨٩
 - الجمل (للضائع) ٤٩
 - الشاطبية ٣٠
 - شذور الذهب (لابن مشام) ٧٤
 - شواهد المغني (للسيوطي)
 ٦٦ ٦٨ ٧٤
 - القاموس المحيط = تاج العروس
 الشرح الكبير (للرافعي) ١٠٦ ١٠٧
 شرح كتاب سيبويه (للسيرافي) ٥٤
 - - - (للصفار) ٥٤
 - - - (للعقلي) ٥٤

سليمان بن عبد الملك ١٢
 سليمان بن فهد الأزدي ٩١
 سليمان الحامض ١٩٢ ٢٣١
 السماوة ٢٠٠
 السند ١٦٩
 السندولي ١٠
 سهيل بن سعد الساعدي ٤٧ ٥١
 السهيلي ٣٦ ٤٩ ٢٣٢
 سيبويه ٩ ٢٠ ٣٣ ٤٠ ٤٨ ٤٩
 ٦٥ ٧٤ ٨٤ ٨٥ ٩٣ ١٠٣
 ١٠٨-١١٠ ١٦٥ ١٩٧ ١٧٢-
 ١٧٤ ١٨٠-١٨٣ ١٩٠ ١٩٢
 ١٩٤ ١٩٨ ٢٠٣ ٢١٦ ٢١٧
 ٢٢٠ ٢٢٨ ٢٣٢ ٢٣٣
 السيرافي = أبو سعيد السيرافي
 سيرة ابن هشام ٧٥
 سيف الدولة ٨٦ ٩١
 السيوطي ٢٠ ٢٢ ٢٩ ٣٠ ٣٩
 ٤٨ ٤٩ ٦٢ ٦٥ ٦٦ ٧٣ ٧٥
 ٧٨ ٨١ ٨٢ ١٠١ ١٠٨ ١١٣
 ١٣٠ ١٣٩ ١٥١ ١٥٢ ١٦٤
 ٢٢٠ ٢٢٦ ٢٢٧
 ش
 الشاطبية ٣٠

ضحى الإسلام ٧١ ٧٢ ١٦١ ١٦٤

١٦٦ ٢٠٨ ٢١١

الضرائر (للألومي) ٨٩

الضوء اللامع (للسغاوي) ١٠٢

ط

طاهر بن الحسين ١٤

الطائف ٢٢

الطائيون = طيء

الطبراني ٧

طبرستان ١٣٥

الطبري (المؤرخ) ١٤٨

طبقات الخنابلة ٦٠

ـ فحول الشعراء ٥٩ ٧٥ ٨٤

١٦٢ ١٧٠ ٢٠١ ٢٠٤

ـ النحويين واللغويين (للزبيدي)

٩ ١٠ ١٥ ٦١ ٨٣ ٨٤ ١٠٥

١٦٢ ١٧١ ١٨٨ - ١٩٠ ١٩٤

٢٢٢

الطرماع ٢٥ ٢٦ ٣٧ ٢٠٢

طه الراوي ٣٨ ٤٤ ٥٤ ١٣٢

١٣٨ ٢٠٨ ٢٠٩

طبي (القبيلة) ٦٨

ظ

الظاهرية ٩ ١١ ١٣ ٥٦ ٢٣٦

شرح كتاب حبيبويه (للفراطي) ٥٤

ـ المقرب (لابن الحاج) ٥٤

الشرق ٢٣٩

الشريف الفرافطي ٥٤

الشمي ١٠

الشم والشعراء (لابن قتيبة) ٦٠

٢٣٠ ٨١ ٧٤

الشابيني = أبو علي الشلوبين

شبية بن الوليد ١٨٤ - ١٨٦

الشعبة ١٦٤

ص

الصاحبي في فقه اللغة ٢١ ٥٢ ٦٣

١٦٤

الصاغاني ٣٥

صبح الأعشى (للقلقشندي) ٣٧

الصحابة ٢٨ ٢٩ ٤٣ ٤٦ ٥١ ٥٦

الصاح (للجمهوري) ٤٩ ١٠٧

صحيح البخاري = الجامع الصحيح

الصفار ٥٤

الصفافي ٣٠ ٤٤

صفة جزيرة العرب (للهداني) ١٤٧

الصقلي ٥٤

صنعاء ١٨٥

ض

الضبي = الفضل الضبي

ع

عائشة الصديقة ٢١٧

عائشة والسياسة (لسميد الأفغاني) ٢١٨

عاد (القبيلة البائدة) ٢١٩

عاصم (القاري) ٣٩

عامر (القبيلة) ١٧٨ ٣٤

العباب (للساغاني) ٣٥

العباس بن الفرج الرياشي ٢١٨ ٢٢٢

٢٢٣ ٢٣٢

محمد بن موسى ١٤

مرداس ٦٩

العباسيون ١٣ ١٧٧ ٢١٦

عبد الدار ١١ ١٣٥

عبد الرحمن بن إسحاق = الزجاجي

هرمز ١٦٠ ١٦٦

عبد السلام بن الحسين البصري ٢٣٨

عبد شمس ١٣٥

عبد العزيز بن مروان ١١

القاري = بشكست

القادر البغدادي ١٧ ١٩ ٦٠

٧٤

عبد القادر المغربي ١٥٣

القيس (القبيلة) ٢٢

الله أمين ١٣٤

عبد الله بن أبي إسحاق ٦٠ ٦١ ٨٣

٩٣ ٩٩ ١٦٠ ١٦٢ ١٦٧ -

١٧١ ٢١٠ ٢١٩ ٢٢٣

عبد الله بن سلام ٥٩ ٧٤ ٨٣ ٨٤

١٦٢ ٢٠١ ٢٠٤

عبد الله بن عامر (القاري) ٣٦

٣٧ ٣٩ - ٤٤

عبد الله بن عباس ٣٥ ١٦٨ ٢٢٣

عمر بن الخطاب ٨ ٣٦

١٦٨ ٥١

الله بن عمرو بن العاص ٥١

كنير ١٧٠

مسعود ٧

الملك بن جريح ٥٦

مروان ٩-١٢ ١٤

هشام ٧٥ ٧٦

عبيد الله الأزدي ٢٢٨

عثمان البني ٦١

عثمان بن عفان ٢٤ ٣٧ ٣٨ ٤٣

١٦٩ ١٧٩ ٢١٧

العجاج ٢٥ ٦١ ٨١ ١٩٩

المعجم ٩ ٢١ ٥٤ ١٤٨ ١٩٨ ١٩٩

٢٠٥ ٢٣٩

عدي بن زيد العبادي ٣٥ ٢٠١

علي بن الحسين ٢٢٣
 د د حمزة = الكسائي
 د د المبارك الاحمر ٤٨ ٦٠
 د د محمد الهاشمي ١٦٢
 د د المدني ٥٦
 د د الخوارزمي ١٥٢
 عمار الكلبي ١١٥
 عمات ٢٢
 عمرو بن أبي ربيعة ٩٤
 د د عبد العزيز ١٢ ٤٤ ٤٦
 عمرو (آل عمرو) ٣٤
 عمرو بن بزيغ ١٨٣
 د د نعيم ٨٣
 غنبة بن سعيد ١٠
 د د معدان (غنبة الفيل)
 ١٦٣ ١٦٥ - ١٦٨
 غنوة ١٦
 عيسى الباقي الحلبي ١٠٩
 د بن عمر ٤٨ ٦١ ٨٣ ٩٣
 ١٦٢ ١٦٤ ١٦٧ ١٧٠ - ١٧٣
 ١٧٦ ١٧٩ ٢٠٣ ٢١٠ ٢١٩
 عيسى بن موسى ١٥
 العين (للخليل بن احمد) ١٧٢

العراق ، العراقيون ٩ ٨٦ ١٧٢
 ١٩٩ ٢١٧
 عروة بن الزبير ٣٤ ٣٥
 العسكري (صاحب المصون)
 ١٥ ٢٢٣
 عطاء بن أبي الاسود ١٦٦ ١٦٩
 عفان (راوي للحديث) ٥٣
 عقبة الاسدي ٧٤
 عقيل (القبيلة) ٢٦
 عكاد ٢٠
 عكبرا (قرية شرقي بغداد) ٢٠٣
 عكيم بن عكيم الحبشي ١٩٩
 علان النحوي ١٦٥
 العلل في النحو (لقطرب) ١١٦
 علل النحو لابن كيسان ١١٧
 د د لابن الوراق ١١٧
 د د للأصفهاني ١١٦
 علوم الحديث ومصلحه ٥١
 علي بن أبي طالب ١٤٨ ١٦٠
 ١٦٣ - ١٦٥
 علي بن الحسن الاحمر ١٨٠ ١٨٧
 ٢٠٤ ٢١٦ ٢٢١
 علي بن الحسن الهنائي ١٩٧

عيون الاخبار (لابن قتيبة) ٨ -

٢٣٠ ١٠

عينه بن حصن ٣٦

غ

غالب (جد الفرزدق) ١٧٠

الغرب ٢٣٩

الغريب المصنف (للقاسم بن سلام)

٢٢٥

غسان (القبيلة) ٢٢

غيان = بنو غيان

غيث النفع (للصفاقسي) ٣٠ ٤٤

ف

الفائق (للزحشري) ٤٩

فؤاد الاول ١٢٠

الفارابي = ابو نصر الفارابي

فارس ٢٣ ٨٦ ١٨٢

الفارسي = ابو علي الفارسي

فخر الدين الرازي ٣١ ٣٢ ٣٩

١٠٧

فخر اهل الكوفة (للهيثم بن عدي)

٢١٨

الف. ا. ١٠٣ ١٠٥ ١٦٥ ١٦٧ ١٧٢

١٧٤ ١٨٠ ١٩٢-١٩٤ ١٩٧

٢٠٢ ٢٠٤ ٢١٦ ٢١٧ ٢٢١

٢٢٤ ٢٣٢

الفرزدق ٦٠ ٦١ ٨٣ ١٦٩ ١٧٠

الفرس ٢٢ ٢٣ ١٤٢ ١٤٧ ١٩٩

الفصل (لابن خزم) ٣٢

الفصح (لثعلب) ١٩٣

الفضل بن الربيع ١٨٧

د د محي البرمكي ١٨٠

فعلت وأفعلت (للقاللي) ٢٣٢

فقهاء المذاهب ٢٩ ١٠٠ ١٠٤ ١٠٥

١١٢ ٢٢٦

الفهرست (لابن النديم) ١٣٧ ١٥٣

١٦١ ١٦٥ ١٦٨ ١٧١ ١٧٥

١٩٧ ٢٠٩ ٢٢٧ ٢٣١ ٢٣٨

الفيصل (للرؤاسي) ١٧٣

فيصل الاول (ملك سورية ثم

العراق) ١١٨

الفيومي ١٠٧

ق

القاسم بن سلام ٢٢٥

القاسم بن محمد ٥٦

القاموس المحيط ٢٠ ٢٤

القاهرة ١١ ١٢ ١٨ ٢١ ٢٤ ٣٤

٤٢ ٧٤ ٧٦ ٢١٥

القلب والإبدال (لابن السكيت)

٩٧

قواعد التحديث ٥٣ ٢٠٤

القياس في اللغة العربية ٦٥ ١١٠

١١٤ ١٥٦

قيس (القيلة) ٢١ ٢٤ ٥٩ ١٩٦

قيس بن زمير العبسي ٦٩

ك

الكتاب (لسيبويه) ٩ ٢٠ ٣٣

٥٤ ٦٥ ١٠٣ ١٠٥ ١٧٦

١٩٠ ١٩٢ ١٩٨ ٢١٦ ٢١٧

٢٢٠ ٢٣٢

كتاب الكسائي ٢٣٢

كثير بن أبي كثير ١١

كراع النمل = علي بن الحسن الهنائي

الكسائي ٢٨ ٤٨ ٧٨ ١٠٥ ١٦٢

١٦٥ ١٦٧ ١٧٢ ١٧٤ ١٧٥

١٧٧-١٨٧ ١٩٤ ١٩٧ ١٩٩

٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢١١

٢١٦ ٢٢٢-٢٢٤ ٢٣٢

كسرى ١٨٠

الكشاف (للزخشي) ٣٤ ٤٢ ٤٤

الكشي ٢٣١

كعب بن سعد الغنوي ٦٦

القبط ٢٢

قناة ٥٣

قحطان ١٤٧

قدامة بن جعفر ١١

القراء ٢٨-٣٥ ٣٨ ٤٣ ١٦٩

١٧١ ١٧٣ ١٧٤

القراءات واللهجات (لعبد الوهاب

حمودة) ٣٥ ٣٨

القرآن الكريم ٦-١٠ ١٢ ١٣

٢٣ ٢٨-٤٩ ٥٢ ٥٤ ٥٦

٦٠ ٦٩ ٧٥ ١٠٠ ١٠٧ ١٢١

١٦٢ ١٦٩ ١٧٧ ٢٠٤ ٢٢٢

٢٢٣ ٢٣١ ٢٣٩

القصر الابيض (بالخير) ٢٠٠

قرطبة ٢٣٣

قريش ١١ ١٢ ١٤ ٢١ ٢٤ ١١٠

١٦٦ ٢٣٨ ٢٣٩

قضاة ٢٢

القطامي ٢١٢

قطرب ٧٣ ١١٦ ١٥٢ ١٩٧

قطربيل (في العراق) ٢٠٣ ٢٠٧

٢٠٩

القفطي ٧٨ ١١٥ ١٥٣ ٢٢٠ ٢٣٣

الكعبة ٣٩

الكفاية ٥٢

كفاية المتعلمين (لابن فارس) ٢٢٨

كلاب بن حمزة العقيلي ٢٣١

كمال الدين بن الانباري = ابو البركات

الكعبت ٢٥ ٢٦ ٦١ ٩٤ ٢٠١

كناسة (سوق الكوفة) ١٩٩

كنانة (القبيلة) ٢١

الكواكب الدرية (للأسنوي) ١٠٦

الكوفة ١٤ ٢٢ ٢٣ ١٦٠ ١٦٦

١٦٨ - ١٧٣ - ١٧٧ ١٨١

١٩٦ ١٩٩ - ٢٠٨ ٢١٠ ٢١٢

٢١٦ - ٢١٨ ٢٢٢ - ٢٢٦ ٢٣٣

٢٣٤ ٢٣٦ ٢٣٨

الكوفيون ٢٤ ٤٠ ٤١ ٤٣ ٤٥

٤٨ ٥٥ ٦٥ ٦٨ ١٤٠ - ١٤٢

١٦٦ - ١٦٨ ١٧٢ - ١٧٩ ١٨١

١٨٢ ١٨٧ ١٩٠ - ١٩٢ ١٩٤

١٩٩ - ٢٣٤ ٢٣٦

الكويت ٧ ١٢ ١٤ ١٥ ١٨٧

١٩١ ١٩٩

ل

لحم ٢٢ ٢٤

لسان العرب ٣٣ ٥٨ ٦١ ٦٣

١٤٧ ١٤٨ ١٥٤

لعدة = ابو علي الأصفهاني

اللمع (لابن برهان) ١٦٦

لمع الأدلة (لابن الأنباري) ١٠١

١٠٢

ليث (بنوليث) ١٧١

ليدن ١٤٨

ليس في كلام العرب (لابن خالويه)

٢٣٤

م

ما أغرب البصريون عن الكوفيين ٢٢٥

ما أغرب الكوفيون عن البصريين ٢٢٥

مازن (بنومازن) ١٦٩

المازني = أبو عثمان المازني

المؤرج السدوسي ٩٩

ماسنيون ١٥٨

مالك بن أنس ٣٨ ٥٦ ٦٩ ١٦٦

المأمون ١٤ ١٥ ١٧٤ ١٨٣

الماوردي ١٠٧

المبرد = محمد بن يزيد

مبرمان ١١٧

المتكلمون ١٠٠ ١٠٤ ١١٢

المنبي ١٦ ١٨ ٩١ ٢١١

المنوكل ١٨٨ ١٨٩

محمد بن إسحاق ١٠٣
 د د الجيان ١١٦
 د د الحسن الشيباني ١٠٠ ١٠٥
 ١٧٤ ٢٢٦
 د د عبد الملك الزيات ٢١٧
 د د عبد الله = الرسول
 د د عبد الله بن طاهر ١٨٩ ١٩٠
 د د علي ٢٢٣
 د د عيسى ١٨٩
 د د مسلم الكوفي ٢٢٢ ٢٢٣
 د د مناذر ٢٢ ٢٣
 د د يزيد المبرد ١٦ ١٥٢ ١٦٤
 ١٧١ ١٨٩-١٩٢ ١٩٤ ١٩٧
 ٢٠٢ ٢٢٠ ٢٢٨ ٢٣٣
 محمد الخضر حسين ٤٩ ٥٤ ٦٥ ١١٤
 محمود محمد شاكر ٥٩
 المحمودية (مكتبة قديمة) ١٠٢
 المختار بن أبي عبيد الثقفي ٢٠٠
 مختار الصحاح (الرازي) ١٠٧
 المخصص (لابن سيده) ٤٩ ١٤٣
 المخضرمون ١٩
 المدائني ١٦٢
 مدرسة الألسن في القاهرة ١١٩
 المديون ١٦٦

مجالس العلماء (للزجاجي) ١٧٠
 ١٨٧ ١٩١ ١٩٩
 مجاهد ٣٥ ٤٠ ٢٢٣
 مجلة الثقافة (المصرية) ١١٩
 د كلية الآداب بجامعة القاهرة ١١٧
 مجمع الأمثال للميداني ٦٦
 د فؤاد الاول = مجمع اللغة العربية
 المجمع العلمي العربي (أو مجلته) ٣٨
 ٤٤ ٥٥ ٦١ ١١٨ ١١٩ ١٣٢
 ١٤٠ ٢٠٨ ٢٣٤
 مجمع اللغة العربية (أو مجلته) ٢٤
 ٤٩ ٥٤ ٥٨ ٨٢ ١٠٤ ١٢٠-
 ١٢٨ ١٣٢ ١٣٤ ١٣٩ ١٤٣
 ١٤٦ ١٥٨
 المجلد (لابن فارس) ٤٩
 محاضرات الراغب ١٤٨
 المحتسب (لابن جني) ٣٥ ٤٥
 المحدثون ١٩ ٢٠ ٦٤ ٦٥ ١٢٠
 ١٣٢ ١٤٦ ٢٠٥
 المحدثون ٢٩ ٥٤ ٥٦ ٥٨ ٧٢
 ٧٣ ١٠٤ ١٦٥
 محمد أحمد جاد المولى ١٠٩
 د بن أحمد بن أبي دؤاد ٢٠٣
 د د الوراق ٢٣٠

المصنف (مصنف عثمان) ٣٠
 مصر ٢٢ ١٢٠ ١٧٨ ١٩٥ ٢٣٣
 المصون (للعسكري) ١٥ ٢٢٣
 المطالع النصرية ٨٩
 مطبعة ابن زيدون ٥٣
 المطبعة الأزهرية ٣ ٤٢
 مطبعة الاستقامة ٣٤ ٤٢ ٧٤ ٢١٥
 المطبعة الاميرية ١١٩
 مطبعة الترقى ٨
 مطبعة الجامعة السورية (جامعة
 دمشق) ١١٠
 المطبعة الرحمانية ١٣٧
 مطبعة روضة الشام ١٠ ١٦٥ ٢٢٤
 المطبعة السلفية ١٨ ٢١ ٥٢ ٦٠ ٧٤
 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
 ١١ ١٢ ٧٦ ١٤٢
 المطبعة المحمودية ١٧٨
 مطبعة مصطفى محمد ٣٠ ٤٤
 مطبعة دائرة المعارف بجيدر آباد ٢٠
 المطرزي ٣٦ ١٠٧
 معاد بن مسلم الهراء ١٧٣
 المعارف (لابن قتيبة) ٢٣٠
 معاني القرآن (للفراء) للكساني
 الأخفش (١٧٣ ١٧٥ ٢١٦
 ٢٢٢

المدينة المنورة ٨ ١١ ١٣ ٢٣
 ١٢١ ١٦٦
 مراتب النحويين ٨ ٦٠ ١٦١
 ١٧٠ ١٧٣ ١٧٥ ١٧٧ ١٩٩-
 ٢٠١ ٢٠٤ ٢٢٥ ٢٣٠
 الربد ١٩٨ ١٩٩
 المرتضى الزبيدي ٢٠
 مرادس (أبو العباس) ٦٩
 المرزباني ٨٢ ٢٠١
 مرو ١٤٨
 مروان بن محمد ١٣
 المزهر للسيوطي ٧ ٨٢ ١٠٨ ١٣٠
 ١٣٩ ١٤٤ ١٥١ ١٥٢ ١٥٥
 ١٦٤ ١٧٠
 المسائل الحلبية (لابن جني) ٩١
 د (للفارسي) ٨٩
 المسائل على مذهب النحويين .. الخ
 ٢٢٧
 مسجد الكوفة ٢٣٨
 مسلمة بن عبد الملك ١٠
 المسلمون ٢٨
 المشرق (الإقليم) ٢٣١ - ٢٣٣
 المشركون ٨ ٧ ٤٠
 المصباح المنير (للفيومي) ٣٥ ٣٦
 ١٠٧ ١٣٣ ١٨٦

المقصور والمدود (للقالي) ٢٣٢
 المقنع (للحاس) ٢٢٧
 مكة المكرمة ١١ ٢٣-٢٢ ١٧٠
 المكمل (لعيسى بن عمر) ١٧١
 منبر رسول الله ١٢
 المنتجع بن زهران ١٩٩ ٢٠٠
 منصور الحيري ١٨٥
 المهدي (الخليفة) ١٨٣-١٨٥
 المذهب (للدينوري) ٢٢٩
 المهرجان الالفى للمعري ٢٣٤
 الموالى ١٦٢
 الموشح (للمرزباني) ٦٠ ٨٢ ٢٠١
 الموصل ٩١
 الموطأ ٦٩
 المولدون ١٧ ٢٠ ٦٤
 الميداني (صاحب مجمع الامثال) ٦٦
 ميمون الاقرن ١٦٣ ١٦٥-١٦٨
 ١٧٣
 ميمون بن ابراهيم ١٤ ١٥
 ن
 النابغة ٦١
 نافع (مولى ابن عمر) ٣٦
 نافع المدني (القارىء) ٣٦ ٣٧
 النبط ٢٢ ٢٣

المعاني الكبير (لابن قتيبة) ٢٣١
 معاوية بن أبي سفيان ٢٥ ٧٤
 معاوية بن مجير ١٢
 المعتزلة ١٠٣ ١٠٤
 معجزات النبي (لابن قتيبة) ٢٣٠
 معجم الادباء = إرشاد الاربيب
 معجم البلدان (لياقوت) ٢٠ ١٧٣
 ٢١٧ ٢٢٥
 المعرب (للجواليقي) ٨٠
 معرفة علوم الحديث (للحاكم) ٢٠٥
 المعري ٢٣٤ ٢٣٨
 المعروط القريمي ٩٧
 المغرب (الاقليم) ١٩٥ ٢٣٣ ٢٣٩
 المغرب (المطرزي) ٣٦ ١٠٧
 مغني اللبيب ٤٢ ٦٦-٦٨ ٧٤ ٩٤
 ١٧٩-١٨٢ ١٩٧
 المفضل بن سلمة ١٥٢
 المفضل الضبي ١٧٨ ٢٠١-٢٠٤
 المفضليات ١٧٨
 مقاتل ٣٥
 مقاييس اللغة (لابن فارس) ٤٩ ١٣٤
 مقتضب (للبرود) ١٩٢
 المقصور والمدود (لابن السكيت)
 ٨٢

النبي = الرسول

نجد ٢٤ ١٧٤

نحاة البصرة = البصريون

نحاة المعتزلة (لمحمد بن اسحاق) ١٠٣

النحو المجموع (لمبرمان) ١١٧

نزار (بنونزار) ١٤٧

نزهة الالباء ٨ ١٦٣ ١٦٤ ١٧١

٢٠٢

النشر في القراءات العشر ٣٠

النصارى ٢٢

نصر بن عاصم ١٦٠ ١٦٣ ١٦٥ -

١٧٠ ٢٢٣

النضر بن شميل ١٦٥ ١٧٢

النعمان = أبو حنيفة

النعمان (ابن المنذر) ٢٠٠

نقطويه ١٥٣ ٢٣٠ ٢٣١

نقد النثر (المنسوب الى قدامة) ١١

النمر (بنو النمر) ٢٢

النهاية (لابن الاثير) ٣٥

النووي ١٠٦

٥

هبنقة القيسي ١٨٦

هذليون = هذيل

هذيل (بنو هذيل) ٢١ ٥٩ ٧٦

هشام بن عبد الملك ١٣

هشام بن عروة ٣٤ ٤٦

هشام الضرير ٤٨

هشام النحوي ١٥

هلال الرأي ٢٢٢ ٢٢٣

الهمذاني ١٤٧ ٢١٧ ٢١٨

الهند ٢٢

هيت ٨٧

الهيثم بن عدي ٢١٨

و

الوائق (الخليفة) ١٨٧

الواسط (لابن الانباري) ٢٢٨

الوساطة (للبرجاني) ٢٥ ٢٦ ٢١١

٢١٢

وفيات الاعيان ٧ ١٠٥ ٢٠١

الوقف والابتداء (الرواسي) ١٧٣

الوليد بن عبد الملك ١١ ١٢

الوليد بن يزيد ٢٣٨

ي

ياقوت (الحموي) ٢٠ ٩٢ ١٠٣

١٣٩ ٢١٧ ٢٢٠

يحيى بن خالد البرمكي ١٨٠ - ١٨٢

١٨٧

الجامعة ٢٢
 اليمن ٢٠ ٢٢ ٨٥ ١٨٥ ١٩٩
 يوسف بن عمر ٢٣٨
 يوسف الزجاجي الجرجاني ١٥٢
 يوفان ٢٢
 يونس بن حبيب ٦١ ٨٣ ٩٣ ٩٩
 ١٦٧ ١٧٠ ١٧٤ ١٧٦ ١٩٢
 ١٩٨ ٢٠١ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٩
 ٢١١ ٢١٩

محيي بن المبارك الزبيدي ١٧٠ ١٨٢
 ١٨٧- ١٩٤ ٢٠٧ ٢١٩
 محيي بن يعمر اللبني ١٠ ١٦٠ ١٦٣
 ١٦٥- ١٧٠ ٢٢٣
 يزيد النحوي ٣٥
 يزيد بن منصور الحميري ١٨٣ ١٨٥
 اليزيدي = محيي بن المبارك اليزيدي
 يعقوب الحضرمي ٢٨ ٢٢٤
 يعقوب بن السكيت ٨٢ ٩٧ ١٨٨
 ١٨٩

مَرَاجَعُ الْكِتَابِ

- إنخاف البشر في القراءات الأربع عشر
 طبع عبد الحميد أحمد حنفي (بلا تاريخ)
 ١٣٤٣ هـ المطبعة الازهرية بمصر
- أخبار النحويين البصريين لابي سعيد السيرافي
 « الكاثوليكية بيروت ١٩٣٦ م
 ١٣٧٥ هـ السلفية بمصر
- إرشاد الأريب لمعرفة الأديب (المعروف بمعجم الأدباء) لياقوت مطبوعات دار المأمون بمصر ١٣٥٥ هـ
 أسواق العرب في الجاهلية والإسلام لسعيد الأفغاني المكتبة الهاشمية بدمشق ١٩٣٧ م
- الاشتقاق والتعريب لعبد القادر المغربي
 لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٩٤٧ م
 الكويت ١٩٦٠ م
- الأضداد لأبي بكر بن الأنباري
 مطبعة التقدم بمصر (الترام ساسي)
 الاغانى لابي الفرج الاصفهاني
- الاقتراح للسيوطي
 المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٦٨ هـ
 الأكليل للهمداني (الجزء العاشر)
- ألف باء للبلاوي
 المطبعة الوهية بمصر ١٢٨٧ هـ
 الإيمالي للزجاجي
- « لابن الشجري
 مطبعة الثانية بالمطبعة المحمودية بمصر ١٣٥٤ هـ
 « دار الكتب المصرية ١٩٢٦ م
- « لافالي
 دائرة المعارف بمجدر آباد ١٣٦٧ هـ
 « دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ
- « ليزيدي
 « دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ
 إنباء الرواة إلى أنباء النحاة للقفطي
- الانتصاف للسكندري (على هوامش الكشف للزحشري)
 الانتصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري
 مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٤ هـ
- الإيضاح للزجاجي
 مطبعة المدني بمصر ١٩٥٩ م
 بنية الوعاة للسيوطي
- البيان والتبيين للجاحظ
 « السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ
 « لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر
- ١٣٦٨ هـ
 المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٠٦ هـ
- تاج العروس من جواهر القاموس

- تاريخ آداب العرب للرافعي
تاريخ الامم والملوك للطبري
تاريخ دمشق لابن عساكر
تاريخ الفكر الاندلسي لـ (بالنشا) ترجمة حسين مؤنس
تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولغنون
التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح للزيدي
تذكرة داود الانطاكي
النظور النحوي لبرجستراستر
تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر : لعبد القادر بدران
الجامع الصحيح للإمام البخاري
حاشية الامير على مني اللبيب (الطبعة الثانية)
« الدسوقي »
حاشية الحفاجي على تفسير البيضاوي (عناية
القاضي وكفاية الراضي)
حاضر اللغة العربية في الشام لسعيد الافغاني
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع لآدم متر
خزانة الادب للبغدادي
الخصائص لابن جني
رسائل الجاحظ جمع السندوني
الرسالة للشافعي
الروض الانف للسبلي
سراج القاري - المبتدئ - . لابن الفاصح
شرح شذور الذهب لابن هشام الانصاري
شرح شواهد الغني للسيوطي
الشعر والشعراء لابن قتيبة
الصاحي لابن فارس
صبح الاعشى للقلقشندي
مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٤٠
لیدن
مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق
رقم (تاريخ ٢٦/١)
مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥ م
مطبعة الاعتماد بالقاهرة ١٩٢٩ م
مطبعة البابي الحلبي ١٣٤٧ هـ
المطبعة الازهرية بالقاهرة ١٣٢٤ هـ
(أملاه في كلية الآداب بالجامعة المصرية)
١ - ٥ مطبعة روضة الشام ١٣٣٢ هـ
٦ - ٧ مطبعة الترقى بدمشق
دار الطباعة ببولاق ١٢٨٢ هـ
طبع معهد الدراسات العالية في القاهرة ١٩٦٢ م
طبعة ثانية للجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٤٧ م
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ
مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م
المطبعة الرحمانية ١٩٢٣ م
المطبعة الاميرية ببولاق ١٣٢١ هـ
« الجمالية بالقاهرة ١٣٣١ هـ
مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ١٣٥٢ هـ
« الاستقامة بالقاهرة (طبعة ثالثة)
١٩٤٦ م
المطبعة السبية بمصر ١٣٢٢ هـ
دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٢٨ هـ
المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٣١ هـ

- ضفة جزيرة العرب للهداني
 ضحى الاسلام لاحد امين
 الضرائر للالوسي
 طبقات الحنابلة لابن ابي عمير (اختصار ابن قيم الجوزية)
 « الشعراء (طبقات فحول الشعراء في هذه الطبعة)
 « النحويين والفقهاء للزبيدي
 عائشة والسياسة لسعيد الأفغاني (طبعة ثانية)
 عيون الاخبار لابن قتيبة
 غيث النفع لصفافى
 الفهرست لابن النديم
 القاموس المحيط للفيروزبادي
 القراءات والهجاء لعبد الوهاب حمودة
 قواعد التحديث للقاسمي
 القياس في اللغة العربية لعماد الخضر حسين
 الكتاب لسبيويه
 الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزنجشيري
 لسان العرب لابن منظور الأندلسي
 لمع الادلة لأبي البركات الأنباري
 مجالس العلماء للزجاجي
 مجلة الثقافة (المصرية)
 مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة
 مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق
 « مجمع اللغة العربية
 محاضرات الراغب
 مرآت النحويين لابي الطيب اللغوي
 المزهرة للسيوطي
 المصباح المنير للفيومي
 المصون للمسكري
 المطالع النصرى للوريني
 المعاني الكبير لابن قتيبة
 المغرب للجواليقي
 لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ م
 المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤١ هـ
 مطبعة الاعتدال بدمشق ١٣٥٠ هـ
 « دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٢ م
 طبع محمد سامي الخانجي بالقاهرة ١٩٥٤ م
 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ م
 دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ
 مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ١٣٥٢ هـ
 المطبعة الرحمانية بمصر
 الطبعة الرابعة - مصر ١٩٣٥ م
 مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٨ م
 « ابن زيدون بدمشق ١٣٥٣ هـ
 المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ
 « الأميرية الكبرى ببولاق ١٣١٦ هـ
 مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٥ هـ
 المطبعة اميرية ببولاق ١٣٠٠ هـ
 مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٧ م
 الكويت ١٩٦٢ م
 مطبعة الترقى بدمشق
 المطبعة الاميرية ومطبعة دار الكتب المصرية
 مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ١٣٧٥ هـ
 دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة (طبعة ثانية)
 المطبعة الاميرية بالقاهرة (طبعة سادسة) ١٩٢٥ م
 الكويت ١٩٦٠ م
 المطبعة الاميرية ببولاق ١٣٠٢ هـ
 مطبعة حيدر آباد
 دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ

المغرب في ترتيب العرب للطبرزي
المفضليات للضي
المهرجان الالهي لابي الملاي الميري
الموضح المرزباني
نزهة الالباء لابن الاباري
النشر في القراءات المشر لابن الجزري
الوساطة بين المتني وخصومه للجرجاني
وفيات الاعيان لابن خلكان

مطبعة دائرة المعارف بميدرا باد ١٣٢٨ هـ
مطبعة دار المعارف في القاهرة ١٣٦١ هـ
مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٥ م
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ
طبعة على الحجر ١٢٩٤ هـ
مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٥ هـ
دار احياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ
مكتبة النهضة بالقاهرة ١٩٤٨ م

فهرس الموضوعات

٣ — المقدمة

٥ — الاحتجاج في اللغة العربية

مقدمة تاريخية في اللحن وتابعه ١٦ — العلوم التي يحتج لها ١٩ — من يحتج بكلامه من العرب ٢٨ — ما يحتج به من الكلام: القرآن الكريم بجميع قراءاته — القراءات والنحاة، ٤٦ — ما يحتج به من الحديث الشريف (مذهب المانعين — مذهب المجيزين)، ٥٩ — كلام العرب، ٦٢ — بعض قواعد في الاحتجاج، ٧٠ — خاتمة.

٧٧ — القياس في اللغة العربية

٧٩ — (أ) من تاريخ القياس، القياسيون، من قياس الخليل وسيبويه، من قياس الفارسي، من قياس ابن جني، ١٠٠ — (ب) أثر العلوم الدينية في القياس اللغوي، ١٠٨ — (ج) من أحكام القياس، ١١٧ — (د) العصريون والقياس، قرارات المحدثين في التضمن والتعريب والمولد، قرارات الصياغة والاشتقاق، ملحقات الأصول العامة.

١٢٩ — الاشتقاق

١٣٠ — معناه، أنواعه. ١٣٦ — في الاشتقاق الكبير. ١٤٠ — مصدر المشتقات، ١٤٨ — أحكام تتعلق بالاشتقاق: المحقق وغيره، المطرد وغيره، تغييرات الاشتقاق، الممنوع من الاشتقاق، كتب الاشتقاق، ١٥٣ — الخاتمة.

١٥٩ — الخلاف بين نخاة البصرة ونخاة الكوفة

- (١) — نخة تاريخية (مدرسة البصرة — مدرسة الكوفة) — أبو الأسود والتعليقة ١٦٨ — الطبقة الاولى والثانية من البصريين.
١٧٣ — مدرسة الكوفة:
(٢) — ١٧٦ — نشأة الخلاف: بين الكسائي والأصمعي، وسيبويه، واليزيدي؛ بين المازني وابن السكيت؛ بين المبرد وثعلب — ملاحظتان.
(٣) — ١٩٧ — الفروق بين المذهبيين: أمر السماع، أمر القياس، نموذج من خلافهم.
(٤) — ٢١٥ — أثر العصية في الخلاف.
(٥) — ٢٢٦ — كتب الخلاف.
(٦) — ٢٢٩ — بعد المذهب البصري والمذهب الكوفي — خلط المذهبيين في بغداد والأندلس والشام.

٢٣٦ — الخاتمة

- ٢٤١ — مسرد الاعلام
٢٦٥ — مراجع الكتاب
٢٧٠ — فهرس الموضوعات

أشعار المؤلف المطبوعة

— أ —

- أسواق العرب في الجاهلية والاسلام (طبعة ثانية) دار الفكر بدمشق سنة ١٩٦٠ م
- ابن حزم الأندلسي ورسائله في المفاضلة بين الصحابة المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٠
- الاسلام والمرأة المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٥
- عائشة والسياسة (طبعة ثانية سنة ١٩٥٧ م) لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة
- في أصول النحو المکتب الإسلامي بيروت ١٩٨٧
- مذكرات في قواعد اللغة العربية [طبعة رابعة] جامعة دمشق سنة ١٩٦٣
- حاضر اللغة العربية في الشام معهد الدراسات العالية في القاهرة ١٩٦٢
- نظرات في اللغة عند ابن حزم جامعة دمشق ١٩٦٣

— ب —

- المخطوطات التي عني بتحقيقها ونشرها: الاجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة: للزرکشي. [طبعة رابعة]
- المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٠ في المفاضلة بين الصحابة: لابن حزم (نشرت مع كتاب ابن حزم الأندلسي).
- المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤١ سير النبلاء: للذهبي (جزء خاص في ترجمة ابن حزم)
- المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٥ سير النبلاء: للذهبي (جزء خاص في ترجمة السيدة عائشة)
- المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٠ تاريخ داريا: للقاضي عبد الجبار الخولاني
- الجامعة السورية سنة ١٩٥٧ الإعراب في جدل الإعراب لابن الانباري
- الجامعة السورية سنة ١٩٥٧ لمع الأدلة لابن الانباري
- الجامعة السورية سنة ١٩٥٨ توجيه أبيات مشكلة الاعراب للفارقي
- الجامعة السورية سنة ١٩٦٠ ملخص إبطال القياس لابن حزم